

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

اناشيد الاطفال في الشعر الفلسطيني

من سنة 1920-1948

اعداد

مرزوق بدوي عبد الله البدوي

اشراف

الاستاذ الدكتور عادل ابو عمشة

قدمت هذه الاطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها
بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2004

أناشيد الأطفال في الشعر الفلسطيني

من سنة 1920-1948

إعداد الطالب:

مرزوق بدوي عبد الله البدوي

توقعت هذه الأطروحة بتاريخ 2004/7/7 وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة:

1. أ.د. عادل أبو حمدة
2. أ.د. يحيى جر
3. د. زاهر حننه

- رئيساً
- ممتحناً داخلياً
- ممتحناً خارجياً



الإهداء

إلى زَوْجَتِي وَأَوْلَادِي
الَّذِينَ قَاسَمُونِي عَنَاءَ الدِّرَاسَةِ
إلى أَطْفَالِ شَعْبِي
الَّذِينَ حُرِّمُوا
فَرَحَ الطُّفُولَةِ
إلى إِيْمَانِ حَجَّوْ
وَفَارِسِ عَوْدَه
إِلَيْهِمْ جَمِيعاً
أُخْفِرُ عَلَى خَاصِرَةِ الشَّمْسِ
أُغْنِيَاتِ ذَهَبَتْ
تَحْتَ أَنْقَاضِ الْوَطَنِ
عَلَّني

أُجَدِّدُ بِسْمَةِ الْحَيَاةِ،
عَلَى شِفَاهِهِمُ الْمَقْهُورَةِ

مرزوق بدوي

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور عادل أبو عمشه الذي أشرف على هذا البحث حتى خرج بصورته اللائقة.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى الزملاء الأفاضل والعاملين في مكتبات جامعة النجاح الوطنية، ومكتبة بلدية نابلس، الذين مدّوا لي يد العون والمساعدة لإثراء هذه الدراسة بالنصوص والمعلومات اللازمة.

ولا بد لي أن أشكر الذين أسهموا في طباعة هذه الرسالة وإخراجها على الوجه الأكمل.

وكل الاحترام والتقدير إلى كل من وقف إلى جانبي وشجعني على إتمام هذه الدراسة، وذلل بعض الصعاب التي كانت تعترض سبيلي.

سائلاً المولى عز وجل أن يجزيهم عني خير الجزاء.

مرزوق بدوي

v

ت	الإهداء.....
ث	الشكر.....
ج	الفهرس.....
د	الملخص.....
1	المقدمة.....
5	التمهيد.....

55-15

الفصل الأول

أدب الأطفال وأناشيدهم

16	أولاً: أدب الأطفال بين الظهور والتطور.....
17	1- ما هو الأدب.....
18	2- ماذا يعني أدب الأطفال.....
21	3- أهميته.....
21	4- فوائده.....
22	5- مجالات التعبير في أدب الأطفال.....
25	6- البدايات المكتوبة لأدب الأطفال.....
27	7- النشيد بين العامة والفصحى.....
32	ثانياً: أناشيد الأطفال في الشعر العربي.....
33	1- تعريف النشيد.....
34	2- أهمية النشيد.....
36	3- النشيد والغناء عند العرب.....
39	4- النشيد والموسيقا والعلاقة بينهما.....
40	5- المعايير التي يجب توافرها في النشيد.....
41	6- مراعاة النشيد لمراحل الطفولة.....
43	7- أنواع النشيد.....
44	أ- الأناشيد الدينية.....

44	ب- الأناشيد الوطنية.....
45	ج- الأناشيد الاجتماعية.....
46	د- النشيد التعليمي.....
48	هـ- النشيد الوصفي.....
49	و- النشيد الإرشادي.....
50	ز- النشيد المعرفي.....
51	ح- النشيد الترفيهي.....
51	8- الأناشيد في المناهج المدرسية.....

-56

الفصل الثاني

113

نشأة النشيد وأغراضه

57	أولاً: نشأة النشيد في فلسطين.....
61	ثانياً: أغراضه.....
62	1- النشيد الوطني.....
73	2- النشيد القومي.....
80	3- النشيد الديني والإنساني.....
84	4- النشيد التعليمي.....
90	5- النشيد الاجتماعي.....
97	6- النشيد الوصفي.....
103	7- النشيد المعرفي.....
104	8- نشيد الإرشاد والتوجيه.....
109	9- النشيد الترفيهي.....

-114

الفصل الثالث

162

خصائص النشيد في الشعر الفلسطيني

115	أولاً: اللغة.....
116	1- اللغة والنشيد.....
120	2- المعجم اللغوي.....

126	3- التكرار.....
126	أ- تكرار الكلمة.....
127	ب- تكرار العبارة.....
128	ج- تكرار المقطع.....
129	ثانياً: البلاغة
130	1- الصور والأخيلة.....
131	2- أهميتها.....
132	3- مصادرها.....
133	4- الصورة في أناشيد الأطفال.....
136	5- الجناس والطباق.....
139	ثالثاً: الموسيقى.....
140	1- أهميتها في النشيد.....
141	2- الإيقاع الموسيقي في النشيد.....
144	3- الأوزان الشعرية.....
147	4- القافية.....
149	5- التكرار الصوتي.....
153	رابعاً: المضمون.....
154	1- خصائصه.....
159	2- النشيد والتراث.....
163	المصادر والمراجع.....
170	ملحق الأناشيد المختارة.....
B	الملخص باللغة الإنجليزية.....

أناشيد الأطفال في الشعر الفلسطيني

من سنة 1920-1948

إعداد الطالب

مرزوق بدوي عبد الله البدوي

إشراف

أ.د. عادل ألو عمشه

الملخص

علماً بأن عدم مراجعة المدرس للعلامات التي تصله يعني موافقته عليها، وبناء عليه

أما وبعد الانتهاء من هذا البحث بعون الله، كان لا بد لي من الإشارة إلى بعض من الملاحظات والنتائج المهمة التي توصلت إليها، وهي:

1. إن نشأة النشيد ارتبطت بالعصر الجاهلي، وتطورت في العصر العباسي، وازداد هذا التطور سرعةً وتنوعاً في العصر الحديث.
2. كان بعض الشعراء يكتبون أناشيدهم وقصائدهم البسيطة، دون توجيه أو تخصيص للأطفال، فيأتي بعدهم من يأتي من المهتمين والمختصين، فيختارون منها ما يمكن تقبله لدى الأطفال، وذلك ضمن معايير معروفة، فيلحقونه بالمناهج المدرسية لبعض الصفوف الأساسية، ليصبح فيما بعد نشيداً للأطفال.
3. سيطرة الهم الوطني على أناشيد الأطفال وأشعارهم، مما أدى إلى حرمانهم من ممارسة دورهم الطفولي، كبقية الأطفال في شتى أصقاع الدنيا، فاحتلت الأناشيد الوطنية المرتبة الأولى في أناشيد الأطفال في فلسطين.
4. نتيجة للخصوصية التي تميز بها الشعب الفلسطيني من ثورات متعاقبة، وصور للاستشهاد اليومي، كان أمراً طبيعياً ظهور أناشيد للشهداء في شعر الأطفال، وهذا يُعدّ خروجاً على طبيعة أناشيد الأطفال بشكل عام، إذ أنها تسعى إلى تخفيف الأعباء والهموم عن نفوس الصغار.
5. إن نظم أناشيد للأطفال في فلسطين، كان محاولات فردية غير منتظمة جاءت نتيجة اهتمام ناظميها بالحركة الأدبية الخاصة بالأطفال، مُقْتَدِينَ بما كان يدور حولهم في البلدان

المجاورة.

6. هناك شعراء فلسطينيون أبدوا عناية ملموسة بأناشيد الأطفال، فأصدروا دواوين شعرية خاصة بهم، مثل الشاعر البيتجالي (اسكندر الخوري) في مجموعته (الطفل المنشد) و (المثل المنظوم)، وأبي سلمى في مجموعته (أغاني الأطفال) والشيخ محمد البسطامي في مجموعته (الشادي في الأناشيد المدرسية الوطنية) أما بقية الأناشيد فقد كانت متفرقة بين المجموعات الشعرية الخاصة.

7. كان لدار الإذاعة الفلسطينية في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين دورٌ مهمٌ في بث الأناشيد الموجهة للأطفال والتغني بها، من خلال ما كان يقدمه أبو سلمى وإبراهيم طوقان وفدوى طوقان وعصام حماد وغيرهم.

8. يلاحظ أن العناصر الأدبية التي قامت عليها الأناشيد كانت في معظمها تراعي الشروط النفسية والأدبية والفنية واللغوية لأناشيد الأطفال، ولم تكن فوق طاقاتهم الذهنية والوجدانية.

9. تنوع الأغراض الشعرية في أناشيد الأطفال كان ملموساً، على الرغم من بروز النشيد الوطني بشكل لافت للنظر.

10. إن كثيراً من هذه الأناشيد قد تداولها الصغار والكبار على حد سواء، لأنها كانت تلامس الوجدان الإنساني، والجرح الذي يعاني منه المجتمع الفلسطيني، دون النظر إلى الفوارق العمرية، التي تمثل إشباعاً نفسياً ومعنوياً للروح الوطنية المحترمة لدى الجميع.

11. لقد غلب طابع البساطة والسهولة على أكثر الأناشيد، إلى جانب الفكرة الغنية بمضمونها مثلما امتازت بالموسيقا الجذابة والإيقاع الجميل، فكانت في معظمها تتمتع بقدر من الفنية العالية في الصياغة والبناء.

12. إن غياب المؤسسات والجهات الراعية لمثل هذا النوع الفني من شعر الأناشيد، جعلها عرضة للضياع والاندثار، مما أفقدها الحيوية والحضور الدائم.

13. من خلال استقراء أناشيد الأطفال التي درستها، اتضح أن أصحابها كانوا ممن مارسوا في حياتهم التدريس والعمل التربوي، هذا إلى أنهم جميعاً من الشعراء الذين صدرت لأكثرهم دواوين خاصة بهم.

14. على الرغم مما أورده الدارسون من تعريفات عديدة للنشيد، فإنني اتخذت مقياساً اعتمدت عليه، يقوم على كون الناظم قد أشار إلى أن ما نظمهُ يُعدُّ نشيداً سواءً أكان ذلك في ديوانه أم مكان نشره في الصحف وغيرها، هذا إلى جانب قابليته للغناء والخفة اللغوية والبساطة.

المُقدِّمة

الحمد لله رب العالمين الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وجعله من عباده الظامئين إلى علمه وهديه إلى يوم الدين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فقد أعدت هذه الدراسة للتعرف إلى أناشيد الأطفال في الشعر الفلسطيني في الفترة الواقعة بين سنتي 1920-1948؛ بوصفها البدايات المهمة لأدب الأطفال في فلسطين، والبواكير الأولى لهذا النوع الشعري في الأدب الفلسطيني، في بلدٍ حاصرتهُ الأحداث والويلات، وفي وقت بدأت تنعم فيه البلدان المجاورة بمثل هذا الأدب الذي أخذ يحتل مكانةً مرموقة في المؤسسات التعليمية والثقافية والتربوية لتلك البلدان؛ وذلك بعد أن بات أدب الأطفال بصورة عامة مطلباً حيوياً تتباهى به الشعوب وتفخر به الأمم.

والأنشيد إلى ذلك جزء أصيل من الأدب الرفيع الذي يتجلى في تناول اللغة واستخداماتها وألوانها، وبالتالي فإن تفاعل الطفل مع هذا النوع

الغني أو غيره من الأجناس الأدبية الأخرى، يترك أثراً في وجدانه ومسلكياته ونمط تفكيره.

ومن هذا المنطلق آثرت الخوض في هذا الجنس الأدبي، واتخاذ موضوعاً

لدراستي؛ لا سيما أن أناشيد الأطفال في فلسطين لم تحظ باهتمام الباحثين أو عناية

الدارسين، إضافة إلى أن أهمية هذه الدراسة تأتي للكشف عن الجوانب الفنية والإبداعية

التي تميز بها الشعراء في أناشيدهم، فضلاً عن توثيق تلك المرحلة المهمة وتسجيلها من

مراحل الأدب الفلسطيني، الذي كان زاخراً بالحيوية والنشاط في تلك الحقبة على

المستويين المحلي والعربي.

اشتملت الدراسة على معظم الأناشيد في الشعر الفلسطيني في الحقبة التي حُدِّدت

سابقاً، نظراً لعدم إمكانية الفصل بينها، خاصة وأنها كانت متداولة بين الصغار والكبار، وذلك لخصوصية الواقع الفلسطيني المتميز بأحداثه المتغيرة وتفاعلاته المتصاعدة، فضلاً عن عدم وجود جهات رسمية تعتني بمثل هذا النوع الشعري من الأناشيد لتصنيفه وتوجيهه؛ لأن بعضها لم يكن موجهاً للأطفال، إلا أنه فيما بعد قد أُدرج في المناهج الدراسية للصغار، لانسجامه مع ميولهم ونفوسهم ومستويات تفكيرهم.

غير أن هذه الأسباب لم تمنع الباحث من محاولة العثور على أناشيد للأطفال بشكل خاص، تتلاءم مع مراحلهم العمرية، وتناسب مستويات النمو الإدراكي لديهم.

وقد اعترض سبيل الدراسة بعضُ المشكلات والعقبات في جمع النصوص والنماذج والمعلومات اللازمة للبحث، ومن أهمها قلة المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع، إلى جانب تشتت بعضها في أنحاء مختلفة من البلدان العربية، مما صعب الوصول إليها أو العثور عليها، فضلاً عن ضياع الكثير منها خلال أحداث النكبة وما قبلها، نتيجة لعدم الاكتراث بها أو الحفاظ عليها من قبل أصحابها أو ذويهم.

وكان من الطبيعي أن تتظر هذه الدراسة إلى دراسات سابقة تعرضت لهذا الموضوع، فتتفع بها وتستزيد منها؛ إلا أنه لم يوجد سوى بحثٍ مقتضبٍ حول أدب الأطفال في فلسطين ما قبل النكبة، للباحثة نجلاء بشّور وذلك ضمن الموسوعة الفلسطينية.

ولذا فقد آثرت أن أكون من السّباقين لهذا البحث، منتهجاً أسلوب الجمع والوصف والتحليل. وقد جاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع، وملحق للأناشيد المختارة.

وقد تعرضت في التمهيد إلى مفهوم الشعر وعلاقته بالنشيد، فضلاً عن البحث في

الجنور الأولى لظهور أناشيد بصورة عامة ابتداءً من العصر الجاهلي، ومروراً بالعصر العباسي وانتهاءً بالعصر الحديث بإيجاز شديد، وأما الفصول فقد جاء ترتيبها على النحو الآتي:

أولاً: الفصل الأول: أدب الأطفال وأناشيدهم، وقسمته إلى مبحثين؛ الأول أدب الأطفال بين الظهور والتطور: عرّفت فيه الأدب بشكل عام وأدب الأطفال بشكل خاص، ثم تناولت أهمية أدب الأطفال وفوائده، ومجالات التعبير التي يمكن أن يستفيد منها الأطفال، وتطرقنا كذلك للكشف عن البدايات المكتوبة لأدب الأطفال، هذا إلى إظهار العلاقة اللغوية للنشيد بالعامية والفصحى ومدى استفادة الأطفال من ذلك.

والثاني: أناشيد الأطفال في الشعر العربي: وقد بدأت بتعريف النشيد لغة واصطلاحاً، كما تطرقت إلى أهميته التربوية والثقافية والنفسية للطفل، واهتمام العرب القدماء به لتربية أبنائهم، ثم الحديث عن علاقة النشيد بالموسيقا، وكذلك المعايير التي لا بد من توافرها في أناشيد الأطفال؛ ومدى انسجامها مع المراحل العمرية المختلفة للأطفال، فضلاً عن أنواع النشيد بشكل عام وعلاقته بالمناهج المدرسية.

ثانياً: الفصل الثاني: نشأة النشيد وأغراضه، وقد تناولت فيه نشأة النشيد الفلسطيني وتطوره، ثم درست أغراضه على النحو الآتي:

1- النشيد الوطني.

2- النشيد القومي.

3- النشيد الديني والإنساني.

4- النشيد التعليمي.

5- النشيد الاجتماعي.

6- النشيد الوصفي.

7- النشيد المعرفي.

8- نشيد الإرشاد والتوجيه.

9- النشيد الترفيهي.

ثالثاً: الفصل الثالث: خصائص أناشيد الأطفال في الشعر الفلسطيني، حيث قسمته إلى أربعة مباحث، يتحدث الأول منها عن مفهوم اللغة وعلاقتها بالنشيد، وكذلك التعرض للمعجم اللغوي للأناشيد ومدى استفادة الأطفال منه، ثم الحديث عن التكرار بمختلف أشكاله في الكلمة والعبارة والمقطع، وأهميته في تعميق الموضوع أو الفكرة المشار إليها في النشيد.

ولقد تناول المبحث الثاني البلاغة وأهميتها وضرورة عدم الإغراق بها في أناشيد الأطفال، فضلاً عن الحديث عن الصور والأخيلة من حيث المفهوم

والأهمية والمصادر التي تغذيها، وحضورها المتميز في أناشيد الأطفال؛ لما لها من تأثير قوي في نفوسهم، باعتبارها إحدى الوسائل المساعدة في توصيل الفكرة

وتبسيطها، وكذلك توقفت عند الجنس والطباق في الأناشيد.

ودار المبحث الثالث حول الموسيقى، والأهمية التي تتطوي عليها صياغة الأناشيد، وكذلك أوضحت الدور المهم الذي تؤديه بعض العناصر الجمالية الموسيقية مثل الإيقاع الموسيقي والأوزان الشعرية وما لها من أثر مهم في تحديد الأجواء الخارجية والداخلية للنشيد، هذا إلى جانب القافية والتكرار الصوتي اللذين يسهمان في إغناء النص.

وتعرضت في المبحث الرابع للمضمون وأهميته في الأناشيد؛ متطرقاً إلى

خصائصه التي لا بد أن تتسم بالخفة والبساطة والوضوح وعدم الإغراق الفلسفي في الفكرة، وتوحي المعاني التي من شأنها أن تُلاقى الرغبة والإقبال لدى الأطفال دون عناء أو تعب، وقد ضَمِنْتُ هذا الجانب جدولاً يبرز أهم القيم التربوية التي حملتها أناشيد الأطفال في الشعر الفلسطيني. ومن ثم أوضحت علاقة النشيد بالتراث وما لهذا الجانب من أهمية في التغذية الروحية وصقل الشخصية وتعميق الانتماء.

وفي الخاتمة أوجزت بعض النتائج التي توصَّلتُ إليها الدراسة، وألَمَّت بها من خلال البحث والتحليل، مُضيفاً إلى ذلك مُلحقاً لبعض أناشيد المختارة، من تلك التي أمكن العثور عليها.

M

يشكل أدب الطفولة وسيلة فنية من وسائل تنشئة الأطفال التي تعد نافذة المجتمع إلى المستقبل، لأنه يشارك في تكوين الشخصية الطفولية التي تقوم عليها شخصية هذا المجتمع.

فأدب الأطفال من السبل المهمة التي تعتمد عليها التربية الحديثة، وأداة فاعلة لتقويم السلوك وتشكيل العواطف والأحاسيس، وصقل شخصية الأبناء الذين يمثلون عماد الأمة في مستقبلها.

فالأمة التي ترقى فيها أساليب التربية والتعليم يزدهر فيها المجتمع، وتتطلق بسببها الحضارة بصورة تمكنها من احترام غيرها لحقوقها وامتلاك حريتها، حيث أن التربية السليمة هي أساس انتفاع الوطن بأبنائه.

فأطفال اليوم هم رجال المستقبل، وبناء الغد الذي يضيء طريق الأجيال، فهم الأمل والرجاء، وهم فرح المجتمع الذي إذا ما كسب أطفاله يكون قد كسب غده.

والتربية بهذا الأسلوب فن تنمية الأعضاء الحسية والعقلية، والأسلوب الناجح في تهذيب النفس البشرية، وتعميق القيم والمثل والفضائل، ومن خلالها تنمو العقول وتحسن المدركات⁽¹⁾.

فالطفل يتوق إلى التمتع بالحرية كأبي مخلوق آخر، وحينما يستطيع المجتمع فهم عالمه والوقوف على رغباته وتطلعاته، يكون بذلك قد أعده للإفادة من حريته بشكل صحيح، وبالتالي فإنه من الضرورة بمكان أن تبرز في أدب الأطفال رموز الأمة من شخصيات وأبطال ومواقف وأحداث، لتعميق الروابط بين الأجيال، وكذلك إثراء

(¹) الطهطاوي، رفاة: الأعمال الكاملة. ج2، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973، ص 279.

المخزون اللغوي والثقافي، والإحساس بالقيم الجمالية والذوق السليم، وتوسيع المعارف الإنسانية والتجارب الحياتية التي تتعلق بواقع المجتمع الذي يعيش فيه⁽²⁾.

علماً بأن هذا الفن الأدبي ليس جديداً في تراثنا العربي، حيث توارثناه عن الأوائل مشافهة، إذ اعتمد في نشوئه بداية على الخرافات والقصص والحكايات، التي كان يتوق الأطفال إلى سماعها، وكذلك أغاني الأطفال التي تعتمد إلى ترقيصهم وتسليتهم وإمتاعهم، وقد عرض من خلالها العظات والإرشادات، والأمنيات التي يرجو أن يكون عليها الأبناء.

فأدب الأطفال في هذه الصورة ما هو إلا مجموعة من الآثار الفنية، تصوّر مشاعر وأفكاراً وأخيلة تلائم مدارك الأطفال، ومستوى تفكيرهم، وتعكس أمني الآباء والأمهات في تربية أبنائهم، وقد ارتبط عمر هذه النصوص بقدرة الإنسان على النطق والتعبير.

غير أن هناك مفاهيم عديدة لأدب الأطفال، تناولها الكتاب وتطرقوا إليها في دراساتهم، فصدق التعبير عن مشاعر الأطفال وحاجاتهم قد ورد في كثير من النصوص التي جاء بعضها على ألسنة الصغار أنفسهم، وقد جاء بعضها الآخر في ألعابهم ومرحهم ولهوهم، فضلاً عن تحسس الكبار لحاجات أطفالهم ومحاولة فهم نفسياتهم، فالمفهوم الحقيقي لأدب يهتم بالطفولة ويعتني بها، هو الإبداع الخلاق الذي له سماته وصفاته وخصائصه، وهو الذي يلامس واقع الطفل، ويحاكي حاجاته وقدراته ورغباته، فالصورة الواقعية تظل أقرب إلى عالمه، وأقدر على التأثير فيه من الصورة الخيالية إذا ما كانت مستمدة من بيئته وأسرته ومجتمعه، حيث أن الطفل يتعلم عن طريق الاستطلاع والتساؤل والارتياح والاكتشاف، ما لم يُرغمه أحدٌ على غير ذلك بصورة

(²) نزار، نزار: في أدب الأطفال، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1994، ص 10.

خاطئة.

فقلب الطفل لا يقبل أن يتعلق بأشياء لا أصل لها، فهو يستحضر الواقع بالخيال، ويظل الواقع السبيل القوي لتحقيق تطلعات الطفولة وأحلامها⁽³⁾.

ولذلك فإن الاهتمام بأدب يوفر التربية السليمة للطفل، ويمده بشتى أنواع المعرفة، يسهم في تكوين شخصيته وتحسين مشاعره وأحاسيسه، لأن ممارسة النشاط الثقافي والمعرفي، والتعليم بأسلوب يرغبه الأطفال ويقبلون عليه يساعد في سدّ بعض حاجاته، وإشباع بعض ميوله ورغباته.

فأناشيد الأطفال على سبيل المثال، ليست إيقاعاً فحسب، وليست مجرد نظم أو تلحين أو موسيقا، وليست ترتيباً متناظراً للكلمات، وإنما هي إيقاع جميل متناغم يستثير الحلم والخيال، ويوفر المتعة والفرح والبهجة للأطفال، ثم إن السمو الحقيقي بمدارك الأطفال ومشاعرهم، هو إغناء حياتهم بكل ألوان النشاط التي تبعث شتى أنواع السعادة والمعرفة في آن واحد، حيث يعدّ هذا الأمر من الوسائل المؤثرة في حياة الطفل التي تشكل أساس بقاء المجتمع واستمراره.

ومن الجدير ملاحظته أن المقومات الفنية لأدب الصغار، هي ذات المقومات التي يقوم عليها أدب الكبار، فالخصائص الفنية للنصوص الأدبية على اختلافها، هي واحدة في الاثنين.

فأدب الأطفال بصفته لوناً من ألوان الأدب، قد ظهر وسيلة إنسانية حضارية، لإعداد الأطفال بصورة لا تقبل الانحراف عن السمت الصحيح، وفنون هذا الأدب غنية بوسائل التأثير ولفت الانتباه، وقادرة على أن تلبي للطفل رغباته، كما يمكن لهذا الأدب

(3) نفسه: ص 16.

أن يتوافق مع استعدادات الطفل وميوله نحو المعرفة⁽⁴⁾.

وفي نهاية المطاف يمكننا القول بأن هذا الأدب يسهم بشكل مباشر في نهوض المجتمعات وازدهارها، لأنه يعمل على توفير التربية الصالحة، والقيم والمفاهيم الواعية للأبناء، القائمة على الأسس السليمة التي تصقل شخصياتهم وتربي نفسياتهم وتهذبها، تلك التي توفر لهم روافد العلم والمعرفة والثقافة، وتحملهم إلى الكشف عن مواطن الذوق والجمال، وتنمي في ذواتهم أواصر العلاقة الإنسانية والاجتماعية، وتبعث الأمل في نفوس الكبار وتنبي بمظاهر المستقبل الذي سوف يصنعه هؤلاء الصغار، دافعين في غدٍ مجتمعهم إلى منابر التقدم والتطور والحضارة، لنتعم الأجيال بما تزرع.

ولمّا كان موضوع الدراسة يتعلق بأناشيد الأطفال، بوصفها المظهر الفني لشعر الأطفال الذي يُعدّ واحداً من الأشكال الأدبية المتعددة لأدب الأطفال، فإنه أصبح من اللازم والضروري البحث عن العلاقة القائمة بين الشعر والأناشيد بصورة عامة، وكذلك الكشف عن العوامل الأساسية التي أسهمت في ظهور الأناشيد بوجه عام، وأناشيد الأطفال بشكل خاص، وهل هذه الأناشيد هي إحدى الولادات الطبيعية للفنون الشعرية العربية، منذ البدايات الأولى للشعر العربي؟

هذه مجموعة من الأسئلة تفرض نفسها، لإثراء موضوع الدراسة في الكشف عن الظروف التي أحاطت نشأة هذه الأناشيد، وما طرأ عليها من تطورات أدت إلى حضورها القوي وظهورها اللافت للنظر، مما جعلها إحدى الوسائل المهمة في التربية والترفيه والمعرفة والتعليم.

(4) أبو الرضا، سعد: النص الأدبي للأطفال ط1، عمان، دار البشير، 1993، ص 23.

مفهوم الشعر:

ارتبطت ولادة الشعر بالمراحل الأولى لنشوء اللغة ونموها، حيث كان الشعر قديماً لغة الكهانة والفلسفة والتنجيم، يستخدمونها في سلمهم وحربهم، وفي الرقبة والنبوءة، وفي التعاويذ والأسحار وغيرها من الطقوس التي كانت سائدة في تلك الحقبة والعصور، وفي اليونان كان الشعر يوقع على نغمات العود والموسيقا، كما كانت مسرحياتهم مرتبطة بأناشيد الجوقة، حيث أوجد هذا المناخ أسلوباً غنائياً نابعاً من الخبرات الموسيقية والإيقاعية التي كانت تملأ حياتهم، ابتداء من الأدعية والابتهالات المنغمة، إلى أغاني المناسبات العامة، وليالي اللهو والسمر⁽⁵⁾.

وعلى الرغم من أن الشعر أنواع أربعة في الحضارات القديمة التمثيلية والملحمي والغنائي والتعليمي، فإن الشعر العربي في فترات سابقة ركز على الغنائي الذي هو أقدم في الولادة من غيره، لا سيما أنه يكاد يكون مقصوراً على هذا الجانب.

فهذا النوع من الشعر كان يتغنى به منذ فجر الإنسانية سواء عند الغرب أو العرب، لا سيما أن الشعر هو فن العرب الأوائل، وهو وسيلتهم ليقظة مشاعرهم، وتنظيم أحاسيسهم، وتنبيه عقولهم، فضلاً عن كونه أحد وسائل التأمل وإرهاق الوجدان، حيث أنه كان يشكل الفن القومي الأول للحضارة العربية، ومع تطوره بقيت العناصر الموسيقية المتمثلة في الوزن والإيقاع والانسجام الصوتي باللغة الأهمية في تشكيله وبنائه، إذ إنه يحاول " بالكلمة المصفاة المنتقاة الممدودة مع الإيقاع الصوتي أن يشيد للكبار بعامة، وللصغار بخاصة عالماً جميلاً، ومهمة الشعراء في أن يكون الجمال والرضى مأوى للناس ولكل الأطفال"⁽⁶⁾.

(5) هلال، محمد غنيمي: النقد الأدبي الحديث، بيروت، دار العودة، 1987، ص345.

(6) أبو السعد، عبد الرؤوف: الطفل وعالمه الأدبي ط1، القاهرة، دار المعارف بمصر، 1994، ص 257.

ولكن يبقى السؤال المهم عن ماهية الشعر، وعناصره الإبداعية، فما هو

الشعر؟

قد تتفاوت الآراء في تعريف الشعر، وقد لا يتوفر تعريف كامل واضح يقف على مفهوم معين للشعر، فهناك من قال: أنه كل كلام موزون مقفى، وآخر يقول: أنه كل كلام يحمل في ذاته موسيقاً ومعنى، فيلامس القلب ويهز المشاعر ويغذي النفوس والعقول، أو هو فن القول والكلام الذي يملك لباب السامع، ويدفعه للتفكر والتأمل، وقائل آخر أنه: كل كلام يحمل صورة ومعاني وموسيقاً، وإحساءات تؤدي الغرض المقصود إلى المتلقي دون غموض أو إبهام.

وهذا الاختلاف في الآراء قد يكون ناتجاً عن اختلاف الشعر في شتى مراحل وعصوره، ومقتضيات الحال التي جاء بها، مثلما تختلف الفنون جميعاً من مبدع إلى آخر، ومن قديم إلى حديث، وهذا أمر طبيعي، لا سيما أن اختلاف نماذج الإبداع الإنساني في العصر الواحد، تأتي تبعاً لاختلاف المذاهب والعقائد والمفاهيم في تلك الحقبة الزمنية، فضلاً عن اختلاف العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية والزمانية والمكانية التي يعيشها أي عصر من العصور، حيث تعدُّ هذه العناصر من مقومات أي عمل إبداعي يؤدي إلى توفير الرؤيا السليمة للمتلقي، ولما لهذه العوامل من قيم تأثيرية على أي عمل فني⁽⁷⁾.

وإذا ما كان الشعر فعلاً إبداعياً يتوسل بعناصر التصوير والموسيقا، بتراكيب خاصة تبرز بشكل ظاهر، فإن مثل هذه العناصر تشكل سبباً كافياً لتمييزه عن غيره من الأجناس الأدبية الأخرى، حيث هو فن لفظي يستلزم استعمالاً خاصاً، وتكون موسيقا الشعر عاملاً مهماً يمثل جوهر التراكيب والنظم والتصوير " فالكلمات والعبارات في الشعر

(7) السابق: ص140.

يقصد بها بعث صور إيحائية، وفي هذه الصور يعيد الشاعر إلى الكلمات قوة معانيها التصويرية الفطرية في اللغة، إذ الأصل في الكلمات في نشأتها الأولى، إنها كانت تدل على صور حية، والشاعر يحاول أن يتحدث بلغة تصويرية في مفرداته وجمله⁽⁸⁾، فالشعر باستعانه بالموسيقا الكلامية إنما يستعين بأقوى الطرق الإيحائية.

احتفظ الشعر بمظاهره الغنائية والموسيقية، وبقيت القوافي من تلك المظاهر وأهمها، فالشعر العربي في العصر الجاهلي في جميع أحواله هو طريق الوعي والمعرفة، لأنه يصور حياة العرب في حلهم وترحالهم، والنسيج اللغوي الذي يتحدث عن عاداتهم وتقاليدهم ونمط حياتهم؛ إذ يرصد علاقة الآباء وأفراد الأسرة والمجتمع (القبيلة)، وبالتالي فإن مثل هذا الشعر يشكل أحد المصادر المهمة للتراث العربي والفن الأدبي بوجه عام، حيث أجمعت الروايات أنه كان ينشد في أسواق الجاهليين، فيهبز قلوب السامعين، ويملاً المشاعر بموسيقا الإنشاد، وقد كان شائعاً بين العامة والخاصة أن الناس يتأدبون عليه، ويتغنون به في المجالس والمحافل، وينشئون أبناءهم على حفظه وروايته، إذ إنه لم يكن محصوراً في فئة اجتماعية معينة، وإنما كان للعرب جميعاً، يتغنون به وينشدونه، حتى أصبح نغمه الموسيقي مألوفاً للجميع، كما أن التغني به وتلحينه كان أحد أسباب انتشاره وشيوعه، وقد كان العرب في العصر الجاهلي "ينشدونه جماعات، وتنشده النساء في المآتم والأعراس والحروب، وينشده الرجال في التهليلات والتليبات"⁽⁹⁾.

وكان يسهل على العامة من العرب ترديد الشعر وحفظه، قبل أن يتفهموا معناه ومرماه، وما يتضمنه من بلاغة وفصاحة، وهذا نابع من الموسيقا التي يلتفتون إليها قبل التفاتهم للمعاني التي يحملها، إذ إن الشعور بالموسيقا وانسجام المقاطع ميل فطري يمكن ملاحظته أثناء النمو اللغوي عند الأطفال.

(8) السابق: ص 357.

(9) ضيف، شوقي: الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ط2، القاهرة، دار المعارف بمصر، 1984، ص 27.

وكانت النساء في إنشادهن يشكلن ما يشبه الجوقات، مثلما روي عن هند بنت عتبة في غزوة أحد، حيث كُنَّ يضربن على الدفوف ويرددن، فيما هي تغني قائلة⁽¹⁰⁾:

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

وكان العرب كذلك يحدون إبلهم بالأراجيز والأشعار أثناء سيرهم ليلاً، حيث كان الرجز هو الغالب في معظم أعمالهم التي تقتضي الحركة، ومنها أن المحارب الجاهلي كان لا يصول ولا يجول إلا وهو ينشد بعض الرجز، وكذلك كانوا يفعلون عند السقي لأنفسهم ولإبلهم وأغنامهم، وحين يحفرون بئراً أو يبنون بيتاً. فأساس الشعر عند العرب كان التغني به وتلحينه، حيث كان الشاعر عندهم يبدأ بألحان وترنيمات ثم يستمر، لا سيما أن الشعر والغناء عند العرب كانا مرتبطين بشكل قوي منذ البدايات الأولى للوجود الإنساني. ولما كان الغناء عند العربي رغبة ملحة في سيره وترحاله بوجه خاص، فإن الشعر المغنى يحقق له هذه الرغبة ويشبع ميوله، ومن هنا كان الإيقاع والوزن جوهر هذا الغناء الشعري، لأنهما قادران على توفير الانسجام والتفاعل للشاعر والمتلقي⁽¹¹⁾.

والرجز كان أصل هذا الغناء، وهو ليس سجعاً مقفى، وليس نثراً مغنى، إذ إن إيقاعه يشكل موقفاً وسطاً بين النثر والتفعيلة، وهو لهذا أول صيغة شعرية وزن عليها من قصدوا إلى الشعر ورجزه، ولم يكن الرجز غريباً عن البيئة العربية، حيث أنه كان اللغة السائدة في لغة الأدب بحركاتها وسكناتها، مما جعله أليفاً قريباً من نفوسهم

(10) نفسه: ص15.

(11) ضيف، شوقي: الفن ومذاهبه ط7،، القاهرة، دار المعارف بمصر، 1969، ص44.

ورغباتهم وحاجاتهم الإنسانية على اختلاف أحوالها وانفعالاتها، وقد كان الرجز في العصر الجاهلي بمثابة الشعر الشعبي، لأنه استوعب حركة العربي في معظم أنشطته وأعماله، من صيدٍ وحربٍ وتلبية وكهانة، ومناسبات اجتماعية عامة وخاصة⁽¹²⁾.

ويلاحظ أن كثيراً من هذا الشعر كان ينظم على مجزوء الرجز، أو المقطوعات القصيرة، وكانت كثيراً ما تنظم هذه المقطوعات بعبارات خفيفة سهلة، تتلاءم مع بيئة الناس واستعمالاتهم في حياتهم اليومية، ومن الأمثلة على ذلك: قطعة أم السليك في رثاء ولدها، وهي من مشطور المديد، حيث تقول⁽¹³⁾:

طاف يبغي نجوةً من هلاك فهلِك

ولما جاء العصر العباسي الأول، شاع الغناء والتلحين على نطاق واسع، وأقبل الشعراء على نظم المقطوعات القصيرة لأشعارهم، حتى يمكن شيوخها وانتشارها، بقصد حفظها وسرعة تداولها بين الناس، وقد نظموا في كثير من الموضوعات دونما استثناء، ومنها: الفكاهة والدعابة والمرح، ومنها قول بشار لجاريته ربابة، التي كانت تعدُّ الطعام⁽¹⁴⁾:

ربابة ربة البيت تصبُّ الخلُّ في الزيت

لها عشر دجاجات وديكٌ حسن الصوت

كثرُ التركيز على استعمال الأوزان القصيرة ومجزوءات البحور، حيث "كان

(12) الجيار، مدحت: موسيقى الشعر قضايا ومشكلات ط3، القاهرة، دار المعارف بمصر 1995، ص63.

(13) السابق: ص 51.

(14) السابق: ص 191.

المغنون كثيراً ما يضطرون الشعراء إلى أن يؤلفوا لهم قطعاً من الأوزان القصيرة، حتى تتناسب مع أصواتهم ولا تخرجهم عن الإيقاع الموسيقي" ⁽¹⁵⁾، حتى أصبح هذا الفن الشعري أساساً للغناء والطرب، وتتناول معظم الأغراض الشعرية في مجالات عدة، منها التعليم والفكاهة، وتربية أبناء الخلفاء والخاصة من الناس، مثل المفضليات والأصمعيات، وغيرها من وسائل تأديب الأبناء وتزويدهم بشتى ألوان الثقافة والمعرفة.

وقد أكثر عمر بن أبي ربيعة في هذا الجانب، حتى كان المغنون يقبلون عليه كثيراً، ويميلون إلى شعره الذي كان ينظم بعضه على الأوزان القصيرة بقصد الغناء والتلحين، ومن قوله ⁽¹⁶⁾:

قل لهندٍ وتربها قبل شحط النوى غدا

إن تجودي فطالما بت ليلى مسهداً

ويلاحظ أن موجة الغناء في العصر الإسلامي، سهّلت لانتشار الأوزان القصيرة ومجزوءات البحور في شعر الحجازيين، وشاركهم أهل الشام في ذلك، ومن بديهيات القول أن قوانين الموسيقى مماثلة لقوانين العروض، ولم يفتقر الشعر التقليدي إلى كثيرٍ من الأوزان المجزوءة، مثل أرجوزة (سلم الخاسر) التي يقول فيها ⁽¹⁷⁾:

موسى المطر غيث بكر

(15) السابق: ص 56.

(16) ضيف، شوقي: الفن ومذاهبه، ص 56.

(17) نفسه: ص 59.

عدلُ السير باقي الأثر

وفيما بعد أصبحت المجزوءات الشعرية والأوزان القصيرة أحد الأساليب الأدبية اللافتة للانتباه في مختلف العصور، حيث تفنن بها الكثير من الشعراء، فنظموا عليها في المجالات التربوية والتعليمية، وما يتعلق في الحياة الشعبية العامة، بكبارها وصغارها، من ذلك مقطوعة (البهاء زهير) في العصر الأيوبي، حيث يقول (18):

من اليوم تعارفنا ونطوي ما جرى منّا

ولا كان ولا صار ولا قُلتُم ولا قلنا

وإن كان ولا بدُّ من العتب فبالحسنَى

الشعر والنشيد:

إن للشعر لغته وأسلوبه الخاص، فالأطفال يحبون الشعر، ويضطربون لأنغامه، وإن لم يفهموه في مراحلهم الأولى، وتهتم الأم بمداعبة الطفل بالكلمات البسيطة والجميلة، ذات الإيقاع الموسيقي، فتشعره بالارتياح لينام على هدي أنغامها، وعندما يكبر يقبل على حفظ بعض الأشعار ذات البحور القصيرة، إذا ما سهل لفظها ومعناها، وبرزت إيقاعاتها، ويتدرج الطفل في تقبله للشعر، حتى يرتقي إلى مستوى إدراكي يحفظ فيه الأناشيد الحماسية، ويردها مع زملائه في المدرسة والبيت، وأثناء لهوه

(18) نفسه: ص 499.

ولعبه، فالطفل يتمايل مع الإيقاعات الجميلة والأهازيج والأغاني الخفيفة المرححة، ويسعد بتكرارها لمدة طويلة، إنه يدرك أن الكلمة لا تحمل معنى، ولكنه يشعر بالمودة والحرارة نحو هذه الكلمة أو تلك⁽¹⁹⁾.

لقد كان للعرب نصيبٌ وافر من المقطوعات الشعرية، التي كانوا يبتغون بها غرس جميل الخصال وحميد الفعال في أذهان أطفالهم قبل أن يشتد عودهم ويكبر، حيث كان العربي مؤمناً بالطفولة وضرورة توفير المناخات الجيدة لها، إذ كان للحياة العربية خصائص ومقومات يحتفظ من خلالها بالصور الحميمية والعلاقات الرحيمة بين أعضاء الأسرة، وصار الشعر مصدراً خصباً للثقافة الإنسانية بعامة، وثقافة التواصل بين الأجيال، لا سيما أن هذه الثقافة تتميز بما تتضمنه من نصائح السابقين وخبراتهم وتجاربهم، حيث أن الشعر دائم الإيقاظ للفضائل الاجتماعية، ودائم التذكير لكل ما تتميز به المجتمعات الإنسانية من قيم ومبادئ ومفاهيم.

لقد أبدع العرب شعراً جعلوه نافذة لهم يُطلّون منها على عالم الطفل الذي حملوه أشواقهم إلى المستقبل الذي تسوده العدالة والسلام، ويستشرف الرؤى المستقبلية التي تعدُّ للأطفال عالماً يحققون من خلاله طموحاتهم وآمالهم المكتوبة، فهم يمثلون بهجة الحياة وزينتها⁽²⁰⁾.

ومن خلال هذا الاهتمام بالطفل كان للأطفال " نصيب وافر في الشعر العربي، وجاء هذا الشعر من بحر الرجز ومن المقاطع الصغيرة، لتفي بقدرة الأطفال وحاجاتهم الوجدانية والعقلية " ⁽²¹⁾.

وبعناية الشعر العربي بتنشئة الأطفال، جاء الشعر الموجه إليهم على شكل أغاني

(19) جعفر، عبد الرزاق: أسطورة الأطفال الشعراء ط1، بيروت، دار الجيل، 1992، ص103.

(20) أبو السعد، عبد الرؤوف: الطفل وعالمه الأدبي، ص 141.

(21) عبد الفتاح، إسماعيل: أدب الأطفال في العالم المعاصر، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، 1999، ص52.

ترفيهية، ومقاطع شعرية مرتجلة، ومن المقاطع الصغيرة التي لم تبلغ أكثر القصائد في أبياتها عشرة أبيات فقط، تخلو من الصناعة اللفظية، كما تخلو من المبالغة في الخيال والإغراق في المعاني، فهي أشعار قريبة المعاني بسيطة الخيال سهلة الألفاظ والتراكيب، جميلة النغم والتلحين.

ويمكن القول أن البدايات الأولى التي مهدت لنشوء النشيد، هي المقطوعات الشعرية القصيرة التي كان يتغنى بها الشاعر الجاهلي، وطورها الشاعر العباسي لتشمل الأراجيز وتؤكد على معالم هذا الفن الشعري، حيث اعتمد على المقطوعات القصيرة والأوزان والبحور التامة والمجزوءة والمشطورة والمنهوكية وغيرها من الأنواع الشعرية والعروضية، وقد سهل كل ذلك الطريق إلى أناشيد الأطفال التي اعتمدت ذات النهج الفني لتلك الألوان الشعرية.

فإذا ما كان النشيد ذا علاقة وثيقة بالغناء والطرب والموسيقا، فإنه يعتمد بشكل أساسي على موسيقا الوزن الشعري والعروضي والنبض الإيقاعي للكلمات وانسجامها وتوافقها، فالأوزان القصيرة توفر للطفل هذه الرغبة، حيث تتلاءم مع الطبقة الصوتية لديه، وإمكانية الأداء الفني من حيث سهولة الحفظ والاسترجاع، والانسجام النفسي وعدم التشبث الذهني⁽²²⁾.

فالشعر صنع به العرب ديوانهم الذي يسجل أيامهم ونمط حياتهم وأحوالهم، والإنسان بفطرته قد أحب الوزن والإيقاع والموسيقا، وقد كانت له في مراحل نموه الأولى أناشيده وترانيمه، ويبقى الشعر غنياً بمزاياه لتكوين لغة الانفتاح الطفولي على العالم عن طريق الأناشيد التي تنبعث قيمتها الحقيقية من الطموح الذي ينبغي أن تكون رسالته السامية في تحقيق بناء شخصية الطفل وثقافته، وتربيته حسب الأصول

(22) السابق: ص 257.

والنظريات الصحيحة، وتلبية رغباته بما يتفق مع حاجاته النفسية والاجتماعية، فضلاً عن توفير المتعة اللازمة لتجديد النشاط والترويح النفسي.

الفصل الأول

أدب الأطفال وأناشيدهم

أولاً: أدب الأطفال بين الظهور والتطور

ثانياً: أناشيد الأطفال في الشعر العربي

أولاً: أدب الأطفال بين الظهور والتطور

- 1- ما هو الأدب؟
- 2- ماذا يعني أدب الأطفال؟
- 3- أهميته.
- 4- فوائده.
- 5- مجالات التعبير في أدب الأطفال.
- 6- البدايات المكتوبة لأدب الأطفال.
- 7- النشيد بين العامية والفصحى.

للأدب آثار جليلة في إعداد النفوس واستنهاض الهمم، وتكوين الشخصية وتوجيه السلوك بصفة عامة، فهو يسمو بضمير الأمة، ويعبر بصراحة عن تقدمها وتطورها، إذ إن حضارات الأمم تعرف بآدابها وثقافتها، ومستوى الوعي الفكري الذي يعكس علاقاتها مع الآخرين.

وليس غريباً أن يكون للأدب فضلٌ عظيمٌ في تربية الشعوب والمجتمعات والارتقاء بها من خلال تعميق المبادئ والمثل، وتهذيب السلوك والتغيير الذاتي.

وتتبع أهمية الأدب من خلال إمداد الفرد بألوان جديدة من الخبرة والمعرفة، وتوسيع أفقه الثقافي، فيفتح ذهنه ويتسع فكره، وتزداد صلته بالحياة العامة ليدرك ما فيها من فضائل ومسلقيات، ومن هذا المنظور لا يختلف الصغير عن الكبير، ولا يقل الطفل عن الرجل أهمية في صقل مواهبه وبناء شخصيته ونفسيته، وإطلاعه على الواقع الذي لا بد من معرفته وفهمه.

1- ما هو الأدب:

إن الأدب بشكل عام هو " رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي ⁽²³⁾، وبمعنى آخر هو تربية النفس وتعليمها على قواعد وأصول سليمة، تسهم في تعزيز القيم والمعارف والأفكار، وفي الحديث الشريف، قال عليه السلام: " أدبني ربي فأحسن تأديبي ⁽²⁴⁾ فضلاً عن اعتباره " من أهم الوسائل والأساليب التي تحمل مزايا الأمة، وتعبّر عن تصوراتها وقيمها وروحها وحضارتها ⁽²⁵⁾، وكذلك هو: " الكلام الإنشائي البليغ الذي يُقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين ⁽²⁶⁾."

غير أن مفهوم الأدب يشغل مساحة واسعة في الحضارات القديمة والحديثة، ويحمل مفاهيم ومعاني عديدة لا يكاد يستطيع المرء أن يقف على بعض منها، لكننا نستطيع القول أن الأدب هو كل ما يحيط النفس من تربية على الفضائل الكريمة

⁽²³⁾ أنيس، إبراهيم ورفاقه: المعجم الوسيط ج1 ط2، القاهرة 1972، ص9.

⁽²⁴⁾ المنياوي، عبد الرؤوف: فيض القدير ج1 ط1، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ، ص 225.

⁽²⁵⁾ بريغيش، محمد حسن: أدب الأطفال أهدافه وسماته ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1997، ص98.

⁽²⁶⁾ وهبة، مجدي، وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ط2، بيروت، مكتبة لبنان 1984،

والأخلاق الحميدة، وما يعبر عن معنى من معاني الحياة بأسلوب جميل، يقبله العقل وتطرب له النفس وتنشّد له المشاعر والأحاسيس، وقد يتضمن الشعر والنثر، ومجمل المعارف الإنسانية الرفيعة، وأنواع الفنون الثقافية.

وفي تعريف آخر: " هو التعبير البليغ الذي يحقق المتعة واللذة بما فيه من جمال التصوير، وروعة الخيال، وسحر البيان، ودقة المعنى، وإصابة الغرض. فهو فن رفيع من الفنون الجميلة، يُعتمد في إظهاره وفهمه على التعبير واللغة، ويثير في نفس قارئه أو سامعه هزة وسروراً بقدر ما عندهما من حساسية فنية، وبقدر ما في الكلام ذاته من جمال وروعة" (27).

2- ماذا يعني أدب الأطفال:

أدب الأطفال يعدُّ نوعاً من أنواع الأدب، وهو جزء من الأدب بصورة عامة، إلا أنه موجه إلى شريحة معينة من المجتمع ألا وهي الأطفال، لأن مرحلة الطفولة من أهم مراحل الحياة عند الإنسان وأكثرها خطورة، فهي تتميز عن غيرها بصفات وخصائص واستعدادات خاصة، وهي النافذة التي تنطلق منها المراحل الأخرى للإنسان، ففيها تتفتح مواهب الفرد، وتظهر قدراته ومشاعره، وتنمو مداركه وتبرز إحساساته، وفيها أيضاً تأخذ شخصيته بالبناء والتكوين حتى تتميز عن غيرها من الشخصيات الأخرى.

فالطفولة هي المرحلة الأولى من عمر الإنسان، تبدأ من الولادة وتنتهي عند البلوغ. وفي كتابه الكريم يقول سبحانه وتعالى: [ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم] (28)، فهي أساس المجتمع وأهم عنصر من عناصر بنائه، لأنها الأرض الخصبة والتربة الصالحة للنماء، إذ إن كل ما يزرع فيها من فضائل القيم ومكارم

(27) سمك، محمد صالح: فن التدريس، القاهرة، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، (د.ت)، ص174.

(28) سورة غافر، الآية 67.

الأخلاق ومحاسن الصفات يؤتي أكله في مستقبل الطفل، وبالتالي فهو يكتسب من بيئته العادات، ويرسخ مفاتيح المعرفة في شخصيته، وينمي ثقافته التي يمدده بها المجتمع المحيط " والطفل يولد مرتين إحداهما: ولادة بيولوجية، والثانية ولادة ثقافية، حيث تبدأ هذه الأخيرة بالتكون مع بدء امتصاص الطفل من المجتمع اللغة والأفكار والعادات وأنماط السلوك الأخرى، مما يشكل ثقافة الأطفال⁽²⁹⁾.

والأدب الذي يختص بهذه الطفولة، يعدُّ من العوامل الضرورية في صنع هذا الفرد الصغير، وتربيته بصورة تليق بمدى مساهمته المستقبلية في الحفاظ على ازدهار مجتمعه وتطوره، حيث تعتمد هذه التربية على منهجية قادرة على فتح سبل الحياة أمامه، للتعرف إلى ماضيها وحاضرها للوصول إلى المستقبل.

فأدب الأطفال هو الغذاء الروحي والفكري لهم، حيث أن الطفولة كتاب مفتوح أبيض الصفحات، يلتصق به كل ما يعترضه من معارف وأحداث وشخصيات تدور في محيطه، أو يتعرف إليها من خلال الحكايات والقصص.

فلا أحد ينكر أن أدب الأطفال ذو ارتباطات وثيقة بالأسرة، فالجد والجدة يسردان القصص والحكايات لأحفادهم، والأم والأب ينشدان لأطفالهم " لأن هذه الأناشيد ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمهام التربية، فهي وسيلة وغاية في وقت واحد ...⁽³⁰⁾.

وأدب الأطفال ليس حديث العهد، وإنما هو قديم قدم الإنسان، فقد نشأ وتطور بنشوء المجتمعات البشرية وتطورها، " فحيثما توجد أمومة وطفولة آدمية، يوجد أدب للأطفال، بقصصه وحكاياته وترانيمه وأغنياته⁽³¹⁾.

(29) الهيثي، هادي نعمان: الهوية الثقافية للأطفال العرب إزاء ثقافة العولمة، مجلة الطفولة والتنمية، المجلس العربي

للطفولة والتنمية، العدد الثاني، القاهرة، 2001، ص150.

(30) بريغيش، محمد حسن: أدب الأطفال أهدافه وسماته، ص 43.

(31) نفسه: ص 46-47.

وبالتالي فإن هذه الثقافة التي أودعتها الأسرة والمجتمع في نفوس الصغار، وهذا التميز الأدبي الناتج عن الحرص على إيجاد أدب خاص بالأطفال، يسهمان في تنظيم ممارساتهم الحياتية، وأساليب تفكيرهم وبحثهم عن المعرفة " وحسن تفكيرهم وتعويدهم الإقبال على العلم والمعرفة، وتنمية ذلك فيهم، وغرس الحرص على الواجب والمسؤولية والتعاون والبناء، وكل ما يعينهم على إثبات أصالتهم وفاعليتهم في الحياة وتنمية دورهم الحضاري ⁽³²⁾ .

فثقافة الأطفال تحمل في ذاتها الهوية الثقافية التي تتميز بها عن مختلف الثقافات الطفولية في المجتمعات الأخرى، فهم يكتسبون بها مفهومًا اجتماعيًا ونفسيًا، يؤدي إلى إحساس المجتمع بذاته، وتميزه عن الآخرين، فالمجتمع هو أساس هذا الإمداد الثقافي، وهو الذي يغذي نمو الطفل الثقافي، وهو الذي يمد يد العون لهذا الكائن الصغير، حتى يستطيع النهوض بالأعباء التي سوف تترتب عليه ⁽³³⁾، وكذلك قراءة ما يدور حوله من أحداث، وتفسير ما يحيط به من ظروف وملابسات، لأن اتصاله بالبيئة التي يعيش فيها، يعدّ الخطوة الأولى على طريق استكشافه لكل ما يتعرض له من جديد في حياته الأولى، هذا إلى محاولته امتلاك أهم وسائل المعرفة في استعمال عقلي، وممارسة حسية وشعورية من خلال ملامسته للماديات التي تحيط به، والمعنويات التي يستقبلها عقله وتصلها نفسيته.

وهكذا فالثقافة " يجب أن تكون كالغذاء الجيد، كأبي متعة سواء كانت قطعة موسيقية أو لوحة فنية أو قصيدة شعرية أو قصة جميلة أو رواية رائعة ⁽³⁴⁾ فالعلاقة الثقافية للطفل هي أساس البناء الإنساني، وإمامه الواعي بقضاياها التي ترتبط بقضايا

(32) أبو الرضا، سعد: التناغم المعرفي بين أدب الطفل والتقدم التكنولوجي، مجلة الطفولة العربية، المجلد الثالث، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربي. العدد العاشر، مارس 2002، ص 70.

(33) الهبيشي، هادي نعمان: الهوية الثقافية للأطفال العرب إزاء ثقافة العولمة، مجلة الطفولة والتنمية، ص 151.

(34) السابق: ص 89.

مجتمعه، لا بد أن يكون قائماً على قاعدة الأخذ من التراث وقراءة الواقع، والتوجيه السليم الذي يلبي طموحات الفرد في المجتمع من حرية وانطلاق وتقدم، إذ إن كل أدب لا يستمد من التراث، وكل ثقافة لا تعكس روح الإنسان وقضاياها في نفسية الطفل، فإنها قد تكون في مسارها غير الصحيح، الذي لا يراعي مستوى الطفل وقدراته على الفهم والتمييز والخيال، وبالتالي فإنه لا بد لأدب الأطفال أن يوفر ما يُنتظر منه على المستوى التربوي، حيث ينبغي أن يتوافر له الانسجام التام مع متطلبات النمو في الشكل والمضمون، فأدب الطفولة يسهم في تحقيق التربية الصالحة التي تعدّ من أصعب الأمور، ليس على الوالدين أو المدرسة فحسب، بل على أفراد المجتمع عامة فأدب الأطفال عند كل الشعوب يرتبط " بالتربية ارتباطاً وثيقاً، لأن هدف التربية الأخذ بيد النشء إلى أفضل الطرق لتنميتهم جسدياً وعاطفياً وعقلياً واجتماعياً، ومعرفة ومهارة

»(35).

وهو يتسم بأساليب تعبيرية خاصة به، فالكلمة البسيطة ذات المغزى، تفرح الأطفال وتنمي قدراتهم على استدراك الحياة واستكشافها، فتروّض مشاعرهم وتوسع آفاقهم، وتزيد من إحساساتهم في فهم معاني الفرح والجمال، وتشدهم إلى العلم والتعلم بشغف ومحبة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: " أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم" (36)، فهو الأدب الذي قد ينتجه الكبار وينشده الصغار، ضمن أسلوبية منفتحة ترقى بعقولهم إلى عالم المشاعر والخيالات الجميلة، والحقائق الجليّة والقيم النبيلة، وهو أدب ليس لمجرد التوضيح والاستنارة فقط، ولكنه سبيل للكشف عن الحقيقة التي لا بد للأطفال من التعرف إليها، كما أنه ليس لمجرد أن يشرح الطفل نفسه لنفسه، وإنما ليخرج عن المألوف، ويخلق في إبداعاته فيحقق ذاته ويتحسس قدراته في تجسيد مواهبه

(35) بريغيش، محمد حسن: أدب الأطفال أهدافه وسماته، ص 15.

(36) الشافعي، الإمام الشيخ إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الإلباس ج1، بيروت

دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص 177.

بطريقة فنية تتجاوز الواقع الذي يعيش فيه لأن أدبهم متعة لهم في حكاياته وقصصه وأنشيده وأغانيه، فينتقل من جيل إلى جيل لتحفظه ذاكرة الأجيال.

وفي رأيي أن أدب الأطفال هو: كل تعبير أدبي جميل يحمل بداخله جمال الكلمة وسمو الفكرة وارتقاء العبارة، ضمن أسلوب ممتع يتسم بالجاذبية والتشويق، ويستهدف فئة عمرية مُحدَّدة.

3- أهميته:

إنَّ تملُّكَ الطفل للغة الأم، يفتح أمامه قنوات الاتصال بالعالم المحيط فيعرفه ببيئته، حيث يتم اكتساب اللغة بالممارسة الصحيحة والتوجيه السليم الذي يخضع للإشراف التربوي الصحيح، فتقدَّم له المعرفة بأبسط السبل والوسائل المدروسة التي لا تتعارض مع نموه العقلي والعاطفي، وذلك من مبدأ أن لكل مقام مقالاً، وبالتالي فإن " حب الأدب أو الميل إلى الفن يثير طبيعة الإنسان، ويفتح جوانب النفس للحصول والاستيعاب، ويجعلنا نستشعر المتعة في ذلك " (37).

فالطفل يتعلم لينطلق إلى عالمٍ جديد من السعادة والمتعة، وأدب الأطفال قد يمهّد له الطريق التي توفر له حاجاته النفسية من ثقافة ومعرفة ومتعة. إذ تسهم هذه الأمور جميعها في بناء شخصيته، مما يجعله إنساناً متميزاً بعباداته وتقاليده ومعاملاته الإنسانية، حيث يعرف نفسه ويعرف الحياة من حوله.

4- فوائده:

لقد ظل لهذا الأدب على مرّ العصور دور مهم في تعميق القيم الإنسانية، ودفع الأطفال للتطلع إلى الأمام، والأخذ بزمام الفكر والوعي والمعرفة.

فهو يعني بالنسبة لهم القاموس اللغوي الذي يغني حصيلتهم بالألفاظ والكلمات،

(37) أدهم، علي: فصول في الأدب والنقد والتاريخ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ص 109.

فيطور قدراتهم التعبيرية، ويمرّتهم على طلاقة اللسان وحسن الملاحظة، وينمي لديهم مهارات القراءة والكتابة، ويزودهم بالثقافات المتعددة، كما يوسع من أخیلتهم ومداركهم، ويعودهم على أدب الإصغاء وتركيز الانتباه والمبادرة في البحث والحديث والمعرفة، فهو أداة تعليمية ومعرفية وتربوية، حيث يرتقي بالطفل إلى آفاق بعيدة، " لأنه يخاطب وجدانه وعقله، وينطلق بخیاله إلى آفاق المستقبل، ويزوده بمعلومات ومهارات وخبرات متنوعة، ويتيح له تحقيق مواهبه وتنمية قدراته الخاصة"⁽³⁸⁾. فيحمله إلى مستويات أفضل، لأنه ينمي الإحساس بجمال الكلمة وقوة تأثيرها لدى الصغار، ويمكنهم من فهم التطور البشري من خلال تقديم أجناس أدبية مختلفة، يعبر فيها الطفل عن نفسه وحضارته.

5- مجالات التعبير في أدب الأطفال:

إن من أهم أشكال التعبير في هذا النوع من الأدب، القصة والشعر والمسرح والصحف والمجلات والإذاعة والتلفاز⁽³⁹⁾؛ لأنها تشتمل في معظمها على المعارف والحقائق الإنسانية التي تحيط واقع الطفل الذي يتوق إلى معرفته ويكبر من خلاله، حيث أنها لا بد أن تعكس حقيقة الطموح الذي يراود الطفل في بيئته الإنسانية، إذ إنها تحمل بين مفاهيمها أكثر ما يدور حول الطفل من مشاهد وصور وأحداث، تحتوي مختلف مظاهر الحياة التي يعيشها الإنسان بحاضره وماضيه، وما ينتظره من مستقبل وحدث.

ومن هنا فلا بد من التعرض إلى أهم الوسائل والأساليب التي يعتمد عليها أدب الأطفال في التعبير عن مضامينه.

(38) أبو معال، عبد الفتاح: أدب الأطفال، ط2، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2000، ص17.

(39) اللبدي، نزار وصفي: أدب الطفولة واقع وتطلعات ط1، عمان، دار الكتاب الجامعي 2001، ص 67.

أ- القصة:

وهي من ألوان الأدب الراقي، وتتمتع بحضور أدبي واسع، وتتصف اليوم بأهميتها المتقدمة في الفنون الإنسانية الحديثة والقديمة.

فهي من الوسائط التي تقوم بدورٍ فعّالٍ في تقديم المعارف للأطفال، وتنمية قدراتهم الإبداعية واللغوية والفنية، إذ تعدُّ من الفنون التي يرغبها الأطفال، ويقبلون عليها، لأنها من وسائل نشر الثقافة والمعرفة، فتشكل غذاءً روحياً للطفل، وتمكنه من توسيع ملكة التخيل والتصور والتذوق.

ولقد اعتاد الكثير من الأطفال سماع قصة أو حكاية قبل النوم، إذ هي من أحب الأنواع إلى قلوبهم، فيندمجون بأحداثها، ويكتشفون أنفسهم من خلالها، فالقصة تعكس الجانب المرح من الحياة، وفي أثناء سماعهم لها أو عند قراءتها، قد يجدون خبرات جديدة تفرّج عنهم الكبت والتوترات التي يتعرضون لها في بيوتهم، كما يجدون فيها ما يشبع حاجاتهم وميولهم النفسية⁽⁴⁰⁾.

ب- الشعر:

لا يقل الشعر أهمية عن القصة في إثارة المشاعر وتنمية الخيال وتقديم الثقافة والعلوم والمعارف، فهو يدفع إلى تفاعلات متنوعة في نفسية الطفل، فالشعر بموسيقاه وإيقاعاته قد يحلّق بأحاسيس الطفل إلى آفاق تبعث في داخله عوامل الشوق والمتعة والفرح، والإقبال على الحياة بشغف ومحبة، فالشعر بحد ذاته يتمتع بدورٍ فعّالٍ في تنشئة الأطفال وتربيتهم، فهو يزودهم بالمفاهيم والمعلومات في مختلف المجالات، كما يُنمي ملكتهم اللغوية ويمدهم بالألفاظ والتراكيب، ويساعدهم على الانفتاح والتفاعل مع

(40) الهيثي، نعمان: أدب الأطفال فلسفته، فنونه، وسائطه، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977، ص 135.

ثقافة المجتمع.

ج- المسرح:

ومثلما يحرك الشعر فيهم المشاعر والأحاسيس، فإن المسرح يحرك فيهم الأذهان أيضاً، ويغذيهم فنياً وأدبياً ووجدانياً، فالمسرح يؤثر في نفسياتهم، ويظهر ذلك من خلال ردود أفعالهم تجاه بعض الأعمال الدرامية التي يشاهدونها، وكثيراً ما يفرطون في الضحك أو يجهشون في البكاء، حيث يغلب عليهم الانسجام في العمل.

فالمسرح يتميز بخصائصه الفنية القريبة من الواقع، حيث تعرض لهم الأحداث كما لو كانت حية، فتأخذهم مناظره وإضاءاته وديكوراته التي تتحد جميعاً في نقل الطفل إلى المحيط الذي يستمتع في رؤيته.

ويمكن القول إن المسرح من الوسائل المتميزة والفاعلة في تنمية قدرات الأطفال عقلياً ونفسياً وجمالياً ولغوياً وثقافياً، لأنه يدخل البهجة والإحساس بالجمال إلى نفوسهم، ويزيد من إحساسهم بأن لهم دوراً في تغيير الواقع⁽⁴¹⁾.

د- الصحف والمجلات:

للصحافة دور مهم في صقل الطفولة عقلياً وعاطفياً واجتماعياً وأدبياً، فهي وسيلة توجيه وإعلام وتسلية، تنمي الذوق الفني، وتسهم في تكوين العادات والممارسات السليمة، وتنقل القيم والأفكار والمعارف، وتحقق الإشباع الخيالي والنفسي لهم، حيث تشكل أهم وسائل ثقافة الطفل بأساليبها الخاصة بها، وإحساس الطفل ببساطتها وجمالها، فالصور الملونة تتفاعل بخيالاته وتتيح لها الانطلاق، حيث تغري الألوان بصره، فتدخل البهجة إلى نفسه، كما " أن الصحيفة من خلال موادها المبسطة التي تقوم بنشرها، تقدم

(41) نفسه: ص 203.

للطفل أصول المعارف والصحة والأدب والفضيلة والأخلاق الحميدة والإحساس بالتمتع والحياة⁽⁴²⁾.

هـ- الإذاعة والتلفاز:

تعتمد الإذاعة المسموعة على الصوت باتصالها في الجمهور، أي أن حاسة السمع هي القناة التي تصل المعلومة إلى الأطفال من خلالها، فالمؤثرات الصوتية والموسيقية والمقدرة التمثيلية من أساليب الاستعمال الأساسية للإذاعة، فالنص الإذاعي الجيد والإخراج الدقيق، يمكن الإذاعة من استثارة خيال الطفل، حيث تدفعه للعيش بأحداث برامجها التي تتميز بلغتها البسيطة، الخالية من الألفاظ الغريبة، فللكتابية الإذاعية أبعادها وخصائصها المميزة، كذلك للإذاعة المسموعة " أثر كبير في اكتساب الطفل لكثير من القيم والاتجاهات المرغوبة وما يصاحبها من تعديل في السلوك، وذلك عن طريق عملية التقمص التي تحدث أثناء تجاوب الطفل المستمع مع الأحداث والأبطال⁽⁴³⁾.

أما التلفاز فإنه يعتمد على حاسة البصر إضافة للسمع، حيث تقومان باستقبال الحركة والصورة والصوت في آن واحد، لا سيما وأن المادة الثقافية أو المعرفية تمثل بديلاً جيداً للخبرة الحقيقية، فالأطفال الذين لا يتمكنون من مشاهدة حياة الحيوان، أو السفينة الكبيرة وهي تسير بين أمواج البحر المتلاطمة، أو مسابقات السيارات، فإنه قد تتاح له فرصة مشاهدة هذه الأمور من خلال هذه الشاشة الصغيرة.

فالتلفاز قد يكون وسيلة تربوية وتعليمية تتميز بجاذبيتها الخاصة، حيث يهيئ للأطفال المعرفة منذ الصغر بألوان جميلة وأساليب خفيفة، تلاقى الرضا والمرح

(42) حلاوة، محمد السيد: مدخل إلى أدب الأطفال، الإسكندرية، مؤسسة حورس الدولية، 2002-2003، ص 186.

(43) نفسه: ص 207.

والقبول عند الأطفال. ويمكن لأدب الطفل أن ينتقل إليه بوسائل مختلفة غير التي جاء ذكرها، منها إضافة إلى ما سبق المتاحف التي يتعرف الأطفال من خلالها إلى حياة الشعوب وتطور حضاراتها، وكذلك الكتيبات العلمية البسيطة التي تفسر للأطفال أسباب ظواهر الكون وأسراره، بالإضافة إلى معاجم الأطفال المصورة التي تشرح التراكيب والمفردات وتكشف معاني الكلمات ودلالاتها⁽⁴⁴⁾.

6- البدايات المكتوبة لأدب الأطفال:

لقد اهتمت الأمم بأدب يسهم في تربية الأطفال وثقافتهم، فقد كان القدماء يعمدون إلى هذه التربية من خلال حكايات الجدة وقصص الأمهات والآباء، والأناشيد والأغنيات المتنقلة، تلك التي تحمل مفاهيم تربوية بسيطة تسعى إلى توجيه الأبناء، وإشباع ميولهم وحاجاتهم النفسية.

ثم أصبح هذا الأدب مسؤولية ملحة في المجتمعات المتقدمة، أو التي تتطلع إلى النهوض والارتقاء، لإدراكها مدى تأثير أدب الأطفال في تربية الطفل وتنقيته، ولأنه الدواء الذي يملأ فراغ الوقت بما يفيد ويمتع. لقد ظهر هذا الأدب مكتوباً للمرة الأولى في القرن السابع عشر على يد الفرنسي " تشارلز بيرو " 1628-1703، الذي كتب مجموعة من القصص الخيالية للأطفال بعنوان " حكايات أمي الإوزة "، وبذلك كانت البدايات الأولى لأدب مكتوب للأطفال في العالم الحديث، فاقتفى الأوروبيون أثره، إذ كتبوا القصص والحكايات للأطفال، وكانت تهدف إلى التربية والتسلية والترفيه وتنمية خيال الطفل⁽⁴⁵⁾.

أما أطفال العرب فإنهم لم ينعموا في تلك الفترة بأدب خاص بهم، حيث اقتصر

(44) طعمة، رشدي أحمد: أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1998 ص 24-25.

(45) أنقار، محمد: قصص الأطفال بالمغرب، ط1، تطوان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1998، ص59.

كتابات الأدباء على الكبار، ولم يلتفتوا إلى الصغار إلا بعد المحاولات التي قام بها رفاة الطهطاوي في مصر في عهد محمد علي باشا وخلفائه 1801-1873، وكان آنذاك مسؤولاً عن التعليم في مصر، حيث اهتم بتوجيه الجهات التربوية والتعليمية إلى ترجمة هذا الأدب ونقله إلى العربية بعد أن تعرّف إليه خلال رحلته إلى أوروبا وتحديداً إلى فرنسا⁽⁴⁶⁾.

وكان بدعوته هذه المبادر الأول للترجمة والنقل والكتابة للأطفال، فترجم بعض القصص والحكايات والأناشيد، وأدخلها في المناهج المدرسية.

وفي هذا النشيد التالي يفصح (رفاة الطهطاوي)⁽⁴⁷⁾ عن حبه لمصر وحنينه إليها فيقول⁽⁴⁸⁾:

يا صاح حبُّ الوطن حليّة كل
فطن

محبة الأوطان من شُعَب الإيمان

في أفخر الأديان آية كل
مؤمن

(46) نفسه: ص 71.

(47) الطهطاوي: رفاة رافع بن بدوي بن علي (1801-1873): عالم مصري، من أركان نهضة مصر العلمية في العصر الحديث، ولد في طهطا وتعلم في الأزهر الشريف، وأوفدته الحكومة المصرية إماماً وواعظاً ومرشداً للشبان العرب في أوروبا، درس الفرنسية وألف وترجم عن الفرنسية كتباً كثيرة، ومن مؤلفاته (المرشد الأمين في تربية البنات والبنين). -انظر: الأعلام، لخير الدين الزركلي ج3 ط6، بيروت، دار العلم للملايين 1984، ص29.

(48) وادي، طه: ديوان رفاة الطهطاوي ط2، القاهرة، دار المعارف 1984، ص 86.

ومصر أبهى مولد لنا وأزهى محتد

ومربع ومعهد للروح أو للبدن

لطبعا تلام في السر أو في
العلن

ثم لحق به الشاعر أحمد شوقي، فكتب القصص على السنة الحيوانات والطيور، وألف الأناشيد والأغاني الخاصة بالأطفال، وفي عام 1903 ظهر علي فكري، وكتب كتاباً بعنوان (مسامرات البنات)، ثم (النصح المبين في محفوظات البنين)، غير أن هذا النوع من الأدب أخذ دوره الحقيقي ابتداءً من عام 1922، بعد أن أنشأ محمد الهراوي مكتبة سمير للأطفال، وكتب القصص والأغاني والأناشيد كما برزت في حينه بعض المؤسسات التي تهتم بأدب الأطفال، وأصدرت كثيراً من الكتب والمجلات الخاصة بهم، كما ظهر كثير من الكتاب في هذا المجال، وكان في مقدمتهم كامل الكيلاني الذي أثرى مكتبات الأطفال بقصصه وكتاباته الأدبية⁽⁴⁹⁾.

ومن خلال هذه البدايات المتميزة لأدب الأطفال في مصر، امتدت الظاهرة إلى

(49) أبو معال، عبد الفتاح: أدب الأطفال، ص 31-32.

البلدان العربية المجاورة.

7- النشيد بين العامية والفصحى:

لا بد من الإشارة هنا إلى أن التركيز في هذه الدراسة على أناشيد الأطفال في الشعر الفلسطيني، لا يعني إهمال أغانيهم أو أهازيجهم التي كانوا ينشدون السعادة بها من خلال ألعابهم وأوقات فرحهم ومرحهم.

لكن اللغة التي تميزت بها الأغنية الطفولية، تختلف اختلافاً كلياً عن اللغة التي اتسمت بها أناشيد الأطفال بشكل عام، ففي الوقت الذي كانت تحافظ فيه الأناشيد على سلامة اللغة، يلاحظ أن الأغنية قد تجاوزت ذلك إلى اللهجة العامية المتداولة بين الناس، التي تشكل النمط المألوف في ألعاب الأطفال وممارساتهم الطفولية، في بحثهم عن السعادة والسرور في الشارع والحارة والملعب، على اعتبار أن الأغنية " إحدى الوسائل الهامة التي يستطيع الإنسان أن يعبر من خلالها عن انفعالاته وأحاسيسه لحظة ما، وقد يكون الانفعال سروراً أو حزناً أو شعوراً بالخوف "⁽⁵⁰⁾.

فالنشيد والأغنية يؤثران في تربية الأطفال وتنشئتهم، وتشكيل شخصياتهم، وهما مصدر فرح للطفل حيث يميل بفطرته إلى ممارسة الغناء الذي يسهم بدوره في تنمية القدرات التي يمتلكها هذا الطفل وإبرازها، كما يحفز الطفل إلى التمتع بلغة غنية بمفردات بسيطة، تعينه على مواجهة الحياة بكل مستوياتها وتقلباتها اليومية.

كما أن لأغاني الأطفال وأناشيدهم أهميتها عند الشعوب كافة " فهي التي تخط الأساس الأول لتربية الإنسان، وطبعه على تذوق الجمال اللحني والتأثر بمعاني الأغنيات التي تتغلغل إلى حسّه وإدراكه، وترسم له المثل والمبادئ التي يجب أن ينشأ عليها الإنسان منذ بداية طفولته

(50) أبو السعود، إلهام: أغنية الطفل آفاق وتطلعات، دراسات في أغنية الطفل، ص 133.

فالأغنية فنٌ واسع مارسه الناس في صغرهم، يطلقون لأنفسهم العنان في هذا الميدان جماعات وأفراداً، وردّوا ما حفظوه من أغنيات تراثية وفولكلورية في صوت واحد، ونغم جماعي بصوت واحد " وما زال الأطفال يحبون النشيد ويحبون الأغنية، فينشدون في المدرسة، وفي الصف، وفي الساحات العامة، ويغنون أغاني الفرح والمناسبات والأعياد في ملاعبهم، وحقولهم وحدائقهم"(52).

فجميع الأطفال يتمتعون بالأغاني التي يحفظونها من تراثهم الشعبي، ويتناقلونها عبر الأجيال والعصور، ويحاولون ترديدها في ألعابهم وشوارعهم وحاراتهم، ومناسباتهم الوطنية والدينية والاجتماعية، وتختلف الأغاني باختلاف مناسباتها، فمن أغاني للمطر، وأخرى للحصاد، وأغانٍ للصيد وأخرى للعب والفرح.

ومن أغانيهم التي تبعث الفرح في نفوسهم عند سقوط المطر في فصل الشتاء(53):

(51) أبو معال، عبد الفتاح: دراسات في أناشيد الأطفال وأغانيهم ط1، عمان، دار البشير، 1986، ص 47.

(52) نفسه: ص 33.

(53) سرحان، نمر: موسوعة الفولكلور الفلسطيني، عمان ط2 1989، ص 48.

إشتي يا دنيا و زيدي

بيتنا حديدي

عمنا عبد الله

رزقنا على الله

شمسي يا شميسة

ع قرون عيشه

عيشه بنت البابا

تلعب ع الشـباب

ليس هناك فرق بين الأغنية والنشيد ما دام الطفل يقبل عليهما نتيجة حبه للموسيقا، فالأغنية: "هي عبارة عن كلمات ملحنة تصحبها موسيقا، فيما النشيد هو عبارة عن نمط من الشعر السهل، يحفظه الأطفال ولا تصحبه موسيقا، وإنما يعتمد فيه على موسيقا الألفاظ" (54).

ويمكن تعريف الأغاني أيضاً بأنها "قطع شعرية سهلة في طريقة نظمها وفي

(54) اللبدي، نزار وصفي: أدب الطفولة واقع وتطلعات، ص 60.

مضامينها، تنظم على وزن مخصوص وتصلح لتؤدى جماعياً أو فردياً⁽⁵⁵⁾.

غير أن لهذه الأغنية ما يميزها عند الطفل الفلسطيني نتيجة لظروف القهر والمعاناة والاحتلال، ولهذا كان لها النصيب الأكبر في التعبير عن مشاعره، حيث إن الطفل الذي فقد وطنه وأرضه والمجتمع الذي يحميه ويحنو عليه، ويمده بالسعادة والتراث، قد أصبح بلا هوية ودون كيان ودولة ترعى شؤونه خلافاً لغيره من أطفال العالم، فهو يواجه واقعاً تتنوع فيه الممارسات السلوكية والأنماط التراثية، حيث انعكس هذا الأمر على نفسيته الصغيرة وأغانيه البريئة وأناشيده وألعابه التي ينبغي أن تضج بالفرح والسرور والأمل، ومن هنا يلاحظ أن الأغنية الفولكلورية الفلسطينية استطاعت أن تستجيب لحركة المواجهة في التشبث بالأرض والفداء، امتداداً وتعزيزاً متداخلاً للأغنية الشعبية التي تستلهم وتمجد العمل الفلسطيني الجديد ضد الموت، وضد الضياع⁽⁵⁶⁾.

وهذه الأغاني التي تتسم بالسهولة والبساطة، ذات جذور قديمة عند جميع الأمم ولها مكانتها المتميزة في الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى أنها نوعٌ متميزٌ من أساليب التربية الهادفة، تلك التي تسعى إلى صقل نفسية الطفل وتهذيب سلوكه، ودفعه إلى فهم ما في الحياة من قيم جمالية وإنسانية، إضافة إلى حثه على روح المشاركة بالعمل الجماعي، والانتماء الفعلي للجماعة، ومحاولة تغيير الواقع الذي يعيش فيه، حيث أن "للغناء الجماعي الأثر الفعّال في تعويد الأطفال على القيام بالأعمال المشتركة التي تربى فيهم روح النظام والحرص على الدقة بالعمل"⁽⁵⁷⁾.

ولقد عرف الطفل الفلسطيني الأغنية في معظم مجالات الحياة التي تزخر بالانفعالات من

(55) العناني، حنان: أدب الأطفال ط1، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، 1990، ص 29.

(56) الخليلي، علي: أغاني الأطفال في فلسطين، القدس، منشورات صلاح الدين، 1978، المقدمة.

(57) أبو السعود، إلهام: دراسات في أغنية الطفل، ص 133.

فرح وسعادة وحزن، فمارسها في ملاعب صباه، مثلما مارسها في البيت والمدرسة، (كُتَّاب القرية) الذي كان يمثل المدرسة قديماً، واستغلها شيخ الكُتَّاب في تعليم الأطفال، فألف الأغاني التي تصف حروف الهجاء ليسهل على الأطفال حفظها، " وهذا النوع من الأغاني التربوية لا ينحصر في أبجدية الكتابة، بل يتعداها إلى معالجة جوانب أخرى من الحياة العامة "(58).

لكنّ الهم الوطني الفلسطيني سيطر على الصغار مثلما كان يسيطر على الكبار، واستطاع هذا الجانب أن يأخذ مكانه في نفسية هؤلاء الأطفال، فتميزت أغانيهم إلى جانب سداجة التعبير والتلقائية بالهم الوطني الذي اصطبغت به ألعابهم ذلك أن " الموضوع الوطني يسيطر على الأغاني الشعبية كواحد من موضوعاتها الرئيسية "(59).

وقد ردّد الأطفال أغاني الأرض والبطولة والوطن بشكل جماعي، وهم يستمدون صورهم وألفاظهم من عبارات ردها بعض رجالات الثورات الفلسطينية المتعاقبة ومن ممارساتهم، فمن أغانيهم التي كانت شائعة في عهد الانتداب البريطاني (60):

يحيا الوطن يحيا الدين يحيا شعب فلسطين

وانتويا شعب العرب عالحكومة منصورين

ثلث سنين بلّيا لي ما نمنا بالعلالي

واحنّا بروس الجبال للحرب مستعدين

(58) البرغوثي، عبد اللطيف: الأغاني العربية الشعبية في فلسطين والأردن ط1، القدس، مطبعة الشرق العربية، 1979، ص 41.

(59) نفسه: ص 50.

(60) الناعوري، عيسى وإبراهيم القطان: بطولات عربية من فلسطين، عمان، المطبعة الوطنية، 1956، ص 48.

فالطفل الفلسطيني لا بد أن يلعب ويغني مثل الآخرين، فهو يمتلك تراثاً شعبياً ضخماً يتحرك فيه، فالوطن غائب والدولة مفقودة، والبيت والشارع والحارة هي مجال التعبير الطفولي عن الماضي الغائب والحاضر الغامض والمستقبل المجهول.

فكانت أغنية الطفل الفلسطيني إحدى الأشكال التعبيرية التي تحمل بداخلها الموروث الشعبي للمجتمع، لكنها لا تخضع لمنطق سوى منطق الأطفال أنفسهم، فهي تتجاوز كل التقاليد والأعراف، فقد كانت نشأتها بالأصل لتناسب الحركات التي يقوم بها الأطفال أثناء لعبهم، ويلتزم إيقاع هذه الأغاني بإيقاع تلك الحركات التي يقوم بها الأطفال أثناء لعبهم، فالأطفال هم الأغاني، والأغاني هي الأطفال، لأن الأغنية بحد ذاتها جاءت لتتلاءم مع ميول الأطفال ورغباتهم للتعبير عن انفعالاتهم في كل أحوالهم النفسية، "فهي لون من ألوان النشاط الاجتماعي قبل أن تكون مجرد أغانٍ وألعاب" (61).

وليس بالضرورة أن تكون هذه الأغاني بمجملها من صنع الكبار، وإنما قد يكون بعضها من صنع الصغار أنفسهم، وخير دليل على ذلك بساطة الأفكار والكلمات، "ولا بد أن أجزاء من أغاني الأطفال قد أوحى بها الكبار أو صنعوا أجزاء منها" (62)، وهذه بعض الأمثلة لأغاني الأطفال التي هي من صنعهم، حيث كانوا يغنونها في الأعراس (63):

بلبل بلابل ع روس الشجر

غمزني بعينه وصفق وطار

(61) مرسي، أحمد: الأغنية الشعبية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970، ص 59.

(62) كناعنة، شريف وآخرون: الإجاب والطفولة، البيرة، جمعية إنعاش الأسرة 1984، ص 398.

(63) نفسه: ص 398.

يا أهل المدينة اسمعوا الخبر

جابو للعتيقه أساور خشب

جابو للجديده أساور ذهب

وفي أغنية أخرى تحمل معاني دينية وتُغنى في المناسبات الدينية كالحج⁽⁶⁴⁾:

سناسل سناسل سناسل ذهب

حمامه حمامه ثلاث حمامات

وحده يتصلي ووحده يتصوم

مرقت عبّله بنت النور

حاملة حبيبها ورايحة تزور

ثانياً: أناشيد الأطفال في الشعر العربي

- 1- تعريف النشيد.
- 2- أهمية النشيد.
- 3- النشيد والغناء عند العرب.
- 4- النشيد والموسيقا والعلاقة بينهما.
- 5- المعايير التي يجب توافرها في النشيد.
- 6- مراعاة النشيد لمراحل الطفولة.
- 7- أنواع النشيد.
- 8- الأناشيد في المناهج المدرسية.

الإنسان ميل بفطرته إلى الموسيقى، فهو يغني أثناء عمله وينشد، فالغناء في المجتمعات على اختلاف أشكالها وأجناسها جزء لا ينفصل عن حياتها، فهو يلامس وجدان الإنسان، ويغذي إحساسه ويملأ كيانه بالحيوية والنشاط والانفعال، وما لجأ الإنسان إلى الغناء إلاً لحاجته للتعبير عن مشاعره وانفعالاته، وتصريف طاقته الوجدانية، والتسرية عن نفسه وقت العمل والحركة، وشنح النفس بالهمة والنشاط، ثم التوسل لتتويم الطفل أو لحمله على أن يكف عن البكاء لملاعبته وتدليله⁽⁶⁵⁾.

يضاف إلى ما تقدم أن الغناء يستخدم وكذلك لتحقيق بعض الأهداف التربوية، ومنها تعميق القيم وتنظيم السلوك وتعليم الأطفال بعض الأمور عن طريق الغناء لهم، فالشعر للأطفال مهم جداً، لأنه ينمي خبراتهم ويزيد من تجاربهم ويربي أحاسيسهم وأذواقهم، ويضفي كثيراً من الصور الجميلة والرؤى العذبة على صور التعبير، وينشط خيالاتهم ويساعدهم على اكتشاف الجمال والتعمق في الإحساس به، والنشيد جزء من الشعر، يضفي الفرح والمتعة، فهو لحن جميل يعشقه الأطفال، فيه الموسيقى والإيقاع والجمال، وهم يتقبلونه بسرعة لبساطته وسهولته، لأنهم يميلون لموسيقاه بطبيعتهم ولديهم استعداد غريزي، فهو لا يختلف عن شعر الكبار إلاً في أسلوبه ومحتواه، وهو يغني مخيلة الطفل ويزوده بالمعارف والعلوم، ولقد عرفه العرب قديماً، وتداولوه في بيوتهم وألعابهم وأطفالهم، وساروا على دربه نهجاً صالحاً وسليماً في مجال تربية الأبناء.

1- تعريف النشيد:

جاء في باب (نَشَدَ) فلان - نَشَدًا، ونَشَدَانَا: تذكر.

(أُنشَدَ) الضالّة: عرّفها ودلّ عليها، ويقال نشدته، فأُنشدني وأنشد لي - والشعر قرأه

⁽⁶⁵⁾ أبو سعد، أحمد: أغاني ترقيص الأطفال عند العرب ط1، بيروت، دار العلم للملايين، 1974، ص 19.

رافعاً صوته (تتأشَدوا) الأشعار: أي أنشدَها بعضهم بعضاً.

(الأنشودة): الشعر المتناشد بين القوم، يُنشِدهُ بعضهم بعضاً، وقطعة من الشعر ينشدُها القوم على إيقاع واحد، والجمع أناشيد.

(النشيد): الصوت ورفع مع التلحين، والأنشودة: قطعة من الشعر أو الزجل في موضوع حماسي أو وطني تُنشِدهُ جماعة، جمع أناشيد⁽⁶⁶⁾.

وجاء في القاموس المحيط في مادة نشد:

(نَشَدَ) الضالة نَشَدًا ونَشْدَةً ونَشَدَانًا بكسرهما طَبَّهَا وعَرَّفَهَا، وفلاناً عرفه معرفةً، وبالله استحلَّفَ وفلاناً نَشَدًا، قال له نَشَدْتُكَ اللهُ أي سألتك بالله ونَشَدَكَ اللهُ بالفتح، أي أنشُدَكَ بالله وقد ناشدَهُ مناشدةً ونشاداً حَلَفَهُ وأنشَدَ الضالَّةَ عَرَّفَهَا واسترشد عنها ضدُّ والشعر قرأه وبهم هجَاهم، وتناشدوا أنشدَ بعضهم بعضها، والنشدة بالكسر الصوتُ والنشيدُ رفعُ الصوتِ والشعرُ المتناشدُ كالأنشودة جمعُ أناشيدُ واستنشدَ الشعرَ طلبَ إنشاده وتنشدُ الأخبارُ أراغها ليعلمها ومنشدٌ كمحسن⁽⁶⁷⁾.

ومن هنا يلاحظ أن النشيد لغة، هو رفع الصوت مع التلحين أحياناً.

أما في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب:

فنشيد الأطفال، وأغنية الأطفال، هو أغنية بسيطة ذات ألفاظ سهلة قد تكون ذات مغزى يُنشدها الأطفال بلحن ساذج، أو تنشدُ لهم بُغْيَةً التسلية، أو المساعدة على النوم.

⁽⁶⁶⁾ أنيس، إبراهيم ورفاقه: المعجم الوسيط، ج2، ص 921.

⁽⁶⁷⁾ الفيروز أبادي، الشيخ مجد الدين محمد يعقوب: القاموس المحيط ط2، القاهرة، المكتبة الحسينية المصرية،

1344هـ، ص 341، فصل النون، باب الدال.

وقد أمكن حصرها بأناشيد الأطفال في المصادر، التي تناولتها في الفوازير والحكم المتداولة والعادات والتقاليد، والشعر الديني والشعر الذي يتناول سير شخصيات تاريخية، أو قد تكون كلاماً خاصاً بالألعاب الجماعية للأطفال، أو أشعاراً تساعد على العدّ، وعند العرب على اختلاف شعوبهم مادة غزيرة من أغاني الأطفال، كأغاني رمضان وأغاني الألعاب الجماعية، وأغاني المهد⁽⁶⁸⁾.

2- أهمية النشيد:

للأناشيد أهمية كبيرة في حياة الصغار والكبار، لكنها أعلى شأنًا عند الصغار، فالشعر بما يحويه من موسيقا وإيقاع، يثير الخيال والوجدان، ويبعث في النفس مشاعر البهجة والفرح.

فهو أقرب الفنون الأدبية للفطرة البشرية، لما فيه من انفعال وعاطفة، وصور جميلة تثير الإحساس بالفن والجمال، والأطفال بطبيعتهم ميالون للموسيقا، إذ يهتزون لها طرباً ومرحاً، لأن " الكلام الموزون ذا النغم الموسيقي يثير فينا انتباهاً عجباً " ⁽⁶⁹⁾، " ويثير فينا بفضل خصائص صياغته إحساسات جمالية من لون فريد " ⁽⁷⁰⁾.

وفي المناهج التربوية الحديثة يُعدُّ النشيد أحد الأساليب المهمة في بناء شخصية الطفل، وتنمية قدراته ومعارفه ومواهبه، ولهذا بقيت الأناشيد على قدرٍ من الأهمية لأنها:

أ- تُرغِّب الأطفال في التعلم، والإقبال على الدراسة والمدرسة، وإدخال المتعة والمعرفة إلى نفوسهم.

⁽⁶⁸⁾ وهبه، مجدي وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 411-412.

⁽⁶⁹⁾ أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر ط5، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978، ص 12.

⁽⁷⁰⁾ الهيثي، هادي نعمان: أدب الأطفال فلسفته وفنونه ووسائله، ص 207.

ب- تعودهم على الجرأة وطلاقة التعبير، وتبعث فيهم روح المبادرة والعمل الخلاق، وتعزز الثقة بالنفس.

ج- تعمق فيهم القيم والفضائل والمثل العليا، وتعزز في نفوسهم الشعور بالانتماء للأسرة والمجتمع والوطن.

د- تزودهم بألفاظ اللغة وعباراتها الجميلة والبسيطة، وتساعدهم على تذوق الفنون بأشكالها.

هـ- تُعوّد الطفل حسن الاستماع والانتباه، والاستمتاع بكل ما هو جميل.

و- تُعدّ الأناشيد من وسائل التعليم المهمة، لما لها من آفاق واسعة في الموسيقى والمعرفة والخيال.

ز- تساعد الطفل في التغلب على الخجل والتردد والانطواء وعيوب النطق، وتساعد على إخراج الأصوات من مخارجها الصحيحة.

ح- تُعوّد الطفل على الطاعة والصبر والالتزام، واحترام الآخرين، وتوجه سلوكيات الأطفال بالشكل السليم.

ط- تُتمّي الذوق الأدبي لدى الأطفال، بتقدير المعاني والأخيلة والأساليب الأدبية الجميلة، والكشف عن الموهوبين منهم.

ونحن قد لا نقدر أهمية التشديد في بعض الأحيان ولا " نعرف نفسية الأطفال عندما يحفظون هذه الأناشيد ويعودون بها إلى البيت، فإنهم ينشدونها في الطريق، وفي البيت، فيفرح الآباء ويسرون"⁽⁷¹⁾.

(71) الحسيني، خليل محمد سالم: دراسات في أدب الأطفال، ط1، رام الله، وزارة الثقافة الفلسطينية، 2001، ص 101.

3- النشيد والغناء عند العرب:

لقد انتهج العرب قديماً الأصول التربوية التي تصقل شخصيات أطفالهم، وتهذب نفوسهم، وترفع من شأنهم، وذلك بأسلوب مفعم بالفرح والمتعة التي تسري عنهم، وتحقق الهدف المنشود في نفوس صغارهم، فارتجلوا لهم شعراً وأناشيد تسهم في تربيته، وتعبر عن أمانيتهم بهم، وارتجزوا المقطوعات التي تختلط فيها الموسيقى بالغناء، ليمنحوا النشوة والبهجة لأطفالهم، ويوفروا لهم ما يستطيعون من السكينة والهدوء.

ومن أجمل الأناشيد التي بلغت الأم بها ذروة الرقة والعاطفة والحنان، هذه الأنشودة لامرأة من الأعراب، كانت ترقص ولدها وتقول⁽⁷²⁾:

يا حبذا ريح الولد

ريح الخزامى في البلد

أهكذا كل ولد

أم لم يلد مثلي أحد

ولم يهتم العرب بالنثر في هذا المجال، لأن الشعر أسهل للحفظ والتناقل، وأطرب للنفس وأزكى، مما أذكى اهتمامهم بشعر الأطفال، فهم يغنون لهم بشعر جميل منذ مرحلة المهد لتتويعهم أو مداعبتهم، وقد جاء في كتب بعض الأقدمين ما يفيد بأهمية

(72) الأبيشي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح: المستطرف في كل فن مستظرف ج2، الطبعة الأخيرة، (د.م) دار إحياء التراث العربي (د.ت) ص12.

الشعر وضرورة رواية الأطفال له، بعد اختيار المناسب لأعمارهم والمؤثر في تربيتهم⁽⁷³⁾.

وقد روي عن فاطمة بنت أسد بن عبد مناف، أنها كانت ترقص ابنها عقيلاً لما كان طفلاً، وتقول متوسمة في ابنها أن يكون خير الناس، في القوة والشجاعة، وعدم الخوف من المجهول⁽⁷⁴⁾:

لو ظمى القوم فقالوا: من فتى

يخلف، لا يردعه خوف الردى

فبعثوا سعداً إلى الماء سدى

في ليلة بيانها مثل العمى

بغير دلو ورشاء لاستقى

أمرد يهدي رأيه رأي اللحي

أما فاطمة بنت نعجة الخزاعية، فكانت ترقص ولدها وتبث في مسامعه الخصال التي تحب أن يكون ولدها عليها، مثل الحلم والصبر، وتقدمه على غيره من الشبان، فتقول منشدة⁽⁷⁵⁾:

(73) أبو سعد، أحمد: أغاني ترقيص الأطفال عند العرب، ص10.

(74) الأندلسي، أحمد بن عبد ربه: العقد الفريد ط1، بيروت، ج1، دار الكتب العالمية، 1983، ص 278.

(75) الأندلسي، أحمد بن عبد ربه: العقد الفريد ط1، بيروت، ج1، دار الكتب العالمية، 1983، ص 63.

إن يزيد خير شبان العرب

أحلمهم عند الرضا وفي
الغضب

يبدر بالبذل وإن سليل وهب

تفديه نفسي ثم أمي وأب

وأسرني كلهم من العطب

إن مشاعر الأبوة الصادقة والعاطفة المتأججة نحو الأبناء، كانت أحد الحوافز التي أسهمت بتدفق الفيض الشعري لديهم، تلك الدوافع القادرة على تزويد الفرد وإمداده بروافد غنية تتدفق فيها قدراته ومواهبه الفنية، فكانوا كثيراً ما يظهرون حبهم الشديد، وإعجابهم الكبير بهم من خلال النشيد والغناء، وكانوا كثيراً ما يتمنون لهم المقامات الرفيعة والقوة والسيادة.

ولقد روي عن امرأة كانت ترقص ابنها، وتشير إلى الصفات النبيلة التي كانت تفاخر بها، وتتوسم بابنها الخير والعطاء، والذكاء والقدرة والحلم، فتقول⁽⁷⁶⁾:

إن بني ســــــيد
العشيرة

(76) السابق: ص 63.

عَفَّ صَالِبٌ حَسَنٌ

السَّريَّةُ

جَزَلَ النَّوَالُ كُفُّهُ

مَطِيرَةٌ

يُعْطِي عَلَى الْمِيسُورِ

وَالْعَسِيرَةُ

وكان العرب يتوسمون بأولادهم خير القبيلة والمجتمع والإنسانية، وحسن الأخلاق والعادات الحميدة، ولم يغفل القرآن الإشارة إلى ذلك عند البشر جميعاً وليس عند العرب وحدهم، فقال جل شأنه: [المال والبنون زينة الحياة الدنيا]⁽⁷⁷⁾.

كما روي عن عبد المطلب بن هاشم جد الرسول -عليه الصلاة والسلام- أنه رَقَّصَ العباس، وكان يتوسم فيه الخير فيقول ما يتمناه بهذا الطفل الصغير من سقاية للحاج وإطعام الناس وإغاثتهم⁽⁷⁸⁾:

ظَنِّي بعباسٍ حَبِيبِي إِنَّ كَبْرُ

أَنْ يَمْنَعَ الْقَوْمَ إِذَا ضَاعَ

الدُّبُرُ⁽⁷⁹⁾

⁽⁷⁷⁾ سورة الكهف، الآية 46.

⁽⁷⁸⁾ السابق: ص 77.

⁽⁷⁹⁾ الدُّبُرُ: الظهر.

وينزعُ السَّجْلَ إِذَا الْيَوْمُ
أَقْمَطَرُ⁽⁸⁰⁾

ويسقي الحاج إذا الحاج
كثُر⁽⁸¹⁾

وينحرُ الكَوْماءَ فِي الْيَوْمِ
الحَصْرُ⁽⁸²⁾

ويفصل الحُطَّةَ فِي الْيَوْمِ
المُبِرُ⁽⁸³⁾

ويكشَوَ الرِّيطَ الْيَمَاتِي
وَالْأَزْرُ⁽⁸⁴⁾

ويكشف الكرب إذا ما الخطب
هَرُ⁽⁸⁵⁾

⁽⁸⁰⁾ السَّجْلُ: الجود والعطاء، أَقْمَطَرُ: اشتد.

⁽⁸¹⁾ الحاج: الذي يحج، الحاج: من الحاجة.

⁽⁸²⁾ الكوماء: الناقة السمينة.

⁽⁸³⁾ المُبِرُ: الخصب، المعطاء

⁽⁸⁴⁾ يكشَو: انتزع، الريط: الملاء كلها نسخ واحدة وقطعة واحدة

⁽⁸⁵⁾ هَرُ: وقع واشت

أَكْمَلُ مَنْ عَبْدُ كَلَالٍ وَحُجْرٌ

لَوْ جُمِعَا لَمْ يَبْلُغَا مِنْهُ الْعُشْرُ

فالأولاد هم الأكباد، والولد ريح من ريح الجنة، عبارتان طالما ردهما العربي في معرض حديثه عن الأبوة والبنوة، ولقد كان من مظاهر حب العرب لأبنائهم، أنهم كرهوا أن ينام الطفل باكياً، وحبذوا تدليله وترقيصه، حتى ينعم في نومه⁽⁸⁶⁾.

ولقد كان لكل ما سبق من أمثلة دلالة واضحة على ما كان العربي يتمنى أن يكون عليه ابنه، ورؤيته لولده في أحسن الظروف والأحوال، ويتضح مما تقدم أيضاً أن المجتمع العربي قديماً، كان مدركاً لأهمية تحلي الأبناء بالقيم والمبادئ، التي يجب أن يهتدوا إليها في تنظيم مواقفهم وسلوكهم وعلاقات بعضهم ببعض، ويلاحظ من خلال الأغنيات والأناشيد التي وردت، أن معظمها يحمل في مضمونه صفات البذل والعطاء والنباهة والقدرة ورجاحة الرأي، إذ إن المجتمع العربي كان باهتمامه بهذه الخصائص والصفات والمعاني، يحاول أن يمهد الطريق أمام أبنائه، بغض النظر عن الجنس ذكراً كان أم أنثى، بتوفير النماذج المثالية لأنماط السلوك المحببة لديه، وتدريبهم على التعود على ممارستها، حتى يحفلوا بالسيادة والسمو في مجتمعهم.

4- النشيد والموسيقا والعلاقة بينهما:

الأطفال بطبيعتهم ميالون إلى الموسيقا، يطربون للأغاني التي تثير مشاعرهم وتحرك أحاسيسهم، فيرقصون مع النغمات التي يستمعون إليها، ويتميلون مع إيقاعاتها، حيث تشكل لهم مصدر فرح وسعادة، ويمكن الاستفادة في انسجام الأطفال مع الموسيقا

⁽⁸⁶⁾ السابق: ص 47-48.

وميلهم إليها، ولعل أوضح جوانب الإفادة تظهر في حفظهم وترديدهم للأغاني والأنشيد بسرعة كبيرة.

فالموسيقا تملأ النفس بهجة وفرحاً، وهي أقوى العناصر تأثيراً في النفس، حيث تدرك بالإحساس، وتساعد على مخاطبة العواطف وملامستها، وأغاني الأطفال لها إيقاعاتها التي تستمدّها من الأوزان والقوافي والكلمات⁽⁸⁷⁾.

ومن خلال الغناء والرقص أو الإصغاء، يستطيع الطفل أن يمارس حقه في التعبير عن نفسه في حالات الفرح والحزن والغضب والخوف والاطمئنان، إذ إن الغناء هو أحد الأنشطة التي يحصل بها الأطفال على السعادة، أو يحققون من خلالها بعض رغباتهم وحاجاتهم النفسية.

والموسيقا تعدّ من الوسائل الحديثة للتعليم مما دعا المربين إلى اعتمادها وسيلة ناجحة في تنقيف الأطفال وتربيتهم، حيث يستطيع المربون أن يبتثوا في نفوس أطفالهم حب اللغة والمفاهيم والقيم النبيلة، والإقبال على تعلم قراءة النشيد وكتابته، لا سيما وأن الطفل قد يحفظ بعض الأنشيد والأغاني الملائمة لعمره قبل أن يتعلم القراءة والكتابة⁽⁸⁸⁾.

فالطفل من خلال ترديده وتكراره لنشاط محبوب إلى نفسه كالغناء، لا ينسى تلك المفاهيم التي تعلمها، حيث يعمد إلى ترديدها دائماً وكلما خلا إلى نفسه، " فالغناء يزوده بقتاعة شخصية بكل كلمة ويجعله يحفظها ويرددها "⁽⁸⁹⁾.

5- المعايير التي يجب توافرها في النشيد:

⁽⁸⁷⁾ حلاوة، محمد السيد: مدخل إلى أدب الأطفال، ص 23.

⁽⁸⁸⁾ نفسه: ص 237.

⁽⁸⁹⁾ فرج، أميرة، وآخرون: دليل المعلم في التربية الموسيقية، القاهرة 1983، ص 58.

أ- **المضمون:** حيث يفترض أن يكون موضوع النشيد مرتبطاً بواقع الطفل وبيئته، وما يحيط بها من مظاهر طبيعية واجتماعية وإنسانية، بالإضافة إلى قضايا القومية والوطنية، وما يتعلق بالإنسان والطير والحيوان، إلى جانب الموضوعات التي تتصل بحياته الشخصية مثل، احترام الوالدين والوفاء لهما، وتعميق القيم الروحية والمثل الإنسانية العليا، حيث " يميل الأطفال إلى تلك الموضوعات التي تتصل بحياتهم اليومية وبواقعهم الطفولي "(90)، ومما يشترط فيه:

- 1- أن تحمل أفكاراً تزود الأطفال بالتجارب والخبرات، وتقربهم من الواقع الذي يعيشون فيه، بحيث يستطيع الطفل إدراكه ومعرفة ما يدور فيه.
- 2- أن يؤدي إلى الشعور بالمتعة والتشويق في موضوع النشيد، وأن يكون مناسباً لعمر الطفل الموجه إليه.

- 3- بث روح الفرح والمرح والتفاؤل في النشيد، لتنمية إحساس الطفل والإشراق النفسي، والتعامل مع أمور الحياة دونما تردد أو قلق، حيث " يستجيب الأطفال للنغم التكراري والوزن المنظوم الذي يضمن ارتباط اللفظ بالنغم "(91).

ب- **الكلمات:** ويشترط في كلمات النشيد أن تكون مما يتضمنه قاموس الطفل اللغوي والإدراكي، بحيث تكون ذات انسجام وترابط مع عمره وميوله، إلى جانب البساطة والسهولة والوضوح، لتكون قريبة من لغة الحديث اليومي، وفي حدود المخزون اللغوي للطفل، بالإضافة إلى تنوعها الذي يحتوي معانٍ تربوية هادفة، إذ لا بد من تلاؤم الألفاظ الواردة في النشيد مع فهم الأطفال.

(90) عيسى، محمد رفقي محمد فتحي: سيكولوجية اللغة والتنمية اللغوية لطفل الرياض ط1، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، 1987، ص 162.

(91) نفسه: ص 162.

ج- **العبارة:** يجب أن تكون عبارات الأناشيد واضحة في تراكيبها اللغوية، و مترابطة في أسلوبها، واضحة الأفكار، إلى جانب جمال أسلوبها وقوة صياغتها التي تتمثل في المثيرات التي تنبه مشاعر الطفل وتحرك وعيه وتنمي خيالاته، فبُعدها عن الحشو والتعقيد يفتح آفاق الانطلاق الرحبة أمام الصغار، وبالتالي فإن " الصياغة الشعرية يرتجى فيها أن تخاطب الطفل باعتباره كائناً إنسانياً متكاملًا وله ذوقه الحي ⁽⁹²⁾.

كما وينبغي أن يشيع فيها الإيقاع والموسيقا، اعتماداً على الأوزان والبحور الشعرية القصيرة والصادفية في أغلب الأحوال، " فامتزاج الإيقاع بالصيغة الشعرية الجيدة المناسبة لمستوى الطفل لغوياً وفكرياً، يعطي الشعر إمكانية الاستحواذ على وجدان الطفل وتنمية التذوق الفني والقدرة على التخيل ⁽⁹³⁾.

ويضاف إلى ما تقدم:

- 1- لغة النشيد لغة عربية فصلى وبسطة، للحفاظ على المستوى اللغوي لدى الطفل.
- 2- تلاؤم النشيد مع مراحل نمو الطفل ومستوياتها العمرية.
- 3- عدم الطول في مقاطع النشيد، وتوخي الخفة في الأسلوب، والبعد عن تكثيف الأفكار في النشيد الواحد.

6- مراعاة النشيد لمراحل الطفولة:

تعدُّ أناشيد الأطفال ذات قيمة تربوية للصغار، على اعتبار أنها وسيلة ناجحة

⁽⁹²⁾ رجب، مصطفى: *بين الفن والتربية، مجلة التربية،* القطرية، العدد 128، آذار 1999، تصدر عن اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، ص 200.

⁽⁹³⁾ نفسه: ص 196.

لاكتساب المعرفة، فأنشودة الطفل لها وقعها وأهميتها في حياة الشعوب بكل ألوانها.

فالنشيد يوفر بيئة خصبة لتربية الإنسان وتنشئة الأجيال، وترويضهم على التدوق والإحساس بالجمال، والتأثر بمعاني الأناشيد التي تنفذ إلى مشاعره ومداركه، وتزوده بالقيم الإنسانية التي من شأنها أن تصقل شخصيته، وتهدب نفسيته منذ بداية طفولته، " فالأطفال هم القطاع الممتد في عمر الإنسان منذ الميلاد، حتى سن الاعتماد على الذات (94)".

ومرحلة الطفولة المبكرة ذات أهمية كبيرة في حياة الإنسان بشكل عام، فهي الواقع الحي الذي يتربى فيه الإنسان، كما أن أثر التربية في هذه المرحلة يفوق أثرها في أي مرحلة أخرى، والأدب الذي يُقدَّم للأطفال في هذه المرحلة التي تعدُّ من أخطر المراحل في البناء الإنساني، لا يقل أهمية عن أي عنصر آخر من عناصر مرحلة التكوين وصقل الشخصية، حيث إن الطفل في أثناء نموه العقلي في هذه المرحلة يبدأ في التعرف على الحياة (95).

أما اختلاف الخصائص في نمو الطفل ورغباته في مراحل الطفولة، فإنها تشكل إشارات إيجابية في الكتابة للأطفال، لأن هناك ما يستدعي أن تتفق اللغة مع درجة نموهم الفكري والثقافي والمعرفي ضمن مراحل نمو الأطفال وتطورها على النحو التالي:

أ- من سن 3-5 سنوات، يكون الأطفال في هذه السن في مرحلة التصور الواقعي الذي تحيط به البيئة، ويناسبهم من النشيد ما يتفق ومحاكاة ما هو حولهم من طبيعة حية أو صامتة مثل النباتات والأشجار، والحيوانات والطيور، والأشخاص المألوفين

(94) عبد الفتاح، إسماعيل: أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص 18.

(95) محسن، حسن: في الشعر والنثر ط1، الكويت، مكتبة الفلاح، 1979، ص 169.

لديهم، وتكون هذه الأناشيد في هذه المرحلة وسيلة للعب والحركة وتقليد الأصوات، حتى يجذب الطفل إليها، وتسمى هذه المرحلة بمرحلة الخيال الإيهامي، أو مرحلة الواقعية والخيال المحدود بالبيئة، حيث يستخدم الطفل معظم حواسه للتعرف إلى بيئته المحدودة والمحيط به⁽⁹⁶⁾.

ب- من سن 5-9 سنوات، وتسمى بمرحلة الخيال الحر، ويناسب الطفل في هذه المرحلة النشيد المتصل باللعب والتمثيل والتقليد، وفيها يكون الطفل قد اكتسب بعض الخبرات المتعلقة ببيئته المحدودة، وبدأ يتطلع بخياله إلى عوالم أخرى، ويكون سلوك الأطفال في هذه المرحلة مدفوعاً بميولهم وغرائزهم، وفي هذه الحالة لا بد من استغلال بداية النضوج الذهني وتفتح الحس بأناشيد هدفها ثقافي، يرتبط بمعرفة البلدان، ووصف الحقائق العلمية مع بعض الخيال، مثل أناشيد الشمس والقمر والنجوم، وكذلك تنمية الذوق الفني والأدبي لدى الأطفال للإحساس بالأناشيد، مما يجعل موسيقاها مساندة لمعانيها، حيث أن الفضول الفطري في هذه المرحلة، يغني لغة الطفل لفظاً ومعنى⁽⁹⁷⁾.

ج- من سن 9-13 سنة، وهذه تسمى مرحلة المغامرة والبطولة، وتتفق مع إدراك الأطفال للأمور الواقعية، وفي هذه المرحلة يناسبهم النشيد الذي يمجّد البطولات، وما يتعلق بالفروسية والشجاعة والتضحية، ولا بد في هذه المرحلة من مراعاة الدقة في صياغة الكلمات، خاصة وأن الطفل في هذه المرحلة يميل إلى الاشتراك مع أقرانه في الجماعات المختلفة، وتبدو في أثنائها مظاهر حب السيطرة على الطفل، والميل إلى الأعمال التي تظهر فيها روح المنافسة والشجاعة والمغامرة، كما لا بد أن يتخلل النشيد في هذه المرحلة تناول حياة القادة والمصلحين

⁽⁹⁶⁾ السابق: ص 20.

⁽⁹⁷⁾ حسن، سعيد أحمد: أدب الأطفال ومكتباتهم، ط1، عمان، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة للنشر والترجمة، 1984، ص 52.

والأبطال، حتى تكون حصيلة الأطفال الدينية والوطنية حصيلة كبيرة تؤدي إلى تربية الإنسان على أفضل المثل في التضحية وحب الوطن وإنكار الذات⁽⁹⁸⁾.

وليس من شك في ضرورة مراعاة هذه المراحل عند وضع أناشيد الأطفال، لأنها تشكل ملامح جيدة وإشارات مفيدة في توجيه الكتابة لهم، حيث لا بد من ملائمتها للمستوى الذهني لهم، ومراعاة نموهم النفسي، لأن ضرورة انسجام اللغة مع موروّثهم الثقافي وزادهم اللغوي، تستوجب الأخذ بهذه المراحل.

" ألا ترى أنّ أبلغ الناس لساناً، وأجودهم بياناً وأدقهم فطنة، وأبعدهم روية، لو ناطق طفلاً أو ناغى صبيّاً، لتوخّى حكاية مقادير عقول الصبيان، والشبه لمخارج كلامهم، وكان لا يجد بُدّاً من أن ينصرف عن كل ما فضله الله به بالمعرفة الشريفة، والألفاظ الكريمة "⁽⁹⁹⁾.

وفي رأيي أن النشيد بإيجاز هو :

قطعة شعرية قصيرة، تتميز بالإيقاع والموسيقا، وإثارة الخيال وسهولة الألفاظ ووضوح المعاني، وجمال الفكرة، وتدخل الطرب إلى النفس، وتلفت الانتباه.

7- أنواع النشيد:

إن أناشيد الأطفال الجيدة والناجحة في الوصول إلى الغايات والأهداف المرجوة، في إحداث تربية سلوكية قويمية، هي تلك التي تكون ممزوجة بالخبرات والتجارب والمعارف، للربط بين عواطف الأطفال وأفكارهم، حتى تنثير فيهم صوراً شعورية

⁽⁹⁸⁾ أبو معال، عبد الفتاح: دراسات في أناشيد الأطفال، ص 48.

⁽⁹⁹⁾ الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر: رسائل الجاحظ ج3 ط1، بيروت، دار الجيل 1991، ص 37.

وانطباعات فنية واستجابات عاطفية، وبالتالي فإنه لا بد من تنوع أناشيد في مختلف المواضيع والأفكار، إلا أن الأناشيد تتعدد تبعاً لأغراضها، حيث يصبح لكل موضوع أناشيده التي تتحدث فيه، ومن أبرز هذه الأنواع:

أ- الأناشيد الدينية:

وهي التي تهتم بتأصيل القيم الروحية في نفوس الأطفال، وإظهار ما يتعلق بالحقوق والواجبات والفروض الشرعية، والحرص على تعزيز الإيمان، بتأكيد عظمة الخالق وقدرته ووحدانيته، وتوصيلها لعقولهم بصورة سهلة ومبسطة، ومحاولة الإجابة عن أسئلتهم فيما يتعلق بوجود الخالق وصفاته وإمكانية مشاهدته، وكذلك الحديث عن سيرة الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وإبراز صفاته ومناقبه ومواقف أهله وصحبه، والتطرق إلى المناسبات الدينية التي تسهم في ترسيخ الإيمان وتعميقه في نفوس الأطفال، فضلاً عن تعريفهم بشؤون العقيدة وتعلم أركانها، وإظهار أثر السلوك الإيماني على الإنسان، مثل الصدق والأمانة والوفاء، وطاعة أولي الأمر الصالحين والوالدين ومساعدة الآخرين⁽¹⁰⁰⁾.

ومن الأمثلة على هذا النوع، نشيد للشاعر (محمد الهراوي)⁽¹⁰¹⁾؛ يقول فيه⁽¹⁰²⁾:

الله جلَّ شأنه له الصفات الباقية

ربُّ السَّماءِ، والأرأ ضي والمياه الجارية

⁽¹⁰⁰⁾ أبو معال، عبد الفتاح: دراسات في أناشيد الأطفال، ص 49.

⁽¹⁰¹⁾ الهراوي، محمد: شاعرونائر مصري، ولد في قرية هرية زرتة سنة 1885، تعلم بالقاهرة والإسكندرية، اهتم بأدب الأطفال فكتب لهم، ينظر - معجم المؤلفين ج9، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت (دت)، ص 260.

⁽¹⁰²⁾ الهراوي، محمد: سميع الأطفال ج1، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ص25.

وَرَبُّكَ الَّذِي حَبَا لَكَ نِعْمَةً وَعَافِيَهُ

يَسْمَعُ مَا تَقُولُهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ

وَيَبْصُرُ النَّمْلَةَ فِي جُنْحِ اللَّيَالِي الدَّاجِيَةِ

مُقْتَدِرٌ ذُو رَحْمَةٍ وَآخِذٌ بِالنَّاصِيَةِ

فَخَفَّ مِنَ اللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ كُلَّ خَافِيَةٍ

ب- الأناشيد الوطنية:

تثير هذه الأناشيد حماس الأطفال، وتبعث في نفوسهم روح التفاعل والدفاع عن الوطن، وتعميق الشعور بالانتماء إليه، وتحثهم كذلك على توثيق أواصر الارتباط بالأرض وإعمارها وحمايتها من الغرباء، وتسعى أيضاً إلى استنهاض الهمم بالتركيز على أمجاد الوطن وفضائله، والالتفات إلى تاريخه وبطولات أبنائه وتضحياتهم في سبيل عزته ورفعته، والارتقاء به إلى منابر التقدم والحضارة والحرية⁽¹⁰³⁾.

ومن الأمثلة عليه هذا النشيد للشاعر السوري (فخري البارودي)⁽¹⁰⁴⁾ (أنت سوريا) الذي غناه الصغار والكبار⁽¹⁰⁵⁾:

⁽¹⁰³⁾ أبو معال، عبد الفتاح: دراسات في أناشيد الأطفال، ص 52.

⁽¹⁰⁴⁾ البارودي، فخري: من مواليد دمشق في العام 1889، تلقى علومه الأساسية فيها، ثم في فرنسا، له اهتمام

الموسيقا الشرقية والمطالعة، له عدد من المؤلفات الأدبية والأناشيد الوطنية - ينظر - من هم في العالم العربي

ج1، مكتب الدراسات السورية والعربية، دمشق 1957، ص 67.

(105) نصره، خالد: أحلى الأناشيد ط1، رام الله، مطبعة الوحدة، 1997، ص 17.

-1-

انت سوريا بلادي انت عنوان الفخامة

كل ما يأتيك يوماً طامعاً، يلقي حمامة!

انت سوريا بلاد في موحيا الأرض شامة

لن تكوني لسوانا ولأعداك الندامة

-2-

بين سوريا وقلبي صلة باتت غرامة

وطني روعي فداء لك من كل ظلمة

نحن في الحرب أسود ولدى السلم حمامة!

نطلب الموت لنحيا هل على هذا ملامة؟

-3-

دون مجد العرب شعب جرد اليوم حُسامه

هو شعبٌ ذو علاء ومضاء وشهامة

أيها السوري ناد بين رواد ... السـلامـة

أنت سـوريا بلادي انت عنوانُ الفخامة

ج- الأناشيد الاجتماعية:

وتسعى إلى الارتقاء بالصفات الاجتماعية الحميدة، والتركيز على روح التعاون والتفاعل بين أفراد المجتمع، وتزويد الأطفال بالقيم التي تصقل شخصياتهم، وتنظم علاقاتهم مع الآخرين، وإبعادهم عن عنصر الاتكالية والخمول، وتشجيع مبدأ الاعتماد على النفس.

كما وتدخل التراحم والتعاطف إلى نفوسهم، إضافة إلى ترويض الأطفال على كيفية الانخراط في الحياة العامة. " فأدب الأطفال يزود الفئة الموجه إليها بمقومات فهم أسباب السلوك الإنساني، ويتعرف الطفل عما يكمن وراء أشكال السلوك المختلفة من أسباب، وما يحركها من دوافع "(106).

ويقول الشاعر (عيسى الناعوري)⁽¹⁰⁷⁾ في نشيد يحث فيه الأطفال على الصدق⁽¹⁰⁸⁾:

(106) عبد الفتاح، إسماعيل: أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص38.

(107) الناعوري، عيسى: شاعر أردني معاصر، من مواليد قرية ناعور سنة 1918، له أعمال أدبية متنوعة، وشارك في العديد من المؤتمرات، عمل في التدريس، ينظر: أعلام الأدب المعاصر ج2، الأدب روبرت كامبل اليسوعي، الشركة المتحدة للتوزيع والنشر، بيروت 1996، ص 1292.

(108) الناعوري، عيسى: الأغاريد، القدس، المطبعة العصرية، 1958، ص 19.

عَيْبٌ أَنْ يَكْذِبَ إِنْسَانٌ إِذْ إِنَّ الْكَذِبَ يُقْبَحُهُ

لَكِنِ الصَّدَقُ يُنَجِّحُهُ

الطِفْلُ الصَّادِقُ مَحْبُوبٌ وَبِكُلِّ مَكَانٍ يُعْتَبَرُ

أَمَّا الْكَذَّابُ فَيُحْتَقَرُ

وفي صورة أخرى للشاعر السوري " عبد الكريم الحيدري " ⁽¹⁰⁹⁾ يدغدغ فيها
أطفال وطنه، ويحثهم على الرأفة والإنسانية وحسن معاملة الآخرين، فيقول على لسان
عصفورة تخاطب طفلاً تسلك إلى عشها ليعبث به ⁽¹¹⁰⁾:

أماناً أيها الطفل ودع ما يفعل النذل

أخي لا تمش كالوحش

تمد الكف للبطش

بأفراخ وبالعش

فعيشي لك لا يحلو فرفقاً أيها الطفل

⁽¹⁰⁹⁾ الحيدري، عبد الكريم: شاعر سوري معاصر، اهتم بأناشيد الأطفال وكتب فيها الكثير، ينظر: فتوح عيسى، أدب

الأطفال في سورية نشأته وتطوره، البيادر، العدد الرابع كانون أول، القدس 1980، ص

1-32.

(110) كنعان، أحمد علي: الطفولة في الشعر العربي والعالم ط1، دمشق، دار الفكر، 1995، ص19.

د- التشيد التعليمي:

حيث يساعد الطفل وينمي عنده مهارات اللغة، القراءة والكتابة والاستماع، وينمي لغته القومية من خلال أساليب ووسائل تربوية سهلة وبسيطة ترقى إلى مستوى تفكيره الصغير، ويهتم أيضاً بتزويده بعناصر المعرفة الضرورية من علمية ونظرية في مختلف الميادين، كما يشجع الطفل على حب المدرسة والإقبال على الدراسة، وبث روح الطموح العلمي بنفسه، والإسهام في بناء شخصيته بشكل يجعله يشارك في دفع المجتمع إلى مراكب الحضارة والتقدم والازدهار⁽¹¹¹⁾.

وفي نشيد مدرستي للشاعر (مصطفى صادق الرافعي)⁽¹¹²⁾ الذي يخاطب فيه التلاميذ، ويحببهم بالمدرسة والعلم والتعليم، يقول⁽¹¹³⁾:

مجداً مجداً مدرستي مدرستي مجداً مجداً

عن علمي عن تربيتي مدرستي حمداً حمداً

منك سيعرفني زمني في الأبرار فتى برا

منك سيأخذني وطني في الأحرار فتى حراً

(111) نجيب، أحمد: أدب الأطفال علم وفن ط3، القاهرة، دار الفكر العربي، 1986، ص 151.

(112) الرافعي، مصطفى صادق (1881-1937): عالم بالأدب، وشاعر، من كبار الكتاب، أصله من طرابلس، أصيب

بالصمم فكان يكتب له ما يُراد مخاطبته به، شعره نقي الديباجة، ونثره من الطراز الأول، له ديوان شعر من

ثلاثة أجزاء، وله مؤلفات أخرى عديدة. ينظر: الأعلام ج7، خير الدين الزركلي، ص 235.

(113) البدرى، مصطفى نعمان: أغاريد الرافعي، بغداد، الدار الوطنية، 1980، ص 56.

عهد الله مدرستي رجلاً بطلاً أن أغدو

قسماً قسماً مدرستي عن ذا العهد فلا أعدو

أما الشاعر (أحمد شوقي)⁽¹¹⁴⁾ في نشيده (المدرسة)، يدعو الأطفال إلى حب العلم والتعليم ويحثهم على الإقبال إلى المدرسة، فيقول⁽¹¹⁵⁾:

أنا المدرسة اجعلني كأم، لا تملّ عني

ولا تفزع كمأخوذ من البيت إلى السجن

أنا المصباح للفكر أنا المفتاح للذهن

أنا الباب إلى المجد تعال ادخل على اليمن

هـ - النشيد الوصفي:

⁽¹¹⁴⁾ شوقي، أحمد: الملقب بأمير الشعراء، ولد عام 1868 وتوفي 1932، من أشهر شعراء العصر الأخير، تمتع بثقافة عالية، درس الحقوق في مصر وفرنسا، له عدد كبير من المؤلفات ومنها للأطفال، ينظر: معجم المؤلفين ج1، عمر رضا كحالة، ص 188.

⁽¹¹⁵⁾ شوقي، أحمد: الشوقيات ج4، بيروت، دار العودة، 1988، ص 19 6.

وهو الذي يركز على الطبيعة، ويلفت انتباه الأطفال إليها، للإحساس بجمالها والتمتع بمحاسنها، والتعرف إلى مظاهرها من صيفٍ وشتاءٍ وربيعٍ وخريفٍ وليلٍ ونهارٍ، وكذلك التآلف مع مشاهدتها⁽¹¹⁶⁾. " فحب الطفل للطبيعة حب أصيل فطري وحنينه إليها طبيعي، وعلاقته بالأشجار والحيوانات والجمادات مبنية على الحب الأخوي لكائنات الطبيعة "⁽¹¹⁷⁾.

كما تسعى هذه الأناشيد إلى تنمية ملكة التأمل والملاحظة، فضلاً عن إبراز فوائد الطبيعة وفضائلها على الإنسان، وقدرة الخالق في خلقها، وأهميتها في توفير وسائل الحياة وثرواتها، وبالتالي ضرورة الحفاظ عليها وعدم العبث بها، لإفساد جمالها ومحاسنها.

ومن ذلك مخاطبة الشاعر العراقي " معروف الرصافي "⁽¹¹⁸⁾ عقول الصغار وعواطفهم في مقطوعة له يعمق فيهم من خلالها الإيمان بقدرة الله ونوازع الحب والجمال، فيقول⁽¹¹⁹⁾:

أنظر لتلك الشجرة ذات الغصون النضرة

كيف نمت من حبة وكيف صارت شجرة

وانظر إلى الشمس التي جذوتها مستعرة

⁽¹¹⁶⁾ لحام، جاك: أدب الأطفال (أغاني وأناشيد)، رام الله، 1987 ص 32.

⁽¹¹⁷⁾ محسن، حسن: في الشعر والنثر، ص 182.

⁽¹¹⁸⁾ الرصافي، معروف: أديب وشاعر عراقي، من مواليد بغداد في العام 1875، نشأ في الرصافة وتعلم فيها، عمل

معلماً وأستاذاً للآداب، له العديد من المؤلفات الشعرية، وتوفي في العام 1945، ينظر: معجم المؤلفين ج12،

عمر رضا كحالة، ص 306.

⁽¹¹⁹⁾ الرصافي، معروف: ديوان الرصافي، بيروت، دار العودة، 1972، ص 242.

فيها ضياء وبها حرارة منتشرة

أما الشاعر (شفيق جدائل)⁽¹²⁰⁾ فيتغنّى على لسان أطفال إحدى الرياض واصفين روضتهم بالجنة التي تحقق آمالهم، فينشد قائلاً في (روضة الأطفال)⁽¹²¹⁾:

يا روضة الأطفال في ظلها نلهو

يا جنة الآمال نزهو كما نزهو

يا روضة الأطفال

-1-

نحن ابتسام النور في عين أهلينا

تحلو لدى العصفور دنيا أمانينا

يا روضة الأطفال

و- النشيد الإرشادي:

وهو الذي يوجه مسلكيات الأفراد وممارساتهم، ويقودهم إلى الطريق السليم،

⁽¹²⁰⁾ جدائل، شفيق: شاعر لبناني معاصر، له الكثير من المؤلفات الأدبية وأنشيد الأطفال، ينظر: فليفل إخوان، ص12.

⁽¹²¹⁾ فليفل، إخوان: أناشيد قسم حديقة الحصانة، بيروت، وزارة التربية الوطنية للمدارس الرسمية، 1946، ص 12.

بالحكمة والموعظة والمثل، وينمي فيهم مواطن الإحساس بالمسؤولية، إلى جانب تهذيب نفوسهم وتجنبيهم مواقف الضعف والعجز والخطر، وكذلك تسعى إلى تنمية قدراتهم في التفريق بين الخطأ والصواب، وإدراك الدور الذي يجب أن يقوم به الفرد في مجتمعه للحفاظ على تقدمه، والإسهام في بنائه ورقيه، وإثراء الأطفال بالمزايا الإنسانية التي تجعل منهم النواة الصالحة لإقامة المجتمع القوي المتين، القائم على العلم والمعرفة والخصال الحسنة⁽¹²²⁾، وفي هذا التعبير الجميل يطلق الشاعر الهراوي صوته في نشيد له بعنوان (الهدية)، يقول فيه⁽¹²³⁾:

تَقَبَّلْ الهدية من حَسَن الطوية

وعَفَّ عنها من يد سيئة دنيئة

فَرُبَّ معطٍ حاجةً يمنُّ بالعطية

وأنت إن أعطيتها فباليد النقيئة

أما الشيخ (محمد البسطامي)⁽¹²⁴⁾ فيخاطب أبناء العرب، مطالباً إياهم بالتمسك بالعلم والأخلاق، والذود عن حياض الوطن، فيقول منشداً⁽¹²⁵⁾:

(122) عيسى، فوزي: أدب الأطفال، منشأة المعارف بالإسكندرية، الإسكندرية 1998، ص 28.

(123) الهراوي، محمد: سمير الأطفال، ج3، ص 15.

(124) البسطامي، محمد: ولد في مدينة نابلس سنة 1906 وتوفي فيها سنة 1996، عالم وشاعر وكاتب، تعلم في

مدارس مدينته وتخرج في الأزهر الشريف، له علاقات واسعة مع العديد من كبار الشعراء والكتاب والأدباء،

بينهم شوقي وحافظ ومطران والزركلي وإبراهيم طوقان، له ثمانية عشر مؤلفاً في الشعر والأدب والفقه واللغة،

ينظر: مدخل إلى أعلام نابلس في القرن العشرين ط1، نابلس، زهير الدبعي، مطبعة النصر، 2000، ص70.

(125) البسطامي، الشيخ محمد أحمد: الشادي في الأناشيد المدرسية الوطنية، نابلس، مطبعة النصر التجارية، 1948،

ص2.

أنتم بلبل الوطن فغردوا مدى الزمن

وادرعوا بالعلم والأخلاق يا ذوي الفطن

فمن يقصر في سبيل العلم لا يوق الفتن

ومن يرمُ نيل العِلا والمجد فالجدُ ثمن

لا خيرَ في فتى غفا عن المعالي وركن

موطنكم له منن فحققوا رجا الوطن

ز - النشيد المعرفي:

ويسهم في تزويد الطفل بالمفاهيم الثقافية، والاطلاع على العلوم والثقافات الأخرى، فضلاً عن المخترعات والصناعات الحديثة، تلك التي تتعلق بواقع بيئته وحياته اليومية، فتزوده بالمعلومات الضرورية عن الوسائل التقنية العصرية، وما لها من أثر على مستقبل الإنسان، مع تعريفه إلى فوائدها ومضارها وكيفية استخدامها، فإدراك الطفل للأشياء يوسع من قدرته على التخيل والتفكير، ويساعده كذلك في التعامل مع حاجاته الضرورية بوعي ناجح وتفكير سليم⁽¹²⁶⁾. فالأدب الحق " هو الذي يبصرنا عجائب الكون وغرائبه ومحاسنه ومفاته، ويضاعف شعورنا ويؤكد، ويطيل أمدّه ويجدده من الحين إلى الحين " (127).

(126) الديك، نادي ساري: في أدب الأطفال ط1، عكا، مؤسسة الأسوار، 2001، ص 196.

(127) أدهم، علي: فصول في النقد والأدب والتاريخ، ص 108.

وفي نشيد (السيارة) يحاول الشاعر البيتجالي (اسكندر الخوري)⁽¹²⁸⁾، أن يصف
السيارة لأطفال وطنه، حين كانت حديثة العهد في ذلك الوقت فيقول⁽¹²⁹⁾:

سارت بنا السيارة كأنَّها طياره

تستسهل الصَّعابا وتصدُّ الهضابا

وقودها البنزين تمشي ولا تلين

تختصر المسافة كأنَّها خرافة

أما الهراوي في نشيده الباخرة فيقول⁽¹³⁰⁾:

سفينة البخار تسير في البحار

مجدَّة في سيرها بالليل والنهار

تمرُّ بالثغور منْ مُخْتَلَفِ الأقطار

تنقلُ كلَّ راكبٍ من طالبي الأسفار

⁽¹²⁸⁾ البيتجالي، اسكندر الخوري: من مواليد بيت جالا في العام 1890، تعلم في مدارسها له العديد من المؤلفات

والدواوين الشعرية، ومن ضمنها مجموعات شعرية للأطفال وطلاب المدارس، كما أتقن ست لغات عالمية.

ينظر: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، يعقوب العودات ط3، القدس، دار الإسرائ، 1992، ص 63.

⁽¹²⁹⁾ البيتجالي، اسكندر الخوري: الطفل المنشد ط2، القدس، مكتبة فلسطين العلمية، 1945، ص 38.

⁽¹³⁰⁾ الهراوي، محمد: سمير الأطفال، ص 31.

ح- النشيد الترفيهي:

وهو النشيد الذي يسعى إلى إدخال البهجة والفرح والسرور إلى نفوس الأطفال، بالترفيه والتسلية والإمتاع⁽¹³¹⁾. وفي مقطوعة ترفيحية يصف الشاعر أحمد شوقي قطته، فيقول⁽¹³²⁾:

هرّتي جدُّ أليفةً وهي للبيت حليفةً

هي ما لم تتحرك دمية البيت الظريفة

فإذا جاءت وراحت زيد في البيت وصيفة

شغلها الفار: تنقي الرَّ فَّ منه والسقيفة

وتقوم الظهر والعصر بأورادٍ شريفة

وفي نشيد آخر للشاعر البيهقي (اسكندر الخوري)؛ يقول فيه⁽¹³³⁾:

بعوضةٌ في ذات يَوْ مِ شاهدتُ ثوراً كبيراً

وحامت فوق قَر نيَّهٍ مراراً وكثيراً

(131) الديك، نادي ساري: في أدب الأطفال، ص 195.

(132) شوقي، أحمد: الشوقيات، ص 188.

(133) البيهقي، اسكندر الخوري: الطفل المنشد، ص 51-52.

ثم استقرت فوق قر نٍ منهما تبغي سميرا

مرت ثوانٍ فاستحَّتْ عزمها كيما تطيرا

طارت وقالت عنك أنأى أيُّها الثور شكورا

8- الأنشيد في المناهج المدرسية:

الأنشيد من الفنون الأدبية المحببة للأطفال، تبرز أهميتها وسيلة تعليمية لما تحمله من موسيقا جميلة يميل إليها الصغار، وينجذبون لألحانها التي تتميز بها ألفاظها وعباراتها، ويرددونها متعة وفرحاً وسروراً، بأوقات فراغهم ولهوهم ونشاطهم، وقد يتحقق بواسطة تدريسها أهداف عديدة، منها التربوية، والخلقية، والتعليمية.

فالتلميذ حينما ينشد مع الجماعة، يشعر بأهميته الذاتية عنصر فعال ومؤثر، مثلاً يتأثر هو بذلك الصوت الرنان الذي يدغدغ مشاعره، ويداعب أحاسيسه، ويحرك أخيلته، فيقبل الأفكار الواردة فيه، ويتشرب المفاهيم والعظات التي قد يحملها بين كلماته بكل بساطة وسهولة⁽¹³⁴⁾.

ولمّا كانت الموسيقى تغري التلاميذ بذاتها، وتزيد من حماسهم إليها، وإقبالهم عليها، فإنه أصبح من الضروري الاستفادة من اندماج الصغار بها وتفاعلهم معها، وتمايلهم وتراقصهم مع أنغامها، وتجاوبهم مع ضرباتها الإيقاعية التي توقعها بين الفينة

(134) إبراهيم، عبد العليم: الموجه الفني ط3، مصر، دار المعارف بمصر، ص 226.

والأخرى، فيُستَعَلُّ ذلك في تدريس اللغة وتشكيل الصور التعبيرية الجميلة التي تحاول تقديم الفكرة والواقع للتلاميذ، حتى تلامس مداركهم الصغيرة ونفسياتهم الطموحة للمعرفة⁽¹³⁵⁾، فالأنشيد بأغراضها وألوانها المتعددة تسهم في توفير الثقافة الجيدة للأطفال، وتدفعهم لحب اللغة وتشوقهم إليها، كما تدربهم على النطق بها وكتابتها وقراءتها لا سيما وأنها تشكل منطلقاً حيويّاً ومؤثراً في نفوس الأطفال، فإنها تطبعهم بأساليبها الرشيقة، وأنغامها المعبرة، فالقدرة على تناول اللغة واستخدامها وممارستها، هي من أهم عوامل النمو الإنساني والاجتماعي.

وفضلاً عن ذلك فإن مرحلة التعليم الأساسي قد أنشأها المجتمع " لتكون مدخل الطفل نحو حياة اجتماعية ناجحة، ومواطنة فعّالة مؤثرة، وأراد لها أن تكون المعبر الأول الذي يجتازه الطفل مزوداً بمهارات وقدرات تفتح له طريق السير في حياته "⁽¹³⁶⁾.

وعلى هذا الأساس اتسم النشيد بطابعٍ منهجي في تعليم الصغار، وذلك حينما تم وضعه في مقرراتهم الدراسية، حيث أصبح درس النشيد من الدروس المحببة إليهم، وأصبح درس الموسيقى في معظم الأحيان مصاحباً له.

فالمعلم قد يستفيد من الموسيقى الجميلة في الإنشاد، وانجذاب الأطفال إليها، وحيث أن بعض الأنشيد قد يسهم في إحياء المناسبات والمواسم، وتجديد الصور والقضايا التراثية، وكذلك التعبير عن مختلف الأعياد والتفاعلات الإنسانية، إلى جانب تصوير الحياة الاجتماعية للواقع الذي يلامس عواطف الطفل وأفكاره، كل ذلك أدى إلى الاهتمام بضرورة احتواء المناهج المدرسية المقررة للصغار على الأنشيد التي تربط بينها وبين الحياة المدرسية والاجتماعية في شتى المناسبات " فارتباط التعليم بالواقع يجعل التعليم أقوى

(135) أبو مغلي، سميح: الأساليب الحديثة لتدريس اللغة العربية ط2، عمان، مجدلاوي للنشر والتوزيع، 1986، ص 47.

(136) مذكور، علي أحمد: تدريس فنون اللغة العربية ط2، الكويت، مكتبة الفلاح، 1991، ص 21.

وأبقى أثراً، ويثبت المعلومات في ذهن التلميذ أطول فترة ممكنة⁽¹³⁷⁾.

ولعل أوضح تعبير عن هذا التوجه، تلك المناهج والمقررات الدراسية التي تحمل بين صفحاتها أناشيد تبت في نفوس الصغار المثل النبيلة والقيم الأخلاقية الحميدة، منها على سبيل المثال ما جاء في الكتاب الأول من الروضة المقرر للصفين الثاني والثالث الابتدائيين في الأربعينيات، حيث يحتوي مجموعة من الأشعار والأناشيد الوصفية والمعرفية، وتلك التي تشجع الصغار على حب المدرسة، وطاعة الله واحترام الوالدين، ومن جانب آخر تعزيز القيم الروحية التي لا بد أن يتغذى بها الأطفال منذ الصغر، ويمكن الإشارة إلى نشيد محبة الوالدين الذي يقول فيه الشاعر⁽¹³⁸⁾:

ما رضاء الله إلّا في رضاء الوالدين

ما بقاء الكون إلّا بحنان الأبوين

أبوا الإنسان بعد الله أولى بالمحبة

كل من يغضب أمّا أو أباً يغضب ربّه

ويلاحظ هنا ارتفاع الدعوة إلى محبة الوالدين وما ينتج عن هذه المحبة من فرح

(137) نفسه: ص 175.

(138) عبد الهادي، راضي، وأحمد خليفة، ومحمد العدناني، وهيب البيطار: الروضة للصفين الثاني والثالث الابتدائيين ط3، القدس، مكتبة الأنجلو، 1945، ص280.

وخير وسعادة، فهذه الحكم وهذه المواعظ والإرشادات يمكن أن تحتل في النفس مكانة سامية، تصقل شخصية الصغار وتلامس مشاعرهم:

فأحبّوا أبويكمُ لتعيشوا سُعداء

وابذلوا الروح فداهمُ تجدوا الخيرَ جزاء

وفي هذا النشيد يحاول الشاعر، إضفاء لمسة من الجمال على أحاسيس الصغار، وكذلك إفساح المجال أمام أخيلتهم الصغيرة للانطلاق، فيطلق الشاعر نشيده في ضوء القمر، جاذباً إليه أنفس الأطفال وعقولهم في رحلة سمرية تحت القمر، يقول فيها⁽¹³⁹⁾:

تحت القمر يحلو السمرُ

هيا اجلسوا بينَ الشجر

نحكي حكايات تُسرُّ

عما جرى بين البشر

فيما مضى من العُصرُ

ويسترسل الشاعر في نشيده محبباً الطبيعة إلى أطفاله، يشدّهم إليها في لمسة سحرية جذابة، تحت ضوء القمر وبين الشجر، حيث ينمي لديهم حاسة الانتباه والتذوق

(139) نفسه: ص 41.

والإصغاء، ومن ثم يُطلق ألسنتهم للتعبير عن مشاعرهم بطريقة تدفعهم للحديث، فيقول:

وكل تلميذ حضر

يقول ما قد يفكر

من قصة فيها عبر

أو نكتة بها نسر

وهكذا يبدو اهتمام الأدباء والمربين بأطفالهم، منذ مراحل التعليم الأولى، حيث كانوا يمدونهم بالأخيلة والثقافات والمعارف المختلفة، تلك التي تنمي فيهم إمكانيات التفكير والتعبير، فضلاً عن إثراء قاموسهم اللغوي.

وفي نشيد (رجل المستقبل) المقرر ضمن كتاب الصف الرابع الابتدائي لسلسلة الروضة، فإن الشاعر يغرس في نفوس أطفاله معنى الرجولة والإقدام، والإقبال على الحياة بجد واجتهاد، باعثاً في نفوسهم الأمل ومعبراً عن آمانياته لهم بالتفاؤل والطموح، ويطلق الشاعر صوته على السنة بعض أطفاله قائلاً⁽¹⁴⁰⁾:

أيها السائل عني لا تسأل إلا خبيراً

سل بي المستقبل الغامض يُنبئك كثيراً

(140) عبد الهادي، راضي وأحمد خليفة، ومحمد العدناني، وهيب البيطار: الروضة للصف الرابع الابتدائي ط1، القدس، مكتبة الأنجلو، 1945، ص5.

سل بي العلم الذي أرشفه عذباً نميرا

بهذا الفخر وهذه الإرادة القوية يستنهض الشاعر نفوس الصغار، ويدفعها إلى
ميادين العلم والتعليم، فيسترسل منشداً:

رُبَّما صِرْتُ طَبيباً رُبَّما صِرْتُ وزيراً

رُبَّما صِرْتُ خطيباً أو إدارياً قديراً

رُبَّما أصبحت أستاذاً رياضياً شهيراً

كلُّ ذي شأنٍ كبيرٍ كان من قبلُ صغيراً

فالمفردات الجديدة تضيف معاني أخرى إلى رصيد الطفل اللغوي، إذ إن بعض
الكلمات التي تسهم في إمكانية ارتقاء الأساليب التعبيرية لديه، ومثال ذلك: سل بي،
ينبئك، أرشفه، نميرا.

وفي الكتاب الرابع من سلسلة الروضة للصف السادس الابتدائي، يحاول الشاعر
تعريف الأطفال بأبرة الخياطة، من خلال وصفها وإبراز أهميتها في صنع الملابس
وإصلاح بعضها، حيث تعيد إليها أناقتها وجمالها، فيقول في نشيد الإبرة⁽¹⁴¹⁾:

بيضاء ناعمة الإهاب رشيقة بين الأثامل

(141) عبد الهادي، راضي وأحمد خليفة، ومحمد العدناني، وهيب البيطار: الروضة للصف السادس الابتدائي ط2،
القدس، مكتبة الأندلس، ص20.

تهتز في حركاتها كالضوء يرقص في الخمائل

كم هيأت من ملبس يسبي العيون الناظرة

كم أصلحت من خرقة فغدت ثياباً فاخرة

وهنا أيضاً قد يستفيد التلاميذ من بعض المفردات الجديدة في قاموسهم اللغوي مثل الإهاب، والأنامل، والخمائل وغيرها.

ومما تقدم يتضح مدى إثراء التربويين مناهج الأطفال في مراحل التعليم الأولى بمعظم مسالك العلم والمعرفة والثقافة القائمة على الأسس والقواعد التعليمية السليمة، حيث اعتمدت على الأناشيد والأشعار في بث تلك الجوانب الإيجابية، تلك التي تغذي أفكارهم وتصل نفسياتهم وتتمي مشاعرهم ومداركهم، وتمدهم بالصور والأخيلة والأفكار التي تفتح أمامهم سبل العلم والمعرفة، التي تمكنهم من لغتهم وتزيد من مفرداتهم.

الفصل الثاني

نشأة النشيد وأغراضه

أولاً- نشأة النشيد في فلسطين

ثانياً- أغراضه

أولاً: نشأة النشيد في فلسطين

بدأ أدب الأطفال في فلسطين على شكل مبادرات فردية غير منظمة، حين انبرى عدد من الشعراء والأدباء إلى كتابة أناشيد الوطنية والمدرسية للأطفال، فكان الشاعر " إبراهيم طوقان" ⁽¹⁴²⁾ من أوائل الذين ساروا على هذا النهج ونظموا أناشيد وطنية تُدرّس في مدارس فلسطين، وكذلك " إبراهيم البوارشي" ⁽¹⁴³⁾ و " خليل طوطح" ⁽¹⁴⁴⁾ اللذان كتباً أناشيد مدرسية للأطفال، كانت هي الأخرى ضمن المناهج المدرسية في فلسطين ⁽¹⁴⁵⁾.

ويلاحظ من خلال الدراسات لهذا الجانب من الأدب، أن أناشيد الأطفال ملأت دواوين الشعر الفلسطيني، حيث كان للشاعرين إبراهيم طوقان وأبي سلمى ⁽¹⁴⁶⁾ " دور كبير في خلق البواكير الأولى لنشيد الطفل الفلسطيني" ⁽¹⁴⁷⁾، ذلك لأن غياب القصة والحكاية كان واضحاً بشكل لا يدع مجالاً للشك أو التأويل، وإن كان هناك بعض المحاولات البسيطة من خلال الإذاعة الفلسطينية أو بعض الكتب المنهجية المدرسية، غير أن نشيد الأطفال نال القسط الأوفر والاهتمام الأكبر لدى شعراء تلك المرحلة وأدبائها، لأن أدبيات اللغة تشكّل " أكبر عامل في

⁽¹⁴²⁾ طوقان، إبراهيم: من مواليد مدينة نابلس في العام 1905، تلقى علومه الأساسية في مدارسها، وأكمل تحصيله العلمي العالي في الجامعة الأمريكية ببيروت، عمل مدرساً في مدرسة النجاح بنابلس، ومن ثم مديراً للإذاعة الفلسطينية، إلى أن توفي في العام 1941، ينظر: مقدمة ديوان إبراهيم طوقان، عكا، دار الأسوار.

⁽¹⁴³⁾ البوارشي، إبراهيم: بعد البحث والتدقيق لم يتم العثور على ما يُعرف به، علماً بأنه قد ورد ذكره في العديد من المصادر والمراجع أهمها الموسوعة الفلسطينية، وفي مكالمة هاتفية بتاريخ 20/10/2003 مع د. جاك لحام في رام الله، بوصفه أحد الملحنين المعروفين، ومن المهتمين بكتابة الأغاني والأناشيد، حيث يعمل أستاذاً في الموسيقى وله مؤلفات في أدب الأطفال، ذكر أن البوارشي هو أحد الملحنين والموسيقيين الفلسطينيين الذين كانوا يعملون في الإذاعة الفلسطينية في الأربعينيات.

⁽¹⁴⁴⁾ طوطح، خليل: من مواليد مدينة رام الله في العام 1887، تلقى تعليمه الأساسي في مسقط رأسه، والثانوي في لبنان، غادر إلى أمريكا فترة من الزمن ثم عاد بعدها إلى فلسطين، ليتولى إدارة دار المعلمين، ثم عاد إلى أمريكا وحصل على الدكتوراه، ليعود مرة أخرى إلى فلسطين ويعمل فيها، كان عالماً من أعلام التربية، توفي في العام 1955، وله العديد من المؤلفات، ينظر: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، يعقوب العودات ص 386.

⁽¹⁴⁵⁾ بشور، نجلاء نصير: أدب الأطفال، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الرابع ط1، بيروت، دراسات الحضارة، 1990، ص 242.

⁽¹⁴⁶⁾ أبو سلمى، عبد الكريم الكرمي: من مواليد مدينة طولكرم سنة 1909، عمل مدرساً في القدس وفي الإذاعة الفلسطينية، حصل على شهادة الحقوق من معهد الحقوق الفلسطيني في القدس، مارس المحاماة في حيفا، ثم هاجر بعد النكبة إلى سوريا وعاش فيها، ينظر: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، يعقوب العودات ص 538.

⁽¹⁴⁷⁾ الخليلي، علي: هوامش حول أدب الأطفال في فلسطين، المهرجان الوطني الأول للأدب الفلسطيني في الأرض المحتلة، ص 150.

إيقاظ الشعور الوطني، والمعلم الوطني لا يعدم في أدبيات اللغة العربية ما يثير الحماسة في نفوس التلاميذ، ويبث فيهم الحياة " (148).

ومن خلال هذا الطموح والاهتمام الجادين بأدب يخص الأطفال وحدهم، بدأت تظهر بعض بواكير الأعمال الأدبية الطفولية التي مزجت بين الفرح والدموع، وشبح الموت والحياة، وتداخلت فيها مجالات اللهو والهَمّ الوطني، حتى أصبحت أناشيد الأطفال في فلسطين ذات خصوصية معينة، تختلف عن غيرها في البلاد الأخرى، حيث ينعم الطفل العربي بالراحة والحرية والاستقلال؛ ذلك لأن الطفل الفلسطيني أصبح " يتنفس أحداث بلاده، ويشترك في المظاهرات، وينشد الأناشيد الوطنية ويهتف بالشعارات، بل يقارع ويصاول. فهو ينضج في مدرسة الصراع قبل أن يتقدم به المسار الدراسي كثيراً. بهذا تشهد حياة الأطفال الفلسطينيين - التلاميذ وغيرهم - منذ العشرينيات، وعبر الثلاثينيات والأربعينيات" (149).

فالبيئة الفلسطينية المزدهمة بشتى التناقضات التي أوجدتها ظروف الاحتلال والتعسف؛ أدت إلى غياب حالة الفرح عن وجوه الصغار والكبار، إلا أن الظلم الواقع بنوعيته وسعيه إلى إلغاء الهوية الثقافية الفلسطينية، وتغييب الدور التربوي الفلسطيني، أدى إلى فرض نماذج خاصة يتغنى بها الأطفال بملاعبهم ومدارسهم وشوارعهم، كما سيأتي في سياق هذا الفصل.

فالنشيد هو سعي جديد لتحقيق الفعل الأخلاقي الصحيح، ومن خلال الفكرة التي قد يحتويها، فإن الطفل قد يحظى بدوره الطبيعي في المجتمع الذي يعيش فيه، حيث يستطيع أن يمتلك أهم المهارات، وعلى رأسها اللغة التي تعد الركيزة الأولى للتواصل الاجتماعي، إذ تمثل من الناحية النفسية " أهم جوانب الحياة الاجتماعية، فهي أساس العلاقات الاجتماعية والمعاملات بين مختلف الأفراد في المجتمع الواحد، كما أنها وسيلة نقل التراث الثقافي

(148) ياغي، عبد الرحمن: حياة الأدب الفلسطيني الحديث، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1968، ص 537.

(149) أبو حنا، حنا: ديوان عبد الرحيم محمود، الطيبة، مركز إحياء التراث العربي 1985، ص 27.

وتوريثه بين أفراد وأجيال الأمة الواحدة، أو نقله إلى بيئة أخرى⁽¹⁵⁰⁾.

لكن هذا الأمر يتعلق بنوعية المادة المقدمة للطفل، ودرجة إسهامها في تكوين شخصيته وصقل نفسيته وتهذيب مشاعره وأحاسيسه، فالمادة التي لا توفر متطلبات الطفل السيكولوجية، فإنها تخلق في داخله حالة من التوتر والتناقض، وتؤدي بالتالي إلى طمس الشخصية والغياب التام عن أداء الدور الذي يجب أن يلعبه في مجتمعه.

ولا يمكن في هذه الحالة إغفال الدور الأساسي الذي يقوم به التشديد المقدم للأطفال، حيث يحتوي مادة قادرة على الحفاظ على التوازن النفسي في داخل هذا الطفل الذي يقوم عليه المستقبل وتتطلع إليه الأنظار من كل الجهات.

فتتقnie الأجواء الخارجية والداخلية للطفل، وتوفير بيئة ثقافية ومعرفية سليمة، أمور ذات أهمية بالغة يتحمل مسؤوليتها المجتمع الذي يتكون أولاً من الأم والأب والأسرة، ومن المدرسة ثانياً، والبيئة المحيطة ثالثاً، وما يقدمه له من أسباب الرفعة والارتقاء. " فالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الطفل منذ أن يرى النور تشكله اجتماعياً وتحوله إلى شخصية اجتماعية متميزة⁽¹⁵¹⁾.

وعلى الرغم من الواقع السلبي الذي عاشه أطفال فلسطين، برزت جوانب عديدة ومتنوعة لأناشيد الأطفال في الشعر الفلسطيني، ووقفت أغراضها على محاكاة هذا الكائن الصغير في جميع أحواله ومتطلبات حياته.

(150) منصور، عبد المجيد سيد أحمد: علم اللغة النفسي ط1، الرياض، جامعة الملك سعود، 1982، ص99.

(151) زهران، حامد عبد السلام: علم نفس النمو ط8، القاهرة، عالم الكتب، 1986، ص38.

ثانياً - أغراضه

- 1- النشيد الوطني
- 2- النشيد القومي
- 3- النشيد الديني والإنساني
- 4- النشيد التعليمي
- 5- النشيد الاجتماعي
- 6- النشيد الوصفي
- 7- النشيد المعرفي
- 8- نشيد الإرشاد والتوجيه
- 9- النشيد الترفيهي

1- النشيد الوطني:

لقد تقدم هذا النوع من النشيد على غيره من الأناشيد الأخرى؛ لأن البيئة الوطنية والسياسية السائدة، حملت الأطفال أكثر من طاقاتهم، فكان لا بد من تعزيز الانتماء الوطني، وتعميق روح النضال من خلال الأناشيد التي تثير الحماس، وتوفر قسطاً من الوعي الوطني

المهم.

فالوطنية التي أنشد لها الشعراء تعني ارتباط الفرد والمجتمع بالأرض والانتساب إليها، والتعلق بها وحب أهلها، والعمل على تطوير ظروفها وأحوالها وتحسين معيشة أهلها، فضلاً عن الحنين إليها حين الاغتراب عنها، والاستعداد التام للذود عن حياضها ودرء الأخطاء عنها، فهي ذات جذور عميقة في التراث الإنساني العريق⁽¹⁵²⁾. "وقد استدعت الظروف التاريخية أن يفرد الشعراء باباً خاصاً في دواوينهم للأناشيد الوطنية، ونحن نكاد لا نجد شاعراً ليس له أناشيد في هذا الباب"⁽¹⁵³⁾.

علماً بأن هذه الأناشيد لم تكن تقتصر على الصغار فحسب، وإنما كان يتداولها الكبار.

ومن هنا كان للشاعر البيتجالي اسكندر الخوري الدور الريادي في نظم الأناشيد الطفولية التي تعبر عن الهم الوطني الفلسطيني، وكان من الذين أغنوا دواوين الأطفال بالأناشيد التي تلبي حاجاتهم وطموحاتهم الإنسانية والمعرفية، وتزيد من وعيهم بالواقع الذي يحيط بهم، فنشر ديوانه (دقات قلب) في العام 1923، وضمنه أناشيد للأطفال منها (بلادي ما أحيلها)، يقول فيه⁽¹⁵⁴⁾:

متى ذكروا فلسطيناً ذكرنا الله والدينا

وموطننا وأهلينا وماضينا وآتيننا

(152) ناصر، إبراهيم: التربية المدنية ط1، عمان، مكتبة الرائد العلمية 1993، ص 124.

(153) ياغي، عبد الرحمن: حياة الأدب الفلسطيني الحديث، ص232.

(154) البيتجالي، اسكندر الخوري: دقات قلب، ط1، القدس، مطبعة بيت المقدس، 1923، ص 75.

متى ذكروا فلسطينا

بلادي ما أحياها هويناها ونهواها

فلا والله ننساها وكيف ينام أبناها

إذا ذكروا فلسطينا

لكن الأستاذ " خليل السكاكيني" ⁽¹⁵⁵⁾ يحاول جاهداً أن يرسم صورة بهية لشعبه واصفاً إياه بالصبر والثبات في مقاومة الانتداب البريطاني، وأطماعه الاستعمارية في فلسطين، فكتب لولده سري أنشودة في العام 1925، يعبر فيها عن فخره بوطنه وحرصه عليه من كل المؤثرات الخارجية، يقول فيها ⁽¹⁵⁶⁾:

1- نحن قوم أبينا لا نقر الأذى فينا

لا نبالي مناياتنا في سبيل أمانينا

2- يا بلاداً ورثناها عن جدود ميامينا

(155) السكاكيني، خليل: من مواليد القدس في العام 1878، تعلم في مدارسها، وأكمل دراسته في بريطانيا، وأقام في نيويورك فترة من الوقت، عمل مدرساً ومفتشاً للمعارف في فلسطين، سجن عدة مرات لأنشطته الوطنية، له مجموعة من الكتب والمقالات اللغوية والأدبية والنقدية، وقد قرض الشعر أيضاً، وفي العام 1948 غادر إلى القاهرة ليعيش فيها، أنتخب عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني بعد النكبة إلى أن توفي في العام 1953، ينظر: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، يعقوب العودات، ص 274.

(156) السكاكيني، خليل: كذا أنا يا دنيا، القدس، المطبعة التجارية، 1955، ص 291.

إن يهاجمك زرزورٌ يلقي منّا شواهدنا

وفي العام 1929 اقترح أحد الشعراء على المسؤولين والمهتمين أن يكون لفلسطين
نشيد وطني، وأعلن اقتراحه هذا على صفحات جريدة فلسطين تحت توقيع (الشاعر المعتزل
)، وهذا نص النشيد المقترح⁽¹⁵⁷⁾:

نحن قوم قد ربينا لفلسطين حماة

لا نبالي إن بلينا في هواها بالممات

دور

هي ملك العربِ شرعاً منذ أحقاب السنين

فلها طوعاً وسمعاً يا بنيها المخلصين

دور

ويتابع نشيده الوطني الذي تغنى به فيما بعد أطفال الوطن بفخر وكبرياء، حيث يزرع
في نفوس أبناء فلسطين روح الفداء والتضحية، ويحثهم على بذل الغالي والرخيص من أجلها،
فينشد:

(157) الشاعر المعتزل: النشيد الوطني الفلسطيني، جريدة فلسطين (بافا)، العدد 171، السنة الثالثة عشرة، 1929، ص 6.

هي آي المجد هيا نفتديها بالنفيس

إننا نأتي فرياً إن وهت منا النفوس

وفي بداية الثلاثينيات بدأت أناشيد الأطفال تأخذ وضعاً خاصاً، وذلك من خلال الشعارين إبراهيم طوقان وأبي سلمى، بسبب عملهما في إذاعة فلسطين، ونتيجة لاحتدام الأحداث وانكشاف الأطماع الصهيونية بشكل جلي.

فقد أطفأ إبراهيم طوقان جذوة النيران في قلبه بنشيده الوطني الذي جاب أرض العرب طويلاً وعرضاً، وتغنى به كبار العرب وصغارهم على وتيرة واحدة، وصوت واحد (موطني)، حيث وضعه في العام 1930⁽¹⁵⁸⁾، وجدير بالذكر أن هذا النشيد كان من بواكير أناشيده الوطنية والقومية، حيث نظمه في سن مبكرة، وهو لا يزال شائعاً في الأقطار العربية، وينشد في معظمها، وتجدر الإشارة إلى أنه ورد نظمته في بعض المصادر في العام 1924⁽¹⁵⁹⁾، وفي كل الأحوال فقد عدّ هذا النشيد نقلة نوعية في محاكاة مشاعر الأطفال والجماهير، حيث ينشد قائلًا⁽¹⁶⁰⁾:

موطني الجلال والجمال والسناء والبهاء في رباك

والحياة والنجاة والهناء والرجاء في هواك

(158) محمود، حسني: شعر المقاومة الفلسطينية، الزرقاء، الوكالة العربية للنشر والتوزيع، الزرقاء 1984، ص 83.

(159) أبو حاقّة، أحمد: الالتزام في الشعر العربي ط1، بيروت، دار العلم للملايين، 1979، ص 277.

(160) طوقان، إبراهيم: ديوان إبراهيم طوقان، عكا، دار الأسوار، ص 195.

هل أراك

سالماً
وغانماً مكرماً
منعماً

هل أراك في علاك

تبلى السماك

موطني

أما معري فلسطين الشاعر " سليمان التاجي الفاروقي " ⁽¹⁶¹⁾، فيقف هو الآخر في ميادين الوطن وشرفاته، مفتخراً بأبنائه وأبطاله، فينشد مع شعبه من صغار وكبار قصيدته (الحر بالروح وجود) قائلاً في كبرياء وتحدي مستذكراً أصالة الأجداد وثباتهم ⁽¹⁶²⁾:

1- هيا بني وطني نسود نبني كما بنت الجدود

(161) معري فلسطين، سليمان التاجي الفاروقي: ولد في مدينة الرملة بفلسطين في العام 1882، تلقى دروسه الابتدائية على يد الشيخ يوسف خيرى، حفظ القرآن قبل العاشرة مع علم النحو، وقد فقد بصره في التاسعة من عمره، أكمل تعليمه في الأزهر الشريف، تميز بخطبه الارتجالية ونظمه القصائد ارتجالاً في كثير من الأحيان، حصل على شهادة الحقوق وأصدر جريدة (الجامعة الإسلامية)، نفي في عهد الأتراك إلى الأناضول، ثم هاجر بعد النكبة إلى الأردن، وعاش في مدينة الزرقاء، ثم عاد واستقر في أريحا إلى أن توفي في العام 1985، حيث دفن في مدينة القدس، ينظر: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، يعقوب العودات، ص 501.

(162) أبو نمر، عبد الله حسن: معري فلسطين (سليمان التاجي الفاروقي) ط1، القدس 1993، ص 77.

2- هيا بنا رغم الحسود نسمو إلى سعد السعود

وهنا يطالبهم بالتضحية، مذكراً إياهم بالمقولة السائدة (من أخذ البلاد بلا ثمن، هان عليه تسليم البلاد)، وبالتالي فإن عدم التضحية والوفاء، هو عار على الأحرار، يقول:

3- طلب الفخار بلا ثمن عار على أهل الفطن

4- هيا افتدوا هذا الوطن فالحرُّ بالروح وجود

كما أن " سليم أبو الإقبال اليعقوبي "⁽¹⁶³⁾ كان شديد الفخر بوطنه فلسطين، فكان يرفع صوته مع أبناء وطنه في أناشيده الوطنية والحماسية، يبث اشتياقه وحبه للوطن بشيء من الحنين، وشيء من التحدي والمواجهة، فكان ينشد في وقائعه الوطنية والقومية تلك التي سماها (النظرات السبع) فيقول⁽¹⁶⁴⁾:

في فلسطين بلادي أمة ذات ثبات

لا ترى غير الجهاد في سبيل المكرمات

وفي العام 1933، نظم " صالح الصمادي "⁽¹⁶⁵⁾ نشيداً حفظه طلاب المدارس، وتغنوا

(163) حسان فلسطين، الشيخ سليم أبو الإقبال اليعقوبي: من مواليد مدينة اللد في العام 1880، تعلم الابتدائية في بلدته، وأكمل في الأزهر الشريف، وبعد أن أنهى تعليمه عاد إلى فلسطين وشارك في مجمل الأنشطة السياسية والثقافية، وقد لقب نفسه بحسان فلسطين تيمناً بحسان بن ثابت شاعر الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وتوفي في العام 1941، ينظر: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، يعقوب العودات، ص3.

(164) اليعقوبي، سليم أبو الإقبال: وقائع/الأنشيد الوطنية والقومية، جريدة فلسطين (إفا)، العدد 185، السنة الرابعة عشر، 1930/10/22، ص1.

(165) الصمادي، صالح: من مواليد مدينة نابلس في العام 1893، تلقى علومه الابتدائية في مدارسها، وأكمل دراسته

به، حيث يقول فيه⁽¹⁶⁶⁾:

أيها الزائر أرضي مرحباً مني وأهلاً

إن ترُم خدمة قومي كنت محبوباً أجلاً

أو ترُم للعرب حرباً فانتظر خسفاً وويلاً

وبعد هذا الترحيب بضيوف البلاد، يعلن بصراحته الواضحة أن من يريد الاعتداء على الأرض وأهلها فإنه لن يلقى سوى القهر والخسف والويل، فيتابع قائلاً:

بلغ الأغيار أنّا في الوعى نركب هولاً

قل لمن يبغي علينا ليس قهر الأسد سهلاً

وبعد ثورة عام 1936 نشطت قرائح الشعراء لتنظم الأناشيد الوطنية، ومنهم الشاعر " محيي الدين الحاج عيسى الصفدي "⁽¹⁶⁷⁾ حيث كتب أناشيد وأشعاراً للأطفال، معززاً فيهم روح الانتماء للوطن، داعياً إلى الجهاد والذود عن تراب فلسطين، وقد نظم

العليا في بيروت حيث حصل على شهادة الحقوق، عاش في سوريا وعمل فيها فترة من الزمن، ثم انتقل للعيش في عمان إلى أن توفي في العام 1933، وكان خلال حياته من نشطاء الحركة الوطنية في الوطن العربي، ينظر: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، يعقوب العودات، ص 362.

(166) العودات، يعقوب: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، ص 362.

(167) الصفدي، محيي الدين الحاج عيسى: من مواليد مدينة صفد سنة 1897، كان شاعراً وأديباً، له مسرحيتان شعريتان، نظم مجموعة أناشيد لتلاميذ المدارس، هاجر بعد النكبة إلى سوريا، حيث عاش وتوفي فيها، ينظر: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، يعقوب العودات، ص 357.

مجموعة من الأناشيد المدرسية، يقول في إحداها⁽¹⁶⁸⁾:

هاجبه ضائع الأمل ذاكر دمعاه انهمل

فارتدى حلة العمل يقطع السهل والجبل

رائثياً، آسياً، ساعياً، لا يمل

ويتابع نشيده لبث روح الفخر والكبرياء، قائلاً:

هزه المجد فاتنمي لبني العرب معلما

فهو كالليث أقدمما يُشهد الأرض والسما

همُّه، قومَه، عزَمه، لا
يُفلن

أما الشاعر " مطلق عبد الخالق " ⁽¹⁶⁹⁾ فيختلج بداخله الحنين إلى فلسطين، ويدفعه الشوق إليها لأنه يحس بضياعه، وفقدان ذكرياته معها، ففضحته مشاعره حينما احتدمت الأحداث؛ وصارت فلسطين تحت سكين المؤامرة، فأُنشد قائلاً⁽¹⁷⁰⁾:

(168) عبد الستار، إبراهيم: شعراء فلسطين في ثورتها القومية، حيفا، نادي الإخاء العربي، ص5.
(169) عبد الخالق، مطلق: من مواليد مدينة الناصرة في العام 1910، توفي في العام 1937، وهو من شعراء فلسطين المرموقين، له مجموعتان شعريتان، ينظر: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، يعقوب العودات، ص 415.
(170) عبد الخالق، مطلق: ديوان الرحيل، حيفا 1938، ص 157.

إليك إليك يا وطني مناي وفتنة العصر

نفاتة واله كمد

خيال سناك يؤنسني
ضحى
الفجر
وفي
السحر

وقلبي في جوانحه تثير حنينه فكر

فيحيا فيك من أمل ويهدأ وهو في سحر

أما أبو سلمى فقد ألهم مشاعر الأطفال واستلَب عقولهم، وامتلَك عواطفهم حينما أنشد معهم (يا رفاق السلاح)، منشداً⁽¹⁷¹⁾:

يا رفاق السلاح الحياة كفاح

(171) أبو سلمى، عبد الكريم الكرمي: ديوان أبي سلمى، بيروت، دار العودة 1989، ص 150.

فلنمدّ الجناح فوق نور الصباح

يا رفاق السلاح

وفي هذا النشيد تجلت دعوته في حثّ الأطفال على النضال، ومقاومة الغزاة المحتلين،
فيتابع قائلاً:

يا نسور السماء وحدتنا الدماء

نحن أهل الفداء والندى والسماح

يا رفاق السلاح

وقد كان للشاعرة " فدوى طوقان " ⁽¹⁷²⁾ اهتمامها ورعايتها للأطفال وطنها، فأرادت من خلال بعض أناشيدها أن ترسخ في نفوسهم حب الوطن وجمال طبيعته، فالأطفال هم اللبنة القوية في البناء الاجتماعي، ونشيدهم المفضل هو كل ما يتعلق بالجرح الذي ينهش أجسادهم الصغيرة، ويدمر مستقبلهم، ويدغدغ فيهم مشاعر الوطنية الجياشة، التي تقف في وجه الطغاة بنشيدها المقاوم. فالشعر إحساس بالجمال واهتداء للحرية، ولكن الأناشيد "لا تحرك النفوس إلا بقدر ما فيها من تفاصيل حقيقية قادرة على استحضار صورة الوطن أمام الخيال، ثم التغني بتلك

(172) طوقان، فدوى: شقيقة الشاعر إبراهيم طوقان، من مواليد مدينة نابلس في العام 1917، تلقت علومها الأساسية في مسقط رأسها، ولظروف اجتماعية لم تكمل تعليمها، فتعهدا شقيقها الشاعر، شاركت في مؤتمرات أدبية وشعرية عديدة في الوطن والخارج، لها عدد من المجموعات الشعرية والكتب النثرية، حصلت على كثير من الجوائز والأوسمة، منحتها جامعة النجاح درجة الدكتوراه الفخرية، وتوفيت بتاريخ 2003/12/12، ينظر: نشرة عن كلية الآداب في جامعة النجاح بنابلس، تشرين ثاني 1998.

التفاصيل⁽¹⁷³⁾.

وفي نشيد (بلادي) الذي أرسلته فدوى طوقان للإذاعة الفلسطينية في سنة 1939، حيث كان يعمل شقيقها الشاعر إبراهيم، تصف الوطن وتحبب فيه أطفال فلسطين فتتشد قائلة⁽¹⁷⁴⁾:

جنة الدنيا بلادي حبها ملء فؤادي

خيرها في كل وادي حسنها للعين بادي

جنة الدنيا بلادي

وتذهب في نشيدها إلى وصف الطبيعة الجميلة في فلسطين، وترفع صوتها مع أطفال وطنها، لتغني مع طيور الصباح، وتتأمل شفق المساء:

في الروابي والسهول في البوادي والحقول

في صباح أو أصيل حسنها للعين بادي

وكتب الأستاذ " وهيب البيطار "⁽¹⁷⁵⁾ نشيده (يا وطني)، وقد ضمنه منهاج الروضة

(173) مندور، محمد: *الهمس في الأغاني والأنشيد*، مجلة الثقافة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، العدد 248، القاهرة 1943، ص 15.

(174) طوقان، فدوى: *من مخطوطة للشاعرة*.

(175) البيطار، وهيب: ولد في مدينة نابلس سنة 1916، وتلقى علومه الابتدائية والإعدادية في مدارسها، ثم أكمل تعليمه في دار العلوم العليا بالقاهرة وحصل على إجازة التدريس في التربية والآداب سنة 1938، وإجازة ممارسة المحاماة والمرافعة أمام المحاكم الشرعية في فلسطين، و عمل في سلك التدريس، وكما عمل مع الشاعر إبراهيم طوقان في الإذاعة الفلسطينية، عاش في عمان، توفي سنة 1985 تاركاً خلفه مجموعة من المؤلفات الأدبية والشعرية والتربوية، ينظر: البيطار، وهيب، *أنة معلم*

للفوف الابتدائية، وحث من خلاله أطفال الوطن على الدفاع عن الأرض والبلاد، وتعميق الانتماء بكلمات عذبة ورنانة، يقول⁽¹⁷⁶⁾:

يا وطني يا وطني تسلم طول الزمن

يا جنة عامرة بكل شيء حسن

هذي يدي فإتني لك الفدا في المحن

ويجعل من وطنه شخصاً ماثلاً أمامه، ويقوم بمحاورته، قائلاً:

ثق بي فإتني مخلص وللخطوب رجّني

وها هو ذا الشاعر " محمد العدناني "⁽¹⁷⁷⁾ في (نشيد فلسطين) يفخر بفلسطين الجريحة، ويباهي بها في نبرة طفولية تتوافق مع مستويات أطفال بلاده، فيقول في قصيدة نظمها في سنة 1946، وهي مقررة لمنهاج الصفوف الابتدائية من كتاب الروضة لنفس العام يقول فيها⁽¹⁷⁸⁾:

ط1، عمان، دار الكرمل للنشر والتوزيع، 1986، ص7.
(176) عبد الهادي راضي، وأحمد خليفة، ومحمد العدناني، وهيب البيطار: الروضة للصف الرابع الابتدائي ط1، ص45.

(177) العدناني، محمد خورشيد: من مواليد مدينة جنين في العام 1903، شاعر وأديب، له مجموعة من المؤلفات الأدبية والدواوين الشعرية، هاجر بعد النكبة إلى مدينة الزرقاء الأردنية وعاش فيها، ومن ثم هاجر في العام 1964 إلى مدينة صيدا اللبنانية وقضى حياته فيها ، ينظر: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، يعقوب العودات، ص 431.

(178) السابق: ص 16.

تاريخها فخر وتربها تبر

وجوها سحر وخيرها بحر

هذي فلسطين إسعادها دين

وحورها عين ومجدها وفر

وهذا " وديع البستاني" ⁽¹⁷⁹⁾ يحاول هو الآخر شحذ الهمم والنفوس، بتأجيح المشاعر والأحاسيس لمقاومة الغاصب، والوقوف في وجهه، فينشد قائلاً⁽¹⁸⁰⁾:

نهض الشرق وهبّ النائمونا ولخطب الشرق قام القائمونا

ومضى الشرق يضاهي المغرباً وابتغى العرب المنى والأربا

(179) البستاني، وديع: من مواليد (الديبة بقضاء الشوف بلبنان) في العام 1888، وقد عاش حياته في فلسطين، كان شاعراً وأديباً معروفاً على المستويات الثقافية والأدبية الفلسطينية، له مجموعة من الدواوين الشعرية والمؤلفات الأدبية، هاجر بعد النكبة إلى بيروت وأكمل حياته فيها ، ينظر: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، يعقوب العودات، ص 44.

(180) البستاني، وديع: ديوان الفلسطينيين، حيفا 1946، ص 316.

وانتتى الدهر وحيا العربا

ثم يتابع بزهو وكبرياء، مظهراً حبه لفلسطين وعشقه لمفاتها، فيقول:

وفلسطين الفتاة جدت فيها الحياة

يا فلسطين العجيبة

أنت للنفس الحبيبة

هللت فيك الشبيبة

من المهد إلى اللحد على العهد

لكن " عصام حماد "⁽¹⁸¹⁾ الذي نظم نشيد (النهضة) في العام 1944 سار على نفس
الدرب في التعبير عن أمني أطفال وطنه، مدافعاً عن أرضه وشعبه، داعياً شباب فلسطين إلى
الجهاد والدفاع عن حياض الوطن، يقول فيه⁽¹⁸²⁾:

(181) حماد، عصام: من مواليد مدينة جرش الأردنية، لأب فلسطيني وأم شركسية، كان شاعراً وأديباً، عمل في
الإذاعة الفلسطينية وعاش في مدينة نابلس، ثم انتقل بعد النكبة ليعيش في الأردن، له مجموعة من المؤلفات
الأدبية، ينظر: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، يعقوب العودات، ص 138.

(182) حماد، عصام: من مخطوطة للشاعر.

أيها الشبان يا رمز الأمانى والأمل هاتف النهضة يدعوكم فسيروا للعمل

جَدِّدُوا مَجْدَ الْوَطَنِ وَابْعَثُوا مَاضِي عِلَالَهُ

وَانْفُضُوا عَنْهُ الْوَسْنَ وَاسْتَمِيتُوا فِي هَوَاهُ

إِنكُمْ سِرَّ الزَّمَنِ بَلْ وَإِكْسِيرَ الْحَيَاةِ

وفي نشيد (غصون السلام) للشاعر " حسن البحيري " ⁽¹⁸³⁾ الذي نظمه في حيفا سنة 1947 يناجي الشاعر وطنه المفدى، ويخاطب فلسطين بحب وشوق، إذ يتغزل بترابها الطهور، ويتوعد الغزاة الطامعين بقوافل الشهداء دفاعاً ومحبة، فينشد قائلاً ⁽¹⁸⁴⁾:

" فلسطينُ " إِنَّ الْعِلَالَ مِنْ أَسَى

إِذَا ذَكَرُوكَ لَهَا تُطْرَقُ

(183) البحيري، حسن: ولد في أعقاب الحرب العالمية الأولى في مدينة حيفا، تلقى علومه الدراسية في أحد كتاتيبها، وقد أنهى الصف الرابع الابتدائي في المدرسة الأميرية، تعلم الإنجليزية والعبرية بجهد ذاتي، وقرض الشعر ونشر القصائد والمقالات في الصحف والمجلات الفلسطينية والعربية، شارك في أنشطة الحركة القومية الفلسطينية، وشارك مع الفدائيين العرب في حيفا، وبعد النكبة هاجر إلى سوريا وعاش في دمشق، ينظر: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، يعقوب العودات، ص36.

(184) محمود، حسني: الشاعر حسن البحيري ط1، دمشق، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، 1992، 257.

تُرَابُكَ ... هَذَا التُّرَابُ الطَّهَّورُ

وَفِي رُوحِهِ عَطَشٌ مُزْهِقٌ

سَأَسْقِيهِ مِنْ نَفَثَاتِ اللَّهِيبِ

وَفِيضِ الدَّمَاءِ حَيًّا يُغْدِقُ

يسقي تراب أرضه بعرقه ويرويها بالدماء؛ لتزهر في ترابه الحرية والحدائق الغناء،
ويطمئن أبناء وطنه في ظلال الأمن والسكينة والسلام، فيقول:

لَأُثَبِّتَ حُرِّيَّتِي فِي ثَرَاكَ

وَأَجْعَلَ أَدْوَاحَهَا تُورِقُ

فَتُزْهِرَ فِيكَ غُصُونُ السَّلَامِ

وَيَبْسِمَ فِي ظِلِّهَا الزَّنْبَقُ

أما الشيخ " محمد البسطامي " فقد نظم مجموعة من أناشيد الأطفال للمدارس التي بث
فيها الروح الوطنية والأخلاقية، وتوحي من خلالها الأهداف النبيلة التي يجب أن ينشأ عليها
أبناء الوطن.

وفي نشيد (فلسطين) ينشد مفتخراً بأرضها المقدسة، قائلاً⁽¹⁸⁵⁾:

أمسرى الرسول ومهد المسيح

ومثوى الهدى ما يضم الضريح

إذا ما أهاب مهيب يصيح

نلبي ونسقي العدو العطب

فلسطين تحيا ويحيا العرب

لأعدائها القهر وهي الغلب

وبهذا النشيد يستمر الشيخ البسطامي في تغنيه مع أطفال وطنه، معزراً فيهم روح
البذل والعطاء، للحفاظ على الصورة النقية لفلسطين الطاهرة، ليحفظها تلاميذ المدارس،
وينشدوها في لهوهم ومرحهم ومقاومتهم للاحتلال، فيتابع قائلاً:

نلبي ونرخص أرواحنا

ونبذل في الله أموالنا

(185) البسطامي، محمد: الشادي في الأناشيد المدرسية الوطنية، ص16.

نجاهد حتى تنالي المنى

فتربك غال ولا كالذهب

وفي خاتمة نشيده يؤكد على الوحدة الدينية في الذود عن حياض الوطن، للوصول إلى
حريته واستقلاله، وأن حالة النضال لا تقتصر على فئة دون أخرى، فيقول منشداً:

فذاك المسيح والمسلم

يخوض غمار الردى يبسم

إذا ما أصاب ثراك الدم

قضى هائناً وقضيت الأرب

فلسطين تحيا ويحيا العرب

لأعدائها القهر وهي الغلب

لكن الشاعر " محمد حسن علاء الدين "⁽¹⁸⁶⁾ يرفع صوته عالياً ليوصله إلى بني وطنه

(186) علاء الدين، محمد حسن: من مواليد الاسكندرونة في العام 1917، انتقل مع والده إلى طبريا، عاش فيها وتعلم في مدارسها، ثم أكمل دراسته في مدرسة النجاح بنابلس، فالأمريكية بالقاهرة، وفيما بعد تنقل بين البلدان حيث شارك في الأنشطة الوطنية في فلسطين وخارجها، هاجر بعد النكبة إلى الأردن وعاش فيها فترة من الزمن، إلى أن توفي في العام 1973 في عمان، مُخلفاً وراءه العديد من المؤلفات الشعرية والأدبية، ينظر: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، يعقوب العودات، ص448.

الذين يُكن لهم الحب والعشق والاحترام، ويُقدم كلماته في سمفونية فلسطينية تشع فيها موسيقى المشاعر وأنغام الطبيعة، لتتفتح كل محاسن الجمال والفتنة، ولتفرح الدنيا بهذا الوطن الجميل، ويتصدى الشعب لغاصبي أرضه، فينشد قائلاً في قصيدته (وطني) التي نشرها في جريدة فلسطين في العام 1946⁽¹⁸⁷⁾:

وطني! فديتك من وطن

وفديت ربعك والدمن

وفديت قلبك نابضاً بالسحر يسري والفتن

وطني طيورك، ما أحلى صدحها فوق الفن

فالهاجس الوطني هو الذي يبقى مسيطراً على خلجات النفس وتموجاتها، ولذلك فإنه ليس من الغريب أن يأخذ هذا النشيد من صفحات القلب أكبر الجوانب والإضاءات، فجميعهم يصرون على تخلص الوطن من قيود المستعمر، وخروجه إلى باحة الحرية، فتبرز بعض العبارات الجميلة والمفردات التي تعبر عن الواقع المعاش، وهي في مجملها تحاكي البيئة المزدهمة بإرهاصات الوطن والاحتلال والثورة التي يلامسها الصغار والكبار على حدّ سواء.

أما الشاعر " عدنان رضا النحوي "⁽¹⁸⁸⁾ فيصرخ في وجه الأعداء، رافضاً غطرستهم

(187) علاء الدين، محمد حسن: وطني، جريدة فلسطين، يافا، العدد 214، السنة الثلاثون، 1946/11/24، ص 3.
(188) النحوي، عدنان علي رضا: نشأ في صفد في أواخر العشرينيات، وتلقى علومه الأساسية في مدينته، ثم هاجر بعد النكبة إلى لبنان ، ينظر: ديوان الأرض المباركة ط1، عدنان علي رضا النحوي، 1985، ص 21.

وذلهم، وينشد قائلاً⁽¹⁸⁹⁾:

"نحن بالله عزُّنا لا بمال ومنصب"

كلُّ من رام دُلَّنا أو مشى مشى ثعلب

أو رمى فتنة جرَّت بين نابٍ ومخلب

حسبنا الله ... حسبنا مرسلُ الوحي والنبي

ويعلق الشاعر على هذه المقطوعة الصغيرة قائلاً: أنه كان يقرأ البيت الأول في طفولته وشبابه مطرزاً على قطعة قماش من المخمل معلقة في إطار جميل على الجدار في بيته، فأكمل الأبيات الأخرى.

فعشق الوطن هو الذي يلامس نفوسنا عندما نتغنى بالأرض والنهر والشجر، حيث تتجسد ملامح الوطن في تلك المعالم والأشياء، وحينما ننشد أناشيدنا الوطنية، نحس بالموسيقا التي هي إحساس بالحب الذي هو لمسة تختص بالجمال، والشعور الناجم عن هذا التفاعل هو الذي يستلب العواطف ويستقطب الإعجاب، فالنشيد الجميل سهل وقريب إلى النفس، وكأن السمو وضوء القمر والسهل والجبل والوادي والنهر والدار، من الظواهر التي تبعث الحنين في النفس فتؤججها؛ لأن تكوينها جميعاً يمثل أرض الأجداد، وبالتالي مراتع الطفولة والصبا التي هي مصدر الانبعاث والحيوية والقوة، فيها الذكريات وملاعب الصغر، وبالتالي فإن مثل هذه الأجواء الجميلة المفعمة بالحب والجمال هي التي يجري من خلالها يسر العبارة،

(189) النحوي، عدنان علي رضا: ديوان جراح على الدرب، الرياض، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، 1985، ص 17.

وسحر الألفاظ المستمد من القلوب⁽¹⁹⁰⁾.

من خلال تأملنا للأنشيد الوطنية التي تضمنتها الدراسة، نلمس بوضوح الدعوة إلى ضرورة الارتباط بالأرض والوطن ومحبتهما، والتضحية بأعلى ما يملك الإنسان من النفس والمال والولد من أجلهما، ويبدو ذلك كله من خلال إظهار جمال الوطن ومحاسنه ومفاتيحه وفضائله على المجتمع، حيث لا يمكن للإنسان أن يحيا بلا وطن يوفر له الأمن والأمان والاستقرار، وقد هدفت هذه الأنشيد كذلك إلى إثارة حماس الأطفال والاعتزاز بالوطن، وتشجيعهم إلى رسم مستقبله بالالتزام بالقيم الوطنية والإنسانية والدينية، وحمله إلى منابر الحضارة والتقدم والازدهار.

2- النشيد القومي:

لم تمنع الظروف السائدة في فلسطين من تجاوز الشعراء والأدباء حدودهم الإقليمية، والتجول في أحضان الوطن الكبير من شرقه إلى غربه، إذ إن النظرة القومية كانت ولا تزال بؤرة النضال العربي في تحقيق الوحدة والانتماء الحقيقي للأرض العربية، والدفاع عن حق الإنسان العربي من خلال تحريره فكرياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً، وقد كانت مسألة الوحدة من أبرز القضايا التي سيطرت على نفسية الشاعر العربي، فالالتزام بالقضية الوطنية لا يعني أن ينحصر الشاعر في نطاق معين، وأن يقف شعره على قضايا محلية أو إقليمية⁽¹⁹¹⁾.

وهذا هو الفرق الصريح بين النشيد القومي والنشيد الوطني، فالأول يتخطى حدود الوطن الصغير الذي هو جزء من كل، والثاني يدور في فلك قضيته المحلية وضمن دائرة الصراع داخل حدود الإقليم.

(190) مندور، محمد: *الهمس في الأغاني والأنشيد، مجلة الثقافة*، العدد 248، إصدار لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1943، ص 135.

(191) أبو حاق، أحمد: *الالتزام في الشعر العربي ط1*، بيروت، دار العلم للملايين، 1979، ص 393.

ومن هنا كان السكاكيني واحداً من أولئك الذين فاضت مشاعرهم القومية التزاماً بقضايا أمتهم، وشارك أبناء العروبة فرحتهم باندلاع الثورة العربية الكبرى، حيث وضع نشيداً قومياً لهذه المناسبة في العام 1918، يقول في مطلع⁽¹⁹²⁾:

أيها المولى العظيم فخر كل العرب

ملك الملك الفخيم ملك جدك النبي

نحو هذا الملك سيروا قبل فوت الزمن

وعلى الخصم أغيروا لخلص الوطن

أما الشاعر "قيصر الخوري"⁽¹⁹³⁾ فلم يتأخر عن الرحلة القومية إلى بلاد الأرز؛ ليعزف على أوتار لبنان الجميل، ويحث أبناءه على التلاحم والتكاتف في مقاومة المحتل؛ للسير في طريق العلا، فينشد في العام 1920 في حيفا قائلاً⁽¹⁹⁴⁾:

أيالبنان هنيّنا فقد نلنا أمانينا

فتاة (الأرز) تدعونا وبنت المجد تحميننا

(192) السكاكيني، خليل: كذا أنا يا دنيا، ص182.

(193) الخوري، قيصر: من مواليد (بكاسين، قضاء جزين في لبنان الجنوبي) في العام 1893، تلقى علومه الأساسية في بيروت، ودرس الطب في الجامعة اليسوعية، ومنذ الاحتلال البريطاني لفلسطين اتخذ حيفا موطناً له، فاض شعره على النوادي والجمعيات الفلسطينية، فكتب لها القصائد والأنشيد، وله ديوان مطبوع بعنوان الذكريات، ينظر: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، يعقوب العودات، ص181.

(194) الخوري، قيصر: ديوان الذكريات ج1، القدس، المطبعة التجارية، 1945، ص56.

بني أوطاننا فزتم ونلت كل ما شئتم

فعودوا أيما كنتم فلبنان ينادينا

غير أن الشاعر إبراهيم طوقان يتجه في مشاعره نحو الفتية الثوار في المغرب العربي، يحثهم على مقارعة الاستعمار ويدفعهم للجهاد مذكراً إياهم بالمجد العربي التليد، يغني لهم ويتغنى بهم مستمداً قواه الشعرية من التراث، فقصيدته (فتية المغرب) التي نظمها في العام 1929 خلال عمله في مدرسة النجاح بنابلس، حيث جاء طلاب من المغرب العربي للدراسة في (كلية النجاح) التي كانوا ينشدونها بصورة جماعية، وقد كان المغرب العربي حينذاك يرزح تحت الحكم الإسباني⁽¹⁹⁵⁾:

فتية المغرب هيا للجهاد نحن أولى الناس بالاندلس

نحن أبطال فتاهها ابن زياد ولها نرخص غالي الأنفس

قف على الشاطئ وانظر هل ترى لهب النار وآثار السفين

يوم لا طارق عاد القهقري لا، ولا آباؤنا أسدُ العرين

(195) جرار، وليد صادق: شاعران من جبل النار ط1، عمان، شركة الشرق الأوسط للطباعة والنشر 1985، ص

وينتصب اليقوبي في مواجهته للاستعمار، فيغني مع أبناء شعبه أناشيد التحدي
فيقول⁽¹⁹⁶⁾:

إن تسل يا غرب عتّا في الوغى أو لا تسلّ

فلنا الحرب وإنّا لم نكن فيها نملّ

نحن جند الحق مذ كان الوجود في فلسطين وفي كل بلد

نؤثر الحسنى، وبالنفس نجود في سبيل القرب من أهل الرشّد

وهاهو ذا الشاعر محمد العدناني يخاطب الجماهير العربية، ويحثها على النشاط وعدم
الكسل، وفي قصيدته (نشيد العرب) التي نظمها في العام 1944 في مدينة يافا، يقف
منشداً⁽¹⁹⁷⁾:

إنهضوا يا عرب

فالأسى قد ذهب

والفخا ر اقترب

فابشروا يا عرب

(196) اليقوبي، سليم أبو الإقبال: وقائع الأناشيد الوطنية والقومية، جريدة فلسطين، يافا، العدد 201، السنة الرابعة
عشرة، 1930/11/9، ص3.

(197) العدناني، محمد خورشيد: العدنانيات، (الطيب ج1)، ص 34.

ثم يتابع نشيده في تحدٍ صارخ، يستهزئ همم الشباب، ويحذرهم من التراجع والخمول

قائلاً:

لا ينو ق الهوان

غير شع ب جبان

لا يطيب ب الرقاد

والعدا في البلاد

ويلاحظ في مجمل الأناشيد التي تم عرضها سابقاً تداخل مواضيعها وتعددتها، حيث

يتعدى الفصل أحياناً بين أغراضها وأنواعها، كما في (نشيد الكشاف) لوهيب البيطار الذي

يختلط فيه الاجتماعي بالقومي والوطني بالتعليمي، حيث ينشد في بعض مقاطعه قائلاً⁽¹⁹⁸⁾:

(198) البيطار، وهيب: ديوان أُنْثُ معلم، ص 32.

نحن للوحدة ندعو جاهدين نزرع الإلفة بين العرب

نؤثر الوحدة والوحدة دين ليس يرضى غيره أي أبي

فإلى الوحدة سيروا

لا يساوركم قصور

إنما الوحدة نور

وهي يا قوم المصير ولها الأشواق

ثم يتابع نشيده واعظاً هادياً مرشداً الشباب لحب الوطن، من خلال تقديس العلم ورفعة الأدب، فضلاً عن سمة التواضع مع الأهل والأصدقاء، والتمسك بالفضيلة والأخلاق الحميدة، ومواجهة الصعاب بالحلم والثبات، فيقول:

أيها الكشاف يا رمز الفدا بسجاياك تنال الأربا

فأتصف بالطهر قلباً ويداً قدس العلم وعل الأديا

أنت يا زين الشباب

كن بشوشاً في الصعاب

كُن رفيقاً بالصحاب

مشعل الأخلاق

وأنز في كل باب

وقد أنشد الشاعر " عبد الهادي كامل " ⁽¹⁹⁹⁾ قصيدته (الوحدة العربية)، تلك التي نال بها
الجائزة الأولى في مسابقة شعرية نظمتها محطة الإذاعة البريطانية، لجميع الأقطار العربية في العام
1942، وقد كان لها صدًى واسع، مما أدى إلى تدريسها في بعض المدارس وإنشادها، حيث يقول في
مطلعها ⁽²⁰⁰⁾:

فوق الديار وأنت حرٌّ مطلق؟

أراك يا علم العروبة تخفق؟

ماء الحياة بأرضها يترقرق؟

وأرى بلاد العرب ضاحكة الربى

والوحدة الكبرى ترى تتحقق؟

وأرى مواطنها موحدة اللوا

وينشد معه طلاب المدارس هذا النشيد الممتلئ بالمعاني والمفاهيم التي تفتح آفاق
النفس نحو الوحدة والعزة والافتخار بالسلف والأجداد، مُفاخرًا بماضي العرب وأمجادهم، ثم
يختتمها بنبرة تفاؤلية عالية الوقع والأثر، فيقول:

(199) كامل، عبد الهادي: ولد في قرية سبسطية بمحافظة نابلس سنة 1908، تلقى دروسه الابتدائية في مسقط رأسه،
ثم تابع دراسته في مدينة نابلس، وعمل في حكومة الانتداب مفتشاً للبوليس حتى نهاية الانتداب البريطاني على
فلسطين، ثم هاجر بعد النكبة إلى دمشق وعمل فيها، ثم عاد بعد ذلك إلى الأردن وعاش في عمان حتى توفي
سنة 1996، ينظر: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، يعقوب العودات، ص 522.
(200) كامل، عبد الهادي، ديوان قلب شاعر ط1، عمان 1998، ص58.

بالنصر في كل المواطن يخفقُ

دانت لنا الدنيا وكان لواؤنا

ويطلق الشاعر " برهان العبوشي " ⁽²⁰¹⁾ نشيده (أبشر يا وطن العروبة)، معتزلاً بأرضه ووطنه، مُشيداً بهمة الشباب العربي في الدفاع عن فلسطين، آملاً تحقيق الوحدة العربية، فيقول ⁽²⁰²⁾:

فشبابك ثار ولم يهن

أبشر بالعزّ أيا وطني

فدمي يشفيك بلا ثمن

إن كان دواؤك من دمننا

لك فضل القوة في بدني

بك سرُّ الثورة في روحي

بك ريح الجنة في كفني

منك استوحيت سنا خلدي

ومن خلال هذا النص وغيره من النصوص الأخرى، التي تعبر عن النزعة القومية والانتماء، يُلاحظ الاهتمام بضرورة معرفة الطفل وتغذيته بمفاهيم عروبتة، باعتباره " جزءاً من أمتة من خلال الأدب، وأنه جزء من تلك الأمة، يحترم تاريخها، ويعتز بأمجادها " ⁽²⁰³⁾.

(201) العبوشي، برهان: من مواليد مدينة جنين في العام 1911، تلقى علومه الأساسية في مسقط رأسه، ثم في مدينة نابلس والشويفات في لبنان، ثم بالأمريكية في بيروت، شاعر وأديب، هاجر إلى بغداد قبل النكبة وعاش فيها، ثم عاد إلى فلسطين وعمل في بنك الأمة، وبعد النكبة هاجر مرة أخرى إلى العراق وعمل فيها، ينظر: من أعلام الفكر في فلسطين، يعقوب العودات، ص 430.

(202) العبوشي، برهان: ديوان جبل النار، بغداد، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدود، 1956، ص 17.

(203) الحسيني، خليل: دراسات في أدب الأطفال، ص 39.

ويعلو صوت البحيري مزجراً في نشيده (هَبُوا)، حيث يطالب الأمة العربية بمواجهة الأعداء، وشحذ الهمم بالإرادة والعزيمة ليعلموا الغزاة درساً قاسياً ومريراً،
فينشد (204):

هَبُوا استعدّوا للغلب

وخذوا ليومكم الأُهب

سيروا إليهم كاللّهب

وأروهم عزم العرب

إشحذوا قُوسَ الهمم

بلّغوا الشرق مناه

إلى الأمام بالعلم

إلى الأمام ... للحياة

أما الأستاذ عصام حماد فيخاطب أشبال شرقي الأردن، بنغمة موسيقية تنثير الإحساس،
يقول فيها (205):

(204) البحيري، حسن: ديوان الأصائل والأسرار، حيفا، نادي أنصار الفضيّلة، 1943، ص 123.

(205) حماد، عصام: من مخطوطة للشاعر.

يا أحفاد القوم النجب

يا أشبال الشرق العربي

هيا للعزة والغلب

صوت الأجيال يناديكم

يختال على هام الحقب

هو ذا الأردن بواديكم

كم تاهت بالجيش اللجب

وضفاف المجد حواليه

لكن الشاعر وديع البستاني، يتجاوز حدود الأقاليم في نشيد الثورة، فيخاطب كل فتيات العرب وفتيانهم، ويحذرهم من الخطر الذي يحدق بالجميع، إذا ما اجتمع الأحرار على قلب رجل واحد، فيقول (206):

وارفعي الأعلام

يا فتاة العرب هبي

قد طغى الظلام

إنني أشهدت ربي

نخبة الثوار

في الربى لله منّا

مرحباً يا نار

فابتعد يا عار عنّا

وهنا يحث البستاني الشباب العربي على الجهاد في قوله المباشر:

يا فتى الأوطان

قم وجاهد يا مجاهد

(206) البستاني، وديع: ديوان الفلسطينيين.

قم وجاهد يا مجاهد وادفع العدوان

وفي نشيد (المجاهد) يرفع الشيخ البسطامي صوته بفخر واعتزاز لانتمائه العربي، مؤكداً تجاوزه لكل الحدود المصطنعة، فينشد قائلاً⁽²⁰⁷⁾:

هواي وليي بلاد العرب بلاد العلوم بلاد الأدب

ومالي سوى عزها من أرب وسوف تفوز بنيل المنى

بلاد السناء بلاد السنى بروحي أفدي بلادي أنا

ويمكن الاستنتاج من خلال ما تم استعراضه من أناشيد قومية، أن الروح الوجدانية كانت تهيمن على تلك الأناشيد، مثلما كانت تسيطر عليها مشاعر التلاحم والتواصل والتفاعل، وأهمية تعميق الانتماء القومي لتأكيد الهوية الوطنية للأمة العربية، وضرورة الولاء لهذه الأمة والاعتزاز بها، فضلاً عن النداء المستمر إلى تخليص الإنسان العربي من أغلال القهر والعبودية والاستعمار، بالتحريض على المقاومة والجهاد في سبيل نصره الوطن الكبير والأمة العريقة ذات التاريخ المجيد، وهذا ما ينمي لدى الأطفال روح العزة والعزيمة والافتخار بالماضي العربي العريق، وكذلك العمل على إحياء التراث الإنساني للمجتمع العربي وتذليل الصعاب التي تعترض سبيل وحدته، وتؤخر تقدمه وازدهاره.

3- النشيد الديني والإنساني:

(207) البسطامي، محمد: الشادي في الأناشيد المدرسية الوطنية، ص 22.

من العجب أن النشيد الديني لم يأخذ من أناشيد الأطفال في فلسطين، إلا مساحة ضيقة، وقد يكون السبب في ذلك سيطرة الهم الوطني على كل مناحي الحياة الوطنية بفكرها وأدبها، وانكباب الكتاب والأدباء والمبدعين ورجال الدين على هدف واحد هو الاحتلال، كما أن التيار الديني ربما كان واضحاً في النشيدين الوطني والقومي.

غير أن بعض الشعراء المهتمين بشعر الأطفال، التفتوا إلى هذا الجانب المهم في التربية الروحية والبناء النفسي، فكتبوا فيه قدر استطاعتهم، إيماناً منهم بضرورة الإسهام في بناء شخصية الفرد وتكوينها على الأسس السليمة.

فتقدم اليعقوبي ليمتدح الدين الإسلامي، ويظهر فضله على الناس، لا سيما أنه دين الحكمة والموعظة والهداية والأخلاق، فردّد الناس نشيده الذي يقول فيه⁽²⁰⁸⁾:

(208) اليعقوبي، سليم أبو الإقبال: ديوان حسنة اليراع، القاهرة، مطبعة التقدم، ص 79.

فيه للعالمين فضل عميم

إن دين الإسلام دين قويم

حسب أبنائه وصراط في روضة مستقيم
الكرام نعيم

سلوكه الآباء والأبناء

بلسان البيان والتبيان

دين رشد
دعت إليه
الأمانى

وحياة الفؤاد والجثمان

فهو روح
الإكرام
والإحسان

من تقاة تجلها الأتقياء

أما إبراهيم طوقان، فإنه في قصيدته الأخيرة التي قالها في العام 1941، قد شغف قلبه حب الرسول الكريم، ورفَّ فؤاده إلى مناسك الحج والمواقع المقدسة في أرض الحجاز، فكتب (أشواق الحجاز) وكأنه يودّع الدنيا فيقول⁽²⁰⁹⁾:

بلاد
الحجاز
إليك هفا

فؤادي وهام بحب النبي

ويا حبذا
زمزم
والصفا

ويا طيب ذاك الثرى الطيب

(209) طوقان، إبراهيم: ديوان إبراهيم طوقان، ص 4.

ذكرى
الهادي،
والأمجاد

ملء الوادي، والأنجاد

أثر الهمم،
منذ القدم

حول الحرم، أبداً باد

ويتابع رحلته الأخيرة في وداع مثير، يغني فيه أشواقه مع أبناء وطنه، ويلقي تحيته

إلى رسول السلام فينشد قائلاً:

بلاد
الكرام

شموس الهوى

عليك
سلامي

مدى سرمدى

هنيئاً لمن حضر المشهدا

ومن قبل الحجر الأسودا

وظلَّه الركن لما استلم

ومثل هذه الأناشيد التي تداعب نفوس الأطفال وتنمي أحاسيسهم، تجعلهم يميلون إلى
التغني بها، حيث يشعرون معها بالبهجة والسرور، فتوقظ " مشاعرهم وعواطفهم، وتغرس
فيهم القيم الدينية والمبادئ الخلقية " (210).

فالشاعر اسكندر الخوري ارتأى أن يعمق الأثر الروحي في نفوس الأطفال، من خلال
بث روح التسامح بين الأديان السماوية، متوقفاً عند عمر بن الخطاب في عدله ونزاهة حكمه،
متجاوزاً بذلك الفوارق الدينية، ومؤكداً حالة الأخوة بين أبناء الوطن الواحد، فيقول في مستهل
قصيدته (211):

(210) شحاته، حسن: أدب الطفل العربي ط2، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1994، ص 212.

(211) البيتجالي، اسكندر الخوري: المثل المنظوم، القدس، مطبعة بيت المقدس، 1938، ص 93.

عمرٌ وهل
يخفى القمر
ما كان ملكاً كالْبِشْرُ

كان
الملاك إلى
الخلا
نق أرسلته يد القدر

متزهداً
متقشفاً
بالحزم والعدل اشتهر

متواضعاً
لا يزدهي
لا يشمخ إذا انتصر

ويسترسل في نشيده معمفاً الإخاء الديني بين الطوائف:

عزَّ
النصارى
في خلا

فته فكان بهم أبرُّ

وتريك
عهدته
السَّما

حة فهي عن حق دررُ

وإخاء أحمد والمسيح ثمار هاتيك الشجرُ

وفي هذا الجانب أيضاً ألقى الشاعر أبو سلمى بظلاله الخفيفة على " الولد الأعمى " في
نشيد إنساني، حيث توحدت مشاعره مع الكفيف لمسح الكآبة عن نفسه، فيقول⁽²¹²⁾:

(212) أبو سلمى: ديوان أبي سلمى، ص 142.

يقولون بأن
الشمس زانت

قبة الفلك

تضيء
بنورها

الكون وتمحو
آية الحلك

يقولون

يقولون
عبير

الزهر أطيّب
منه ألوانه

تروق
العين

والقلب فتأى
عنه أحزانه

يقولون

ويطل الأستاذ عصام حماد في العام 1949 على باب النبوة مادحاً الرسول

الكريم -عليه الصلاة والسلام- ذاكراً أفضاله ومآثره في نشر الرسالة والهداية، فينشد

قصيدته (نبي البعث) قائلاً⁽²¹³⁾:

أي نور أبدى هاهنا
ينجلي بين
طيات
الأزل

عطر الكون بأنفاس المنى
وسبى
الدنيا
بأطياف
الأمل

أي فجر لاح لنا
المنى
طلق
المحيا

(213) حماد، عصام: من مخطوطات الشاعر.

مشرق الطلعة، سمح الخطوة، فنانا بهيا

أي صوت من ربي الغيب
تعالى
عبقريا

يبعث الهمة في
الشيخ، فيرتد فتيا

ويحيل الماء نارا،
ويعيد الميت حيا

وربط الشيخ البسطامي طاعة الوالدين بطاعة الله، واعتبار مخالفتها عصياناً للخالق
عز وجل، فأنشد على لسان الجيل حبه لأمه وأبيه، مذكراً بفضائل تربيتهم، واعتبار إرضائهما
ركناً بعد الله، فيقول⁽²¹⁴⁾:

(214) البسطامي، محمد: الشادي في الأناشيد المدرسية الوطنية، ص 12.

لأُمِّي
وَأَبِي
فَضْلٌ
عَلَيَّ لَسْتُ أَنْسَاهُ

نَعَمْ
أَهْوَاهُمَا
أَبَدًا
فَإِنَّ الْحَقَّ أَهْوَاهُ

وَمَنْ يَجْحَدُ
جَمِيلَهُمَا
عَلَيْهِ يَغْضَبُ اللَّهُ

ويتابع نشيده في تذكير الأبناء بسهر الوالدين عليهم، وما نالوه من تعب لتربيتهم
التربية الصالحة فيقول:

فكم تعباً لما قد كنت ألقاه
وكم
سهرًا

وكم
حزنا وكم
سقما

هما لي عز ولي جاه
ركنان
بعد الله

لأمي
وأبي
عندي

لكن الشاعر برهان العبوشي يعمدُ إلى تعميق الفكرة الدينية في نفوس الأطفال،
وتعزيز أثر قدرة الخالق عزَّ وجل في نفوسهم، حينما ينشد معهم هذا النشيد الديني،

الله أكبر
وما عبدت سواه
ربي

الله بلسم
وفي غدٍ ألقاه
قلبي

الله قبله
ومن أنا لولاه
حبي

الله
إذا طغت أعداه
ينصر
شعبي

ويتابع نشيده في إظهار أهمية الطاعة لله، وضرورة الالتجاء إليه والانصياع لأوامره ونواهيه، لأن في ذلك الفوز العظيم، وبالتالي يحثهم على الصلاة التي تجسد علاقة العبد

بخالقه، فينشد قائلاً:

الصلاة الصلاة فهي ظل الإله

نصركم في الحياة أن تنالوا رضاه

ويمكن الاستنتاج من النشيد الديني والإنساني الدعوة إلى الالتزام بحب الله وطاعته وحب رسوله الكريم والتشوق إلى زيارته، وفضل الدين الإسلامي على العباد وحثّ الأطفال على كرم الأخلاق وفضائل القيم، وكذلك المثابرة على أداء الفرائض وضرورة الاهتمام بالقضايا الإنسانية وتنمية العواطف الإيجابية نحوها، فضلاً عن ذكر المآثر الإنسانية والدينية لبعض الخلفاء مثل عمر بن الخطاب وصفة التسامح الديني التي كان يتمتع بها، إلى جانب عدله في الحكم ونزاهته.

4- النشيد التعليمي:

إن معظم الأناشيد المقدمة للأطفال هي أناشيد تعليمية، لأنها جزءٌ أصيل من شعر الأطفال التعليمي بشكل عام، لكن هذا النشيد بوجه خاص، قد يميز عن غيره من الأناشيد الأخرى، لما له من أهمية كبيرة في تعليم الصغار المهارات اللغوية الأساسية في مراحل التعليم الأولى، حيث يمكن استغلال ميل الأطفال للإيقاع الموسيقي، والإفادة من تسهيل

تعليم الحروف العربية، وحفظهم الجداول الحسابية من ضرب وطرح وجمع وقسمة، فضلاً عن استخدامه في ممارسة الألعاب والعمليات الرياضية لبث روح الحماس والنشاط، إضافة إلى أن الهدف الأساسي لهذا النشيد هو تشجيع الأطفال على حب المدرسة والتعلم والتعليم، وإجادة بعض الكلمات والعبارات التي تلزمهم في طفولتهم البسيطة، التي تثير فيهم حب المعرفة والبحث والسؤال في أغلب الأحيان.

لقد أدرك شيوخ الكتاتيب أهمية النشيد باعتباره وسيلة جيدة في تعليم الأطفال، فنظموا الحروف العربية على طريقته، ولكن بلهجة عامية بسيطة بعض الشيء، حيث كان يرددونها الأطفال في مواقع التدريس، وتمثل هذه المقطوعة أحد النماذج التي كانت سائدة آنذاك وفيها ربط للحرف بالنقط⁽²¹⁶⁾:

(216) البرغوثي، عبد اللطيف: الأغاني العربية الشعبية في فلسطين والأردن، ص 248.

أليف لا
شيء
عليه
والباء وحدي من تحت

والتاء
تنتين من
فوق
والثاء ثلاث من فوق

والجيم
وحدي من
تحت
والحاء لا شيء عليه

والخاء
وحدي من
فوق
والدال لا شيء عليه

لكنّ أبا سلمى كان حريصاً على تعريف الأطفال على الطبيعة الفلسطينية الخصبة،
وإضفاء الشعور بالجمال والبهجة والمتعة في نفوس أطفال وطنه، من خلال نشيده " راعي

الغنم " وذلك بأسلوب وألفاظ محببة إليهم، يمكن تقبلها وحفظها لأنها جزء من البيئة التي يعيشون فيها ويلعبون بين أفيائها، حيث يقول⁽²¹⁷⁾:

هل راعي
تنظرو الغنم
ن

وتسمع حلو النغم
ون

يدعو إلى المياه
القطيع

إلى إلى الحياة
الربيع

(217) أبو سلمى، ديوان أبي سلمى: ص 129.

إن رحت راعي الغنم
يا

إلى
السهول
أو الأكم

سلم
على
كل الزهور

سلم
ولا
تنس الطيور

أما نشيده (قطني) التي يحث فيها ابنته الصغيرة على الكتابة والتعلم، فإنه يخاطبها
بطريقة محبة ومشجعة، تناسب عمرها الصغير، فيقول مداعباً إياها⁽²¹⁸⁾:

هيا
اكتبني
درسك يا ليلي

وحاذري أن تغضبي

مياو مياو مياو مياو مياو

ثم يواصل الدعابة بهذا الأسلوب الذي يجذب إليه الصغار:

يا
قطتي
انتظري غرسي

أنا
التي
أسير للدرس

ألا ترين كتبني

ولم ينس اليعقوبي في أناشيده أن يحث أبناء وطنه على نشر العلم، والتمسك باللغة

الفصحى، وعدم تقليد الاستعمار في عاداته وممارساته، حيث ينشد قائلًا⁽²¹⁹⁾:

وانشروا العلم،
فللعلم شؤون
وبنشر العلم يُنال الأمل

وابتنوا اللغة
الفصحى،
الحصون
قبل أن يأتي يوم الكسل

واعضدوا
الشرق،
فبالشرق يهون
كل ما نرجو به من عمل

وأسيئوا في
بني الغرب
الظنون
مالككم في الغرب غير الفضل

ومن الملاحظ أن اهتمام الشعراء بالأطفال قد اشتمل على مجمل النواحي الإنسانية،

(219) اليعقوبي، سليم أبو الإقبال: وقائع الأناشيد الوطنية والقومية، جريدة فلسطين، يافا، العدد 194، السنة الرابعة عشرة، 1930/11/1.

ومنها الجانب التعليمي الذي يستند إلى أصول وقواعد دينية وقيمية عليا، وقد قال الإمام علي ابن أبي طالب-كرم الله وجهه- " تعلموا العلم صغارا تسودوا به كبارا "(220).

ويتصف الدافع التعليمي للأطفال الفلسطينيين بالنوازع الوطنية التي تسهم في إعداد الناشئة والأجيال الواعدة، والاستعداد الواعي من أجل التصدي للغزاة.

وفي مقطوعة نظمها الشاعر عبد الهادي كامل في العام 1937، تحت عنوان (وداع المدرسة) يظهر من خلالها أهمية التعليم وما يوفره من متعة وفرح في نفوس الصغار والكبار، حيث يقول(221):

بنفس
ملؤها ألم
وقلب حشوه ضرم

(220) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، المجلد الخامس، بيروت، منشورات دار الحياة، 1964، ص 91.

(221) كامل، عبد الهادي: ديوان قلب شاعر، ص 169.

أودّع عهد
مدرستي

رعاها الله
من ذكرى

إذا
استعرضت
ماضيها

لكن وهيب البيطار يتحدث عن حبه لمدرسته، وإقباله على التعلم، وفي ذلك موعظة
للأطفال الصغار، وتشجيعهم على العلم والتعلم، فيقول⁽²²²⁾:

(222) البيطار، وهيب: ديوان أناة معلم، ص 100.

قد قلت
يوماً
لأبي

برقة وأدب

اشتر
لي
حقيبة

أحفظ فيها كتبتي

لقد
غدوت
طالباً

وكننت من قبل صبي

وهذه مدرستى

تلوح لى عن كئيب

أجرا سها تطربذى ي

بصوتها المحبب

وهكذا تبقى أجراس المدرسة تفرع المشاعر حتى عند الكبر، لأن فيها من
الذكريات ما يثير الخواطر، ويشعل نيران الحنين، فيشوق إليها الصغار، ويحببهم بما
فيها من تعليم ولعب ومرح.

وها هو ذا الشاعر البيتجالي اسكندر الخوري في أنشودة (الولد) يحاول أن يعمق

حب العلم في نفوس الأطفال من خلال المدرسة، فينشد معهم قائلًا⁽²²³⁾:

إنّي أحب
المدرسة
أحبها في كل حين

فوق
الربى
مؤسسة
محاطة بالياسمين

مع الرفاق
أذهب
تحملنا سياره

تمشي بنا
فنطرب
كأنها طياره

ويستطرد في نشيده مشجعاً الأطفال للإقبال على المدرسة، فيقول:

(223) البيتجالي، اسكندر الخوري: المثل المنظوم للمدارس، ص 113.

هناك في
المدارس

تعجُّ
بالنفائس

نلعب بعد درسنا ألعابنا أحلى لعب

ثم إلى
بيوتنا

نذهب من غير تعب

ونظم الأستاذ عصام حماد في العام 1945 نشيداً يؤكد فيه أهمية العلم والتعلم في الحفاظ على الوطن، والارتقاء إلى مواقع الحرية والازدهار، عن طريق المعرفة والاطلاع فيقول منشداً (نشيد العلم)⁽²²⁴⁾:

راية العلم القوي المؤمن

(224) حماد، عصام: من مخطوطة للشاعر.

أروع
الرايات
أنبل الغايات

أنشروها في
سماء الوطن
وارفعوها فوق
هام الزمن
لا تبالوا
بصروف
المحن

إرفعوها،
وافقدوها
بالنفوس الغايات

ويتطلع الأستاذ (راضي عبد الهادي)⁽²²⁵⁾ في (أنشودة المعهد)، إلى تحقيق

الانتماء إلى دور العلم التي تشكل السبيل النير للوصول إلى علياء الوطن وحرية، حيث إن

(225) عبد الهادي، راضي: من مواليد مدينة نابلس في العام 1910، عمل في سلك التربية والتعليم وتقلد مناصب عدة في الحكومة الأردنية، ألف مجموعات من قصص الأطفال والمناهج المدرسية، وبعض المؤلفات السياسية، وقد كتب الشعر أيضاً، وعاش بعد النكبة في الأردن، ، ينظر: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، يعقوب العودات، ص 427.

بناء الإنسان يعدُّ من أهم ركائز الخلاص الوطني، وأنَّ تعليم الأجيال فيه تحقيق لأمني الحرية والاستقلال، فيقول منشداً⁽²²⁶⁾:

(226) عبد الهادي، راضي وآخرون: الروضة للصف الرابع الابتدائي، ص 10.

يا معهدي
أعددتني للسؤدد
يا معهدي

والحمى
بكل قلب ويد
المؤيد

يا معهدي

-2-

يا
لعل أمر حسن
معهدي
بعثتني

بقوة
على مرور الزمن
ليست
تني

يا معهدي

ويؤكد الشيخ البسطامي على ضرورة طلب العلم من المهد إلى اللحد، لأن فيه خير الأمم وبقاءها، فينشد على لسان أبناء العرب مُظهراً تشجيعهم على ارتياد دور العلم، وامتلاك الوسيلة الفضلى في بناء الإنسان وتربيته، وتحقيق طموحاته وأمانيه، فيقول في نشيد (الطلاب)⁽²²⁷⁾:

نحن نشء العرب غير عزّ
طلاب العلوم وخلود لا نروم

للعلا نسعى فلا إننا نهفو إلى
عاش النووم نيل الأمل

دأبنا الدرس بجد نأمل التوفيق من
واجتهاد مولى العباد

مالنا إلا رضاه لسبيل الرشـد
فهو هاد يكفينـا الزلـل

وفي قصيدة أخرى تحت عنوان (نشيد المدرسة)، يجدد البسطامي إبراز محاسن المدرسة ودورها في توسيع آفاق الأطفال، بإتاحة فرص العلم والمعرفة، فينشد قائلاً⁽²²⁸⁾:

(227) البسطامي، محمد: الشادي في الأناشيد المدرسية الوطنية، ص 6.

(228) نفسه: ص 9.

أنا في مدرستي أعتز
بالعلم وأحيا

هي داري هي مهواي
فلا أنفك

روضها منه أروي
طاب جناه النفس ريّا

من علوم تجعل
وفنون العيش
هنيّا

ثمر الآداب أصبح اليوم
فيها جنيّا

وهنا يخاطب عقول الأطفال بما يحلو لهم أن يسمعوه ويرددوه، فيدغدغ قلوبهم قائلاً:

ها هو أقبلوا البابل للعلم هيّا يشدو

ويتطلع الشاعر برهان العبوشي إلى دور العلم في نهضة الأمم وحماية الوطن،
وضرورة التسلح به لمواجهة الأعداء، فينشد قائلاً⁽²²⁹⁾:

(229) العبوشي، برهان الدين: مسرحية وطن الشهيد، ص 58.

شباب العلم لم وما ناموا
يهنوا عن الحق

فلولاهم لما صروح
قامت المجدد
والصدق

ولولاهم لما شـموس
طلعت الغرب
والشرق

لنا المأمون ء أهل
والشعرا السيف
والنطق

ويلاحظ من خلال الأناشيد التعليمية التي سبق عرضها، التركيز على تشجيع الأطفال إلى حب العلم والمدرسة، والإسهام في تسهيل حفظ الحروف العربية وذلك بطريقة غنائية، وكذلك تعريف الأطفال بما يحيط بهم من ظواهر كونية وكائنات حية، ثم التأكيد على أهمية العلم والتعليم في بناء الأوطان

والشعوب وحمايتها من التخلف والانحدار، والنهوض بها لتواكب ركب الحضارة والتقدم والازدهار.

5- النشيد الاجتماعي:

إن توثيق الروابط والعلاقات الاجتماعية بين الناس، وكذلك التفاعل الحيوي البناء ما بين أفراد المجتمع، والمشاركة الاجتماعية الخلاقة في أفراح الناس وأتراحهم، وفي أنشطتهم وأعمالهم، فضلاً عن مساعدتهم إذا ما احتاجوا إلى مساعدة أو نجدة، فهذه الأسباب مجتمعة تعمق اللُّحمة بين أفراد المجتمع، وتدعم الروابط الإنسانية بين الناس.

فالإنسان كائن اجتماعي، لا يقوى على العيش منفرداً، ولا يتمكن من البقاء وحيداً في ممارسة شؤون حياته، وبما أن الفرد أساس المجتمع، فقد أصبح من الضروري تربيته على الأصول السليمة والمناهج القويمة، التي ترفع من شأنه الإنساني إلى جانب شأن المجتمع بأسره.

وفي حالة المجتمع الفلسطيني بشكل خاص، فإن التواصل الاجتماعي أمر لا مفر منه، لأنه يدعم الطموح إلى الحرية والاستقلال، لا سيما أن بناء المجتمع السليم القائم على أواصر الحب والإخاء والانتماء والعمل الجماعي يمكن له أن يحقق تطلعاته الوطنية في الخلاص من ظلم الغاصب وتبديد أحلامه اللامحدودة.

فالإحساس بمشاكل المجتمع وقضايا مسؤوليه كلّ فرد يعيش بين جنباته، لأن المشاركة الفاعلة للفرد هي التي تنهض بالأُمم وترقى بالشعوب، وبالتالي فإن مثل هذا النشيد يسعى إلى شحذ الهمم والنفوس، وتحقيق تلك الأغراض مجتمعه.

وعلى هذا الأساس حاول الشعراء الفلسطينيون في أناشيدهم الوقوف على كل خلجات المجتمع وتفاعلاته، بحلوها ومُرّها، وكان الفاروقي من أولئك الذين شاركوا بالأنشطة والفعاليات الاجتماعية والوطنية، حيث نظم نشيداً للنادي الأرثوذكسي بيافا سنة 1924، يقول في مطلعهِ⁽²³⁰⁾:

(230) الحوت، بيان: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948 ط3، كفر قرع، دار الهدى، 1986، ص 188.

لا تهن يا
وطنُ

سوف
يصفو
الزمنُ

ضمن
النصر لنا

همم لا
تهن

وها هو ذا الشاعر قيصر الخوري ينظم نشيداً في سنة 1926 في افتتاح نادي النجاح في حيفا، حيث كانت أناشيد النوادي والفتيان شائعة في تلك الحقبة، فينشد قائلاً⁽²³¹⁾:

(231) الخوري، قيصر: ديوان الذكريات، ص 85.

تدشين نادي قد أنعش
النجاح الأرواح

في العام الثاني

وحفلة عيرها
الافتتاح قد فاح

في كل بستان

والحق نور في أفقتنا
لاح الوضاح

من كل وجدان

ويتوقف إبراهيم طوقان عند شموخ الإنسان ومجده، في ممارسته للعمل الشريف،
معتبراً أن الفرد الفاعل والشباب القوي، هما أساس البناء الاجتماعي السليم والمتطور، ومن
أهم عوامل الحفاظ على الأرض والوطن، فيقول في نشيد (العمل)⁽²³²⁾:

(232) طوقان، إبراهيم: ديوان إبراهيم طوقان، ص 199.

مجدد بالشباب العاملين
البلاد

والاجتهاد للعلا نهج مبين
د

هبّوا إذن واجنوا الثمن
عز الوطن

مدى السنين

إن يحيي الأمل
العمل

سرّ فيه نسود
الوجود

في العالمين

ويتساءل طوقان عن سبب التقاعس في العمل والنشاط، وما يؤول إليه من هدم
وتدمير، وأن ليس للكسول والخامل بين الأمم مقعد أو مكان، فيقول منشداً:

مـا قـيـمـة
للكسول بين الملا

ولا سلم إلى
الخمول العلا

إن الهمم خير الشيم
تبني الأمم أن نعلا

ثم يبين دور الشباب في خدمة أوطانهم قائلاً:

عزم قوة لا
الشباب تغلب

ولا أي هول
يهاب يركب

لا ينتهي أو
يجتني للوطن

ما يطلب

ويقف أبو سلمى بين أطفال وطنه يحدث الناس والعالم عن الوجد الفلسطيني، والتشرد

الذي يعاني منه شعب فلسطين، إلى جانب الاضطهاد والممارسات القمعية، فينشد على لسان
أطفال فلسطين قصيدته (الشريد) فيقول⁽²³³⁾:

أنا الشريد على الزهر كل
أمشي من زوج
بهيج

ولا أبالي فالزهر
مالي

مع المروج

وفي أسري يديّ
الدجى بين النجوم

تهدي السبيل
ولا تميل

مع الغيوم

ويتابع أبو سلمى شوقه للحرية التي يفقدها أطفال وطنه:

(233) أبو سلمى: ديوان أبي سلمى، ص 148.

أنا الأفق من أنا الغني
الشريد ثروتي السعيد

ملكي العتيد ما في
أثمن الوجود

حريتي

أما اليعقوبي فإنه يحث الناس على صدق القول، وعدم التعاطي بالغبية والنميمة،
ويحرص على القضاء على كل من يكذب أو ينهش أجساد الناس، وجدير بالذكر هنا ملاحظة
الإصرار على التربية السليمة والخلق القويم، لأن الكذب والنفاق يؤديان إلى الدمار فيقول⁽²³⁴⁾:

(234) اليعقوبي، سليم أبو الإقبال: *وقائع الأناشيد الوطنية والقومية، جريدة فلسطين*، يافا، العدد 194، السنة الرابعة عشرة،
1930/11/1.

واهدموا النمام لا قبل أن ينوي
كان أبوه على هدم
الديار

وافعلوا ما شئتمو فيه حتى لا
أن تفعلوه يرى غير
البوار

إنه – إن أنتمو لم يهدم المجد،
تقهروه ولا يخش
الصغار

وجدير بكمو أن إنكم قوم معد،
تهدموه ونزار

وهنا يطلب اليعقوبي هجر الكذاب وصفعه وتحذير الناس من مسلكه غير الصحيح،
ويتبع في أسلوبه الفني لعرض هذه المطالب أو النصائح البساطة الأدبية التي تتمثل في البعد
عن المعقد والغريب، حتى يسهل حفظها والتعاطي معها، فيقول:

واهجروا الكذاب لا ليس للكذاب
نال مناه والله ضمير

والفظوه عنكمو ولكم في ذلك
لفظ النواه الخير الكثير

وإذا ما رتمو فاصفعوه، فهو
صفع قفاه بالصفع جدير

أنا لم أحذر من إنه في نظر
الناس سواه الحر حقير

ويلتفت عبد الرحيم محمود إلى الجهود التي يقوم بها العمال في بناء البلاد، ومدّها
بالخير والعطاء، فيتغنّى بهاماتهم وسواعدهم ومن حوله الأطفال يرددون، فيقول⁽²³⁵⁾:

(235) محمود، عبد الرحيم: ديوان عبد الرحيم محمود، ص 24.

نحن المصادر وسلاحنا قتل
والموارد السواعد

هاماتنا للمجد حين نبذعه
ترسو قواعد

وقلوبنا نبع ليس ينضب،
المكارم، والمجاهد

ودماؤنا إية العليا
الحمراء للحر روافد

ولنا الأيادي لا ينسى
البيض الأيادي غير
جاحد

أما اسكندر الخوري فإنه يحاول تعميق مشاعر الارتباط بالأسرة، مُظهراً حنان الأبوين
والمصاعب التي تواجههما في التربية والتنشئة، فيقول منشداً على لسان طفل صغير⁽²³⁶⁾:

(236) البيتجالي، اسكندر الخوري: **الطفل المنشد**، ص 6.

أحبُّ أُمِّي كما أحبُّ
وَأبِي لعبي

لا، فأُمِّي أحبُّ لي
وَأبِي من لعبي

من الذي وعينه
يحبني ترقبني

وقلبُه أليس
يضمني أُمِّي وَأبِي

ويتابع ذاكراً فضائلهم عليه:

من الذي في مأكلي
يهتم بي ومشربي

ويشتري لي أليس
لعي أمي وأبي

أطال لي ربّي ولي
عمرهما أبقاهما

يا رب هل لي مَنْ
غيرهما كأمي
وأبي

أما فدوى طوقان فترسم فرحة العيد في عيون الأطفال، وحالة السعادة والمرح التي تخيم على الجميع، من خلال التوجه إلى المساجد لصلاة العيد والتكبير أثناءها، فتقول في نشيد العيد الذي نظمته في العام 1939⁽²³⁷⁾:

(237) طوقان، فدوى: من مخطوطة للشاعرة.

يا مرحباً يا عيد يا
فرحة القلب

تأتي لكل جديد في
الجد واللعب

يا مرحباً يا عيد

ما أروع في
المشهد ساعة
الفجر

والناس في لهفة
للمسجد تسري

يا مرحباً يا عيد

وتسترسل الشاعرة في وصفها لهذا المشهد الاجتماعي الجميل:

يقفون صفاً إلى للتكبير صفّ

ولم ينفك الشاعر وديع البستاني عن نصره أبناء وطنه، من خلال مظاهر الفرح والترح التي كان يبثها في أناشيده، مظهراً من خلالها سبل الخلاص والحرية من نير المستعمر، فينشد قائلاً في نشيدٍ للنادي الموسيقي بمدينة حيفا⁽²³⁸⁾:

وإذا ما الطير بـين
غنى أعطاف
الغصون

وإذا القلب والأمانى
تمنى شجون

فخذوا وانظروا
التأويل عنا ماذا يكون

ثم يسترسل في قصيدته معلناً في ختامها توفقه لحرية وطنه وخلاصه:

(238) البستاني، وديع: ديوان الفلسطينيين، ص 315.

يا
فلسطين
السلام

بوقار
واحتشام

ديننا حفظ
السلام

مالنا
دين
سواه

وتقبل
يا إله

كل آه
بعد آه

أما الشيخ محمد البسطامي فيركز على البناء الاجتماعي الذي يعدّه أساس التقدم والنجاح، فمثلاً تحدث عن الانتماء للأسرة وطاعة الوالدين في نشيد (الوالدين) الذي يظهر

فيه أفضالهما، فقد ربط رضى الله وطاعته برضى الوالدين، انطلاقاً من قوله تعالى في سورة الإسراء (وقضى ربك ألا تعبد إلا إياه وبالوالدين إحساناً...)، فيقول⁽²³⁹⁾:

لأُمِّي وَأَبِي عَلِي
فَضْلٌ لِّسْتِ
أُنْسَاهُ

نَعَمْ فَإِنَّ الْحَقَّ
أَهْوَاهُمَا أَهْوَاهُ

وَمَنْ يَجِدْ عَلَيْهِ
جَمِيلَهُمَا يَغْضِبُ اللَّهَ

وللمجتمع الفلسطيني خصوصية تميزه عن غيره من المجتمعات، فصور الشهداء لا تكاد تفارق أحلام الكبار والصغار على حدٍ سواء، مما حدا بكثير من الشعراء كتابة الأناشيد لهم، تلك التي يغنيها الصغار والكبار، وها هو ذا العدناني يقف منشداً قصيدته (نشيد الشهداء) التي كتبها في العام 1938، حيث يقول⁽²⁴⁰⁾:

(239) البسطامي، محمد: الشادي في الأناشيد المدرسية الوطنية، ص 12.

(240) العدناني، محمد خورشيد: العدنانيات (اللهيب ج 1)، ص 24.

غَسَّـلُوهُ وَاذْفَنُوهُ
بِدُمُوعِي فِي
ضُلُوعِي

وَاذْكُرُوا أَنَّ مَفْجُوعاً
هَجُوعِي فَرَّ وَهَامَا

عن جفوني

قَدْ ذَوَى زَهْرُ فَاكْتُوِينَا
الْأَقَاح بِالنَّوَاح

وَمَضَتْ عَيْنٌ تَذْرِفُ
الصَّبَاح الدَّمْع
سَجَامَا

في جنون

ويستلهم الشاعر عبد الهادي كامل طفولته، ليستشعر معها الحنين إلى أمه التي
أرضعته الحب والحنان، وأحست آلامه وأوجاعه، وسهرت الليالي الطوال إلى جانبه، فينشد
قائلاً في نشيد (أمي) الذي نظمه بمناسبة عيد الأم، وأهداه إلى الأطفال الذين حرموا حنان

الأم والأب، وأرض الوطن فيقول⁽²⁴¹⁾:

من ذا الذي ومن عليّ
يرأف بي يسهر؟

إذا أَلَمَّ أو إن
السقم بي عراني
الضرر؟

أمي التي وهي عليّ
تحضنني تسهر

تحوطني في وأي حبّ
حبّها أظهر

وفي نشيد (أمي) للأستاذ راضي عبد الهادي الذي يتغنّى من خلاله بحنان الأم

بوصفها مهجعاً للأمان ومستودعاً للحب والمثل والقيم، حيث ينشد قائلاً⁽²⁴²⁾:

(241) كامل، عبد الهادي: ديوان قلب شاعر، ص 209.

(242) عبد الهادي، راضي: ديوان بصمات الأيام ج1، عمان، مطبعة الهنداوي، 1981-1982، ص 20.

يا معين الحب، يا ضياء العين،
يا عذب الأمانى يا خفق الجنان

يا حناناً دونه أي حنان

أنا مذ أبصرت وعبرت الدرب
في الدنيا طريقي في وهن وضيق

كنت يا أمي ملاذي وصديقي

هكذا يستذكر الكبار طفولتهم التي يستعيدونها على ألسنة الصغار، فيبثون في مثل هذا
النشيد طاعة الوالدين، وضرورة احترامهم لما بذلوه من جهد ومشقة في تربيتهم، ثم يسترسل
في بعض المآثر والمحاسن التي أرضعته إياها أمه، فيقول:

سلم الثدي الذي عزة النفس
أرضعني وحب الوطن

وباقتحام الهول عند المحن

فهي التي ترضع اللبن الذي يستقيم به الجسم، وينمو، وهي التي تربي على القيم
وتزرع الفضيلة، وينهي نشيده داعياً لها بالسلامة والبقاء رمزاً للتفاني والعطاء، قائلاً:

واسلمي يا أم يا والمروآت رمز العطاء وألوان الإباء

وشعاراً للتفاني والفداء

وتبرز في هذه الأناشيد أهمية النشاط وعدم التكاسل، وتعويد الأطفال على العمل والمبادرة، كما وتركز على تنمية الروح الاجتماعية التي تسعى إلى تنظيم الحياة الاجتماعية للأطفال، وتعمق فيهم الانتماء للأسرة وحب الأبوين لما لهما من فضل كبير في التربية، لا سيما سهرهما وتعبهما ومثابرتهما على تحقيق أفضل الظروف وأحسنها لأطفالهما، فضلاً عن دعوة الأطفال إلى التمسك بالعادات والقيم الحميدة كالتعاون والإخاء والصدقة وحب الجماعة، وكذلك إظهار أهمية بعض الظواهر الاجتماعية السامية مثل الاجتماع في صلاة العيد، وما يتركه من أثر في نفوس الناس والمجتمع من فرح وتراحم ومودة.

6- النشيد الوصفي:

وهو النشيد الذي يركز على جمال الطبيعة وفوائدها، ومدى أهمية فهمها ومعرفتها مما يعمق الانتماء إليها، ويعزز العلاقة بالأرض والوطن، كما يلفت الانتباه إلى بعض مظاهرها مثل الليل والنهار، والشمس والقمر، فضلاً عن التعرف إلى فصولها ومواسمها وما يعتريها من تغيرات في تلك الفصول، وبالتالي فإن هذا النشيد قد يوفر حالة من الانسجام النفسي بين الطفل وما يحيط به من مشاهد الطبيعة بسحرها ومحاسنها، بفضائها وسمائها، وهذا ما يولد الحنين إلى الطبيعة، والتغني بها، والبحث والتأمل في رحابها.

وليس من شك في أن أناشيد الطفولة في الشعر الفلسطيني قد استجابت لكثير من

الأغراض والرغبات التي تنمي قاموس الطفل اللغوي، ليرتقي مستوى إدراك الطفل إلى إشباع رغبته بمعرفة الطبيعة التي يسكنها، وكذلك سدّ حاجاته الحسية والمعنوية، والتعرف إلى جمال الكون وظواهره المختلفة.

وانطلاقاً مما تقدم، فقد كان للنشيد الوصفي الذي يركز على الطبيعة بكل صورها وأشكالها الحية والصامتة، مساحة لا بأس بها في أناشيد الأطفال، فتغنّى الشعراء بالوطن مع أطفالهم في أساليب تصويرية بسيطة وممتعة، وعزفوا ألحانهم على أوتار الربيع وفرح الصغار، فتألّقوا في عطائهم وحرصهم على ضرورة بناء الأجيال التي هي أساس المجتمع الواعي ومستقبله المأمول.

بهذا النفس المستعد للحياة، أنشد إبراهيم طوقان قصيدته (نشيد الربيع) حين تغنّى بالطبيعة الساحرة، واصفاً جمالها الأخاذ في ثوب مطرز بالعشق والفتنة، والزينة التي وهبها الله لها، فيقول⁽²⁴³⁾:

(243) طه، المتوكل: الكنوز ط1، عكا، دار الأسوار 1998، ص 13.

قَدِيدَا
الرَّبِيعِ

وَصَفَا
الزَّمَانِ

هَيَّا يَا
إِخْوَانِ

نَجْمِعِ الْأَزْهَارَ
وَالْأَثْمَارَ فِي
الْوُدَيَانِ

ويتابع بهجته بهذا الزائر الجميل معبراً عن حبه لهذه المظاهر الخلابة:

طابيت
النفوس

عمّت
الأفراح

زالت
الأتراح

كل طيرٍ فوق غصنٍ
.. ينشد الألحان

كل لحن بعد لحنٍ ..
يبعث الأشجان

لثُغْنٍ أعذب
الألحان

وفي (نشيد بلادي) الذي أرسلته فدوى طوقان لدار الإذاعة الفلسطينية في العام 1939، تصف من خلاله خصوبة فلسطين، وجمال طبيعتها الخلابة، وترسم لوحاتها بإيقاع متناغم، تشوّق الأطفال إليها، فتبعث الفرح والطرب في نفوسهم، حيث تقول منشدة⁽²⁴⁴⁾:

(244) طوقان، فدوى: من مخطوطة للشاعرة.

جنة الدنيا حبها
بلادي ملء
فؤادي

خيرها في حسنها
كل وادي للعين
بادي

جنة الدنيا بلادي

في الروابي في
والسهول البوادي
والحقول

في صباح أو حسنها
أصيل للعين
بادي

جنة الدنيا بلادي

أما راضي عبد الهادي فيقدم في (أنشودة الفلاح) جمال الطبيعة في بلاده لأطفال

وطنه بأسلوب مشوّق، حيث يدفعهم إلى التعرف إليها بطريقة مشجعة، فيقول⁽²⁴⁵⁾:

ما أجمل في ثوبها
الأوطان الأخضر

كأنها فتانة
الريحان المنظر

هيا بنا هيا

هيا مع نمضي
الأهل إلى
الحقل

وفي مشهد آخر من أنشودة لأبي سلمى بعنوان (نسيم الربى) ينفث العطر والريحان في نفوس الأطفال، ويصطحبهم معه بين جنبات الطبيعة الجميلة، ما بين سهولها وبساتينها وشجرها ونهرها وربيعها الضاحك، فينشد قائلاً⁽²⁴⁶⁾:

(245) عبد الهادي، راضي وآخرون: الروضة للصفين الثاني والثالث الابتدائيين، ص 18.

(246) أبو سلمى: ديوان أبي سلمى، ص136.

هذا نسيم يحمل
الربى عطر
الزهور

يرمي هنا أو يُعطّر
هنا المنحنى

إليه قلبي وقال يا
صبا مرحبا

هذا نسيم الربى

ويفف البيتجالي شجرة البرتقال، ليعرّف الأطفال إليها بأسلوبه البسيط، حيث

يقول⁽²⁴⁷⁾:

تأملوا كالتبر في
البرتقاله شكل هاله

غصونها تحوطها
الخضر راحت بجلاله

(247) البيتجالي، اسكندر الخوري: الطفل المنشد، ص16.

صفرٌ وحمزٌ للعين خير وخضرٌ علاه

تـوـي يـوـحـي عصيراً لذيذاً إليك البسالة

لكن الطبيعة عند البحيري ليست لهواً أو ترفاً يتمتع به ليومه، وإنما هي العاطفة المنسجمة في حب أبدي مع الأهل والوطن والعشيرة، وحينما يكشف البحيري عن جمال وطنه ومفاتن بلاده، إنما يردُّ بذلك على العدو الغاصب الذي يدعي بأنها أرض خالية، وصحراء قاحلة دون ثقافة أو مقدسات، ومن هنا كان وصفه للطبيعة " إبرازاً لروح الوطن، وإشعاعاً لنار حبه في قلوب الشباب الغضّ، وتفتيحاً لعيون أبنائه على نور جماله " (248).

وبهذا المفهوم يعانق الشاعر البحيري جمال الطبيعة في فلسطين التي تتفق مفاتها في الربيع، حيث يظهر الوطن بابهي الحلل وأجملها، فينشد بأسلوب رقيق يأسر القلوب ويمنح السعادة والفرح، ويشفي الصدور مع النسائم والأزهار، فيقول في قصيدته (نشوة الربيع) (249):

(248) محمود، حسني: الشاعر حسن البحيري، ص32.

(249) البحيري، حسن: ديوان أفراح الربيع ط1، حيفا، الناشر محمد أحمد حجازي، 1944، ص38.

ربيع ضائع
النشر

وزهر
باسم الثغر

وأنسام^{٢٩}
معبرة^{٢٩}

سَرَتْ بنوافح
العطر

--

وضوء
الشمس
تحسبه

لرقته سنى
بدر

إذا ما خرَّ
ينبوع

وحياً موكب
الفجر

ويمضي في هذا الوصف الجميل منتقلاً بين زهر الوطن وأشجاره:

وزهر اللوز
داعبه

نسيم الصبح
إذ يسري

وراعي
السرب هز
النأي

بالأشواق----
-- والذكر

وفي فرح يعتريه الأمل والسرور ينشد عصام حماد للربيع، ويغني لعودته الجميلة،
مصطحباً معه أطفال وطنه ببساطة كلماته من أجل تشويقهم للطبيعة الفاتنة، فيقول في
قصيدته (عودة الربيع) التي نظمها في العام 1945⁽²⁵⁰⁾:

(250) حماد، عصام: من مخطوطة للشاعر.

الطير
يشدو
حولنا

والزهر
نشوان بنا

عاد الربيع
للديار

حلو الخطا
عذب
المزار

الليل فيه
والنهار

سيان نور
وسنا

ويطلّ الشاعر محمد حسن علاء الدين من خلال جغرافية الوطن في نشيد له في العام
1946، ليشرح الطبيعة الفلسطينية للملأ مظهراً جمالها ونقاءها ومفتخراً بجبالها وسهولها، ويجمع

الأطفال حول رحيقها الفواح، وعطر أنسامها يتنفس شذاه بين كلماته العذبة الرقيقة، فينشد قائلاً⁽²⁵¹⁾:

هـذا فخر
الوطن الزمن

فخر فخر
الدنى القتن

أجباله سحر
هتن

وسهوله زين
علن

لكن الشاعر محمد العدناني يتجه في نشيده نحو المدينة المقدسة، واصفاً مكانتها الدينية والروحية، وأهميتها التاريخية والعالمية، وذلك بأسلوب سهل وبسيط يرتاح له الصغار، ويعشقه الأطفال، فيقول في (نشيد القدس) الذي كتبه في مدينة القدس عام 1946، وهو مقرر لمنهاج الصفوف الابتدائية⁽²⁵²⁾:

(251) علاء الدين، محمد حسن: هذا الوطن، جريدة فلسطين، يافا، العدد 69، السنة 21، 1944/5/28، ص 3.

(252) العدناني، محمد خور شيد: العدنانيات (اللهيب ج 1) ص 66.

مدينة ريحانة
القدس الشرق

ومنية وشعلة
النفس الحق

مدينة والعزّ
الطهر والمجد

والوحي والأنس
والشعر والرّفد

ومرة أخرى يحاول البيتجالي اسكندر الخوري في نشيده (قَطُّ لَنَا)، أن يدخل الفرحة
في نفوس الأطفال، بوصفه قِطَّةً له في بيته بطريقة تبعث الفكاهة والمرح، حين يقول⁽²⁵³⁾:

(253) البيتجالي، اسكندر الخوري: **الطفل المنشد**، ص7.

قَطُّ لَنَا فِي
بَيْتِنَا

دُوماً لَا بَلْ
مَرِحَ فَرِحَ

فَوْقَ يَهُو
الشَّجَرِ السَّهْ
ر

يَطْمَعُ صَيْدٍ
فِي خَفِي

وفي نشيد لفدوى طوقان كانت قد أرسلته لدار الإذاعة الفلسطينية في القدس عام 1939، وصفت فيه ديكاً لها في حالة من الفرح والمرح الطفولي، والبهجة العارمة التي تملأ سماء النص، حيث تم إنشاده في برنامج حديث الأطفال، تقول فيه ⁽²⁵⁴⁾:

(254) طوقان، فدوى: من مخطوطة للشاعرة.

ديكي حبا
أحبه كثيراً

حياه صوتاً
ربه جهيراً

يفيض طهراً
قلبه ونوراً

زاهي طلق
الوشاح الجناح

لكن أبا سلمى يحاول التحليق مع أطفاله في سماء بلاده، ليغني مع العصافير والطيور
في نشيده (يا بليلي) الذي يقول فيه (255):

يا بلبلي! مالك لم
يا بلبلي! تغن لي

تمام ما بين غطاك من
الزهر نور القمر

ومن حوالبك النسيم
يرعى محياك الوسيم

يا بلبلي يا تعال عندي
بلبلي وانزل

مالك لم تغن
لي

وتسعى هذه الأناشيد إلى ربط الطفل ببيئته من خلال تنمية إحساسه بجمال الطبيعة ومحاسنها ومفاتها، وهذا ما يساعده على تعميق روح الانتماء للأرض والوطن، إضافة إلى تعريفه ببعض الحيوانات المحيطة به وفوائدها النافعة للإنسان، ويمكن أن تكون هذه الأساليب الشعرية من أنجح الوسائل في لفت أنظار الأطفال إلى البيئة التي يعيشون فيها، ذلك لأن الطفل يعتمد على البصر أكثر من اعتماده على العقل والتفكير، ويبدو ذلك واضحاً في سنواته الأولى.

7- النشيد المعرفي:

هذا الجانب من الأناشيد يتعهد الصغار في تقديم المعرفة اللازمة لهم، وتزويدهم بالمعلومة التي تتعلق بالمخترعات والصناعات الحديثة، لا سيما وأن عصر التقنيات يداهم عقولهم، ويفاجيء مداركهم بتسارعه وتقدمه على وتيرة متصاعدة، قد يصعب على الأطفال فهمها أو التعرف إليها، فضلاً عن تفسير بعض الظواهر التي تحيط بالكون الذي يحاول الأطفال الكشف عن أسرارها، ومعرفة غوامضها، ويلاحظ أن أحداً من الشعراء لم يكتب في هذا المجال، سوى بعض الأناشيد التي كتبها الشاعر البيتجالي اسكندر الخوري، ضمن مجموعته التي خصصها للأطفال تحت عنوان (الطفل المنشد)، حيث اصطحبهم معه في رحلة معرفية بين معظم الصناعات والاختراعات القديمة والحديثة، فقدم لأبناء الوطن صورة الدبابة التي كانت تؤرق أحلامهم في شوارع البلاد وعرفهم بها، حيث يقول⁽²⁵⁶⁾:

دبابة جريئة
دبابة صخابة

تقحم وتقذف
الميدان النيرانا

(256) البيتجالي، اسكندر الخوري: الطفل المنشد، ص36.

وتتشر في الجيش المجازر والحوادث

فینشد قائل⁽²⁵⁷⁾:

سارت بنا كأنها
سيارة طائرة

تستسهل وتصعد
الصعابا الهضابا

وقودها تمشي
البنزين ولا
تلين

تختصر كأنها
المسافة خرافة

ثم ينتقل إلى الهاتف الذي كان من الاختراعات الحديثة في تلك الفترة، فيقول (258):

التلفون أتى بها
نعمة المخترعو
ن

له مزايا يعرفها
جمّه المطلعون

متمم في لحظة
أعمالنا أو لحظتين

ومنجز بكلمة أو
أشغالنا كلمتين

ويلاحظ هنا انفراد البيتجالي اسكندر الخوري بنظم مجموعة من الأناشيد التي يتحدث فيها عن الصناعات والمخترعات الحديثة، مثل وسائل الاتصال كالتلفون والتلغراف، وكذلك وسائل المواصلات كالسيارة والطيارة والسفينة والقطار وغيرها من الوسائط الأخرى، فضلاً عن وصفه للدبابة كوسيلة حربية حديثة بهدف تعريف الأطفال بها، وإحاطتهم بمزايا تلك المخترعات الحديثة كلون من ألوان التتقيف، علماً بأن صياغتها لا تخلو من الموسيقى والتصوير.

وفي رأيي أن حصر هذا اللون من النشيد عند الشاعر البيتجالي قد يكون لتأثره بأناشيد شاعر الأطفال محمد الهراوي الذي تناول هو الآخر هذه المواضيع، لا سيما أن كليهما عاشا ضمن فترة زمنية واحدة وذلك في العشرينيات، عندما كان أدب الأطفال وأناشيدهم في مصر قد بلغا الذروة والانتشار.

8- نشيد الإرشاد والتوجيه:

وهذا اللون من الأناشيد، يسهم في بثّ الحكمة والموعظة في نفوس الأطفال، ويزودهم بالقيم والفضائل والأخلاق الحميدة، فضلاً عن إرشادهم لما يحقق لهم المجد والرفعة، وينير لهم طريق الصواب التي لا بد أن تحملهم إلى تحقيق طموحاتهم بأصلح السبل الممكنة وأقومها، حيث تمدهم بالإيمان والعزيمة والإرادة، وقبساً من تجارب الآخرين في الاعتماد على الذات ونبذ التكاسل والتواكل، فضلاً عن إطلاعهم على الماضي العريق للأمة، حتى ينهلوا من تراثه الغني بخبراته، ويتعرفوا إلى الأصول التي وصل أجدادهم من خلالها إلى منابر العزة والكبرياء، لا سيما أن تربية النشء تستحق كل جهد وإمكانية لتحقيق بناء مجتمع سليم خالٍ من الضعف والوهن.

وفي هذا الجانب حمل اليعقوبي لواء الوعظ والإرشاد، وقد حذا في أناشيده حذو بعض من سبقوه في إهداء النصح إلى أبناء قومه، وصياغته في قوالب فنية ترقى إلى مستوى إدراكهم وتلامس أسماعهم وتتقبلها قلوبهم، فيقول في الفصل الثاني من رباعياته⁽²⁵⁹⁾:

(259) اليعقوبي، سليم أبو الإقبال: من وقائع الأناشيد الوطنية والقومية، جريدة فلسطين، يافا، العدد 194، السنة الرابعة عشرة، 1930/11/1.

وأعيدوا ذكريات فالهوى كل
الحازمين الهوى في
الذكريات

وتغنّوا بثبات من بني أوطانكم
العاملين في الطيبات

فبنو أوطانكم في لم يسودوا
الغابرين الناس إلا
بالثبات

واجعلوا آمالكم إن همو لم
في الناشئين يجبنوا،
والناشئات

ولم يتوقف اليعقوبي في أناشيده عند هذا الحد من النصح لأبناء وطنه، وإنما طالبهم باستتفار العرب في كل أصقاعهم ومناحيهم للوقوف إلى جانبهم في محنتهم، حيث المجد العربي الذي سطر صفحات العزة والبطولة فيقول:

واستفzوا عرب وبنى مصر،
نجد والشام وأبناء العراق

إنهم من قبل، وكرام العرب
واليوم كرام للعرب رفاق

بلغوا في المجد بينما مجد
غايات المرام سواهم غير
باق

مجدهم مذ ثبتوا في ربوع
من عهد سام الشرق ممتد
الرواق

ولقد كان الشاعر إبراهيم طوقان دائم التطلع إلى وطنه، فتارة ينصح، وأخرى يحذر، وفي معظم الحالات كان يحث على النضال والثورة، ويدعو إلى رفع لواء المجد والحرية، فينشد عالياً بكبرياء وشموخ نشيد النهضة الذي نظمه في العام 1933/1934، وقد انتشر على الاسطوانات في ألمانيا، وأصبح فيما بعد نشيداً وطنياً، فلسطينياً ثم قومياً يقول فيه⁽²⁶⁰⁾:

(260) فليل، محمد: الأناشيد الوطنية للأمة العربية، بيروت 1953، ص2.

وطني أنت لي وطني أنت
والخصم راغم كل المنى

وطني إنني إن وبك العز
تسلم سالم لي والهنا

وهنا يصرخ في سماء الوطن مستثيراً الشباب الحر للذود عن حماه:

يا شباب أن أن
انهضوا نهضاً

ولنعـلـ فلـ نعم
الوطن الوطن

وانهضوا مجدكم
وارفعوا عالياً خالداً
سامياً

أما العدناني فيتوجه إلى أبناء العرب في (نشيد العرب) الذي نظمه في يافا في العام 1944، محرضاً إياهم على النهوض، ويبشرهم بالأمل فيقول⁽²⁶¹⁾:

(261) العدناني، محمد خورشيد: العدنانيات (التهيب ج1)، ص34.

إنه يا
ضوا عرب

فالأسـقـد
ى ذهب

والفخر
ا اقتـر
ب

فابشر يا
وا عرب

عمـر
نو الأمل

سهـل والجـ
نا بل

فأزيحوا
الكسل

واعملوا
وا عرب

ويتابع نظمه متوجهاً إلى أبناء الوطن العربي، محرضاً إياهم على مقاومة الاستعمار وعدم

التراخي:

عَمَّوَا بِالْخُ
لُودِ

هامكم يا أسو

واقذفوا باليه
ود

فِي الْـ
جَحِيمِ رَبِّ

ولم يتأخر الشاعر البيهقي اسكندر الخوري عن إيداء النصح للأُسَرِ، محذراً إياهم من إهمال أطفالها، وحثها على تربيتهن على الطريقة السليمة، لرفعة شأنهن والنهوض بمجتمع واعٍ سليم يقول فيه⁽²⁶²⁾:

(262) البيهقي، اسكندر الخوري: **الطفل المنشد**، ص33.

لا صرح لا لا مجد
بناء لا ثراء

ما قيمة ما قيمة
الأبناء الآباء

إن أُهْمِلَ الأطفال

وفي نشيد النهضة الذي نظمه الأستاذ عصام حماد في العام 1944 دعا شباب الوطن
إلى التحلي بالعلم والشجاعة والأمل، وحثهم على طرد اليأس والكسل، لأنهم هم القوة والنبات
في الدفاع عن حياة الوطن فيقول⁽²⁶³⁾:

(263) حماد، عصام: من مخطوطة للشاعر.

أيها الشبان يا من رمز
الأمانى والأمل

هاتف النهضة فسـيروا
يدعوكم للعمل

جدّدوا مجدّ وابعثوا
الوطن ماضي علاه

وانفضوا عنه واستميتوا
الوسن في هواه

ويتابع بث الروح المعنوية في نفوس الشباب:

إنكم سر بل وإكسير
الزمن الحياة

يا شباب لا تبألوا
بالصعاب

ويلتقي الشيخ البسطامي مع الأستاذ حماد في دعوته للشباب في الذود عن الوطن،
وبناء المجتمع السليم القوي القائم على العلم والأخلاق، إلى جانب القوة والثبات، فيخاطب

(أبناء العرب) بقوله (264):

أنتم بلا بل فـغردوا
الوطن مدى الزمن

وادرعوا والأخلاق يا
بالعلم ذوي الفطن

فمن يقصر في العلم لا
سبيل يوق الفتن

ثم يتابع قوله في استنهاض الهمم، فينشد عالياً مع أطفال فلسطين وأبناء الوطن، محذراً
إياهم من الفرقة والخصام، داعياً إياهم للوحدة والتلاحم:

هَيَّا وانشدوا وانشدوا
وانشدوا على كل
فنن

واعتصموا تأمنوا شر
بالاتحاد الأحن

فالاتحاد تنأى بكم
قوة عن المحن

والافتراق تورثكم كل
ذلة شجن

موطنكم له فحققوا رجا
منن الوطن

وفي هذا المقام يبرز الشاعر قيصر الخوري في إبداء النصح لشباب العرب، وحثهم على التقدم والنهوض في قصيدته (الوحدة العربية) التي نظمها في مدينة حيفا سنة 1945، حيث يقول منشداً⁽²⁶⁵⁾:

(265) الخوري، قيصر: ديوان الذكريات، ص22.

يا شباب العرب إن واقتناص المجد
رمت العلاء فاصعد في الفضاء

إنما الطير جناح وجناح المرء
في الهواء عزم ومضاء

ودماء سلّمت من كل داء

مسرح العليا مجده الخالد نور
جميل واسع ساطع

أيها الحر لا تنم والليل
الطموح الطامع ساج هاجع

لا ينام الليل إلا الخانع

ويستمر في هذا النشيد مثيراً الحماس راسماً معالم الطريق أمام الشباب العربي قائلاً

في الختام:

النوع من الأناشيد وحفظها، لا سيما أنها تنمي فيهم مشاعر الحب والفرح والاستماع للحكايات الجميلة التي تنمي أخيلتهم وتداعب مشاعرهم، فضلاً عن تركيزها على الجوانب المضيئة والمفرحة في الحياة الإنسانية.

فالأستاذ خليل السكاكيني كان يداعب ابنه سرياً، ويحاول تعليمه هذه المقطوعة الفكاهية، وذلك في العام 1920، حيث كان يقول فيها بشيء من المرح⁽²⁶⁷⁾:

عجبٌ عجبٌ قطُّ سودٌ
عجبٌ عجبٌ ولها ذنبٌ

تصطاد الفأر من تتط الحيط
الأوكار فتقلبُ

أما إبراهيم طوقان فقد ضمّن إحدى رسائله المؤرخة في العام 1932، من الجامعة الأمريكية في بيروت إلى قذافي طوقان، نشيداً تغلب عليه الفكاهة والمرح، وكان عنوان هذا النشيد (البقة والبرغوثة)، وهو عبارة عن حوارٍ بينهما، بدأه بقوله⁽²⁶⁸⁾:

(267) السكاكيني، خليل: كذا أنا يا دنيا، ص 190.

(268) طه، المتوكل: الكنوز، ص 69.

البقرة: نحن نشرب دم
بنات الخشب العرب

نمشي نقرص
بيبء عجب مثل
العقرب

البرغوٲ: نحن مكاننا
الذين نقفُ معزُ

بيننا ترانا حتى ترانا
ننخرُ نزهر

كلاهما: عشنا في سالف
على الأبدان الأزمان

لو كان في عشنا
الإمكان على
الأوطان

وهذا النشيد قد يقصد فيه إبراهيم طوقان اليهود والإنجليز حيث يرمز من خلاله لليهود
بالبرغوٲ وللإنجليز بالبقرة، ورغم أن الرمز هنا يمكن أن يتجاوز الصغار للكبار، فإنه يُظهر

الممارسات الاستعمارية على أرض فلسطين والعرب، تلك التي يحوكمها الإنجليز لصالح اليهود، فالرمزية هنا قد يدركها الأطفال في مراحل الطفولة المتأخرة، إذ بإمكان أطفال هذه المرحلة إدراك علاقة الرمز بالواقع وتفسيرها.

إلا أن أبا سلمى ينشد مع الأطفال بعيداً عن الحيوانات والحشرات، ويطلق عنان صوته بنشيد وكأنه أحجية ولغز، أما عنوان هذا النشيد (لا أحد)، فيدل على مضمونه الترفيهي، أو المداعبة واللعب، فيقول⁽²⁶⁹⁾:

(269) أبو سلمى: ديوان أبي سلمى، ص144.

شخص كان
يسمى لا أحد يطوف في
البلد

ويختفي كل فتاة
وراءه وولد

من كسر الزجاجا،
وأطفأ السراجا

هل أنت يا أم أنت يا
زياده سعادته

كل يقول: لا
أحد

ثم يسترسل في هذا الغناء، بألفاظ تطفح بالبهجة، والأطفال من حلاته ينشدون في

سرور ويصغون في شوق:

وإن أتى
الأحد ضيَّعت
فأنت الرشد

إذ فأكهة ما عند
تختفي مثلها أحد

من المفتاحا التفاح
أخذ وأكل ا

من العنقود العهو
خطف وأنكر دا

كل يقول:
لا أحد

وفي محاولته تعليم ابنته الكتابة والقراءة، فإنه يأخذها بشيء من التشجيع والإقبال،

فيغني معها⁽²⁷⁰⁾:

(270) نفسه: ص132.

ويتجول البيتجالي مع صغار وطنه، في رحلة ترفيهية مستظلاً بأفياء الوطن الجميلة،
وذلك إذ يقول في نشيد له (271):

قُمْ بِنَا نَمْشِي قُمْ إِلَى
سَوَا شَمَّ الْهَوَا

إِنَّهُ خَيْرُ قُمْ بِنَا
دَوَا نَمْشِي
سَوَا

طَابَ تِي مَعْنَا
نَأْخِذْهَا نَلْهُو
بَهَا

فِي الْهَوَا قُمْ بِنَا
نَقْذِفْهَا نَمْشِي
سَوَا

وينشد الأطفال في حالة من النشوة والفرح، بعضهم يمسكون بأيدي بعض، ويجرون
بشكل دائري، ويهتفون ببعض الأناشيد التي لا يُعرفُ مؤلفوها، ومنها (272):

(271) البيتجالي، اسكندر الخوري: *الطفل المنشد*، ص 18.

(272) كناعنه، شريف وآخرون: *الإحباب والطفولة*، ص 402.

يَا أَوْلَادُ يُو
حَارَّتْنَا يَا

كَسَّرُوا يُو
جَرَّتْنَا يَا

جَرَّتْنَا يُو
كُبِيرَهُ يَا

قَرَعَتْهَا يُو
تَيْنَهُ يَا

مَثُلَ يُو
الْفَلِينَةُ يَا

دَبَّوْسَ يُو
حَدِيدُ يَا

يُغْرَسُ فِي يُو
الْإِيدُ يَا

وهذا التردد الجماعي قد يولد السعادة والبهجة في نفوس الأطفال، وقد تكون كلمة

(يوبا) إحدى حالات التعبير النفسي عن جوّ الفرح الذي يملأ كيانه، وهي مثل عبارة (هيبلا هوب هيبلا) التي يستعملها الصيادون في البحر، أو العمال في بعض أعمالهم، حيث يستمدون من خلالها المعنويات التي تشحذ همهم للعمل والمثابرة.

وفي نشيد آخر يتغنّى به الصغار في ألعابهم، يهتف أحدهم، ويرد عليه بقية الأولاد من خلفه، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأناشيد منتشرة في جميع أقطار الوطن العربي، إذ تُعدُّ من أناشيد التراث⁽²⁷³⁾:

يَا مَاء
غَنَمَاتِي مَاء

قُولُوا مَاء
مَعَايَا مَاء

غَنَّا مَاء
مَعَايَا مَاء

يَا مَاء
غَنَمَاتِي مَاء

اَنْتَ مَاء
حَيَاتِي مَاء

دَيْبُ جُعَانُ
الْوَادِي كَثِيرُ

عَايِزُ أَكْلُ
خُرُوفُ صَغِيرُ

ر

يـا مـاء
غـنـاتـي مـاء

امـشـوا مـاء
مـعايـا مـاء

ومن هذه الأناشيد والأغاني يستطيع الأطفال أن يتعلموا الحفظ والقراءة والكتابة، إذ إن العامية القريبة من الفصحى التي تتضمن بعض التعابير اليومية الملتقطة من ألعاب الصغار، وممارساتهم الطفولية في اللهو والمرح قد تُسهّل عليهم تحقيق المهارات اللغوية بصورة عملية، والتقدم بأسلوب التعلم بطريقة تساعدهم على التزود بالمعرفة والانفتاح على العالم المحيط.

وفي هذه المجموعة من الأناشيد تبرز عوامل إدخال البهجة والسرور إلى نفوس الأطفال، وما يوفر لهم المتعة والفرح، إذ تحتوي روح الفكاهة وما ينبه الذاكرة وينشطها من خلال اللغز والأحجية، وكذلك تسخير تلك الأناشيد وسيلة تعليمية للطفل بطريقة تبعث على السعادة والمرح والإقبال، وهذا ما يُرغّب الأطفال بها ويجذبهم إليها.

الفصل الثالث

خصائص أناشيد الأطفال في الشعر الفلسطيني

أولاً: اللغة

ثانياً: البلاغة

ثالثاً: الموسيقى

رابعاً: المضمون

أولاً: اللغة

1- اللغة والنشيد.

2- المعجم اللغوي.

3- التكرار:

أ- تكرار الكلمة.

ب- تكرار العبارة.

ج- تكرار الجملة.

تتميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات الأخرى بالقوة والوضوح، وتتفوق عليها بالسهولة والقدرة والجمال، وقد جعلها الله كتابه الكريم ولغة أهل الجنة والسماء، فأُنزل كتابه العظيم في قوله تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }⁽²⁷⁴⁾، مما جعلها أشرف اللغات وأقدسها، كما تقدمت على غيرها بتمام حروفها وألفاظها، فلم ينقص منها شيء يشينها، أو يزيد فيها شيء فيكون عيباً عليها.

كما أن فضيلة ألفاظها تكمن في توافق معانيها مع التي تليها، فيعتمد جلاء المعنى على ترابط الكلمات ونظمها، فالتركيب اللغوي الذي يُعدُّ من الصفات العريقة للغة العربية يعتمد على ملائمة الكلمة في سياق الجملة أو العبارة، وسهولة انتماؤها للنسيج اللغوي، وحسن رصفها وتأليفها وكمال صوغها وتركيبها، فأجود الكلام السهل الممتنع⁽²⁷⁵⁾.

ولذا فإنه لا يمكن للفكرة القوية أن تضع في محاور الكلمات المتباعدة، بل لا بدّ لها أن تنتعش ويتموج مداها ويتردد صداها في القدرات الذاتية للإنسان.

فطريقة التعبير عن الأشياء تكشف مدى الإحساس بها؛ ليصل إلى قلب المتلقي ويستولي على كيانه النفسي؛ ذلك لأن العاطفة انعكاس للغة السليمة القوية التي تجد تأثيرها في نفس المتلقي، فهي مجموعة انفعالات وإشارات شعورية، تتجمع حول المعنى وتترجم نبضاته وإحجاءاته حتى تثير مشاعر السامعين⁽²⁷⁶⁾.

ولعل في هذه الصفات ما يمكن أن يُبرز الأهمية التي يجب أن تتصف بها لغة النشيد وما تحتوي عليه من معانٍ وأفكار ومعجم لغوي، فضلاً عن السهولة والوضوح، ودراسة التكرار اللفظي الذي يلاحظ في بعض الأناشيد، وما له من تأثير معنوي على نفس المتلقي.

⁽²⁷⁴⁾ سورة يوسف: الآية (2).

⁽²⁷⁵⁾ العسكري، أبو هلال: الصناعتين، ص 55، 61.

⁽²⁷⁶⁾ عبد القادر، حامد: دراسات في علم النفس الأدبي، ص 54.

1- اللغة والنشيد:

لغة النشيد هي ذاتها لغة الشعر، لكنها تمتاز عنها بنمط خاص من الصياغة؛ لأنها موجهة إلى فئة الأطفال من المجتمع، واللغة العربية بطبيعتها لغة شاعرية، وهي من أكثر اللغات اهتماماً بالإيقاع والنغم، وبالتالي تتفوق على غيرها في الموسيقى والغناء، ومن ثم أداء المعنى من خلال التناسق والترابط اللذين يجمعان عباراتها، ويطبعان أسلوبها بالحس والجمال.

غير أن معرفة الأطفال بلغتهم لا تكون واسعة، ومخزونهم الثقافي منها ما يزال قليلاً، علماً بأن الكلمة تعدُّ من أهم ظواهر فن القول والكلام الذي يعتمد عليها في مستواه التعبيري، "فاللغة هي الوسيلة الحيوية والفعالة التي تعين الطفل في التعبير عن رغباته" (277).

ولا شك أن لغة النشيد إذا ما كانت غنية بمفرداتها، فإنها تمثل عوناً كبيراً على التفكير، وعلى تنظيمه وتيسيره وتوضيحه، فهي التي تنقل الواقع في جمل وعبارات وألفاظ، حيث يستطيع الطفل قراءة ما يدور حوله من أحداث، فالكلمة التي هي أصل اللغة تستمد قوتها من العالم الذي تنبثق عنه ويحيط بها؛ لأنها: "أداة توصيل وتواصل، في البدء كان الكون ثم الإنسان ثم اللغة والموسيقا ثم الشعر" (278).

ومن الأمثلة الحية على الأهمية البالغة للكلمة في النشيد، هذه الدعوة التي أطلقها أبو سلمى لأطفال وطنه والوطن العربي عامة، يحثهم فيها على المقاومة والنضال والصمود، وذلك في لغة شعرية مرهفة الإحساس، تتميز بالخفة والبساطة والسهولة اللفظية، لتعقب فيها

(277) عطية، نوال محمد: علم النفس اللغوي، ص 27.

(278) مشوح، وليد: دراسات في الشعر العربي الحديث ط1، دار دمشق، معد للنشر والتوزيع، 1993، ص 27.

القيم الجمالية والنضالية والروحية، فينشد قائلاً⁽²⁷⁹⁾:

هيا بنا ... هيا بنا هيا إلى الكفاح

تسير في ركابنا مواكب الصباح

على طريق الشهدا ترفرف البنود

نسمعها على المدى أنشودة الخلود

ويسترسل أبو سلمى في استنهاض همم الصغار، وشحذ مشاعرهم في ألفاظ وكلمات ثورية تضج بالوطنية والانتماء، يدغدغ فيهم مشاعر الدفاع عن ثرى فلسطين، فالكلمة بهذا المعنى " يجب أن تقوم بدور في البناء والكفاح، لا يقل عن دور الفأس والبندقية "⁽²⁸⁰⁾.

ويتابع منشداً:

نحن نضيء الأملنا ونحمل القبس

لقد حلفنا للعلى بأننا الحرس

(279) أبو سلمى: ديوان أبي سلمى، ص 152.

(280) وداي، طه: جماليات القصيدة المعاصرة ط2، القاهرة، دار المعارف، 1990، ص 143.

فمن الناحية التركيبية للجمل والعبارات في الأنشيد، برزت الأسماء والأفعال وبعض أدوات النداء بشكل لافت للنظر، حيث أدت دوراً مهماً ومميزاً في تناسقها وبنائها ودلالاتها، ومستوى انسجامها مع المهارات اللغوية للأطفال.

ومن الأمثلة على ذلك النشيد السابق لأبي سلمى (نشيد)، حيث يستهل دعوته للأطفال بأداة النداء (هيا) التي تستعمل للبعيد والحث على سرعة المجيء، وكأنه يحاول جمع أطفال الوطن، للقيام بالعمل الكفاحي ومقاومة المحتل، مكرراً إياها ثلاث مرات تأكيداً على أهمية النداء المرتبط بالفعل الذي لا بد من القيام به، ملحقاً بها ضمير الجماعة (نا) الذي يلتصق به حرف الجر (باء) توثيقاً للصلة بين الجماعة والعمل، كما يستخدم ضمير الجماعة في معظم ألفاظ النشيد ومفرداته مثل (ركابنا، نسمعها، نضئ، نحمل، رفعنا) ويأتي هذا الاتكاء المباشر على صيغة الجمع إبرازاً لأهمية التعاون البناء والروح الجماعية في العمل، وكذلك التآلف والترابط لتحقيق الهدف الذي يدعوهم إليه.

فالأفعال جاءت لتحدد زمن وقوع الحدث واستمراريته وما يصاحبه من تغير، فيقول أبو سلمى: (نحن نضئ الأمل) فيأتي الفعل المضارع هنا خبراً لضمير الجمع (نحن)، وكثيراً ما تأتي أفعال المضارعة في مثل هذه الحالة لإثبات الفعل واستمراريته، وتأتي كذلك لإفادة حدوثه في زمن معين، أما في الجملة الفعلية (ونحمل القبس) جاءت واو العطف لتعكس حالة التشابك الزمني وعدم انتهاء العمل وتوقف حدوثه، وكذلك إظهاراً للعلاقة الحاصلة ما بين (الإضاءة والقبس)، ومن ثم الإشارة إلى هيمنة الفعل على الأجواء المصاحبة لمكانية وقوعه، فضلاً عن تحقيق العمل الكفاحي في الماضي وصلته بالحاضر، وذلك من خلال أداة التحقيق (لقد) في قوله (لقد حلفنا)، وهنا يأتي الجواب توثيقاً للحقيقة المطلقة (بأننا الحرس).

ومما يلفت النظر كذلك توارد الجمل الاسمية في معانيها الدالة على سمو العمل

ولكن البيتجالي يركز في نشيده السابق (الوردة) على أداة النداء (يا) حينما ينادي وردة البستان التي تتعم على البشر بعطرها وجمالها وفتنتها، فيكررها أربع مرات تأكيداً على أهميتها، ثم تأتي الجمل الاسميّة لتؤكد حقيقة جمالها وزهو الإنسان بها، ومن أمثلة ذلك (وردة البستان، زينة الأغصان، عطرک الفتان)، وكذلك الفعل الماضي (أنعش) الذي يؤكد حضورها الزماني في حياة البشر، ويأتي استخدام (كم) الخبرية تثبيتاً لهذا الحضور الجميل في الماضي والحاضر قائلاً:

وفي (نشيد الجلاء) الذي يقول فيه⁽²⁸²⁾:

واحفلي يا دنى بعبير الرجاء

דדדדדדדדדדד

يوم عيد الجلاء

يبدأ العدناني نشيده بأداة النداء (يا) حيث يخاطب واحات الأماني والرجاء وكأنها بعيدة الغور في النفوس؛ فأداة النداء هذه تختص بالبعيد؛ ويأتي ذلك تعبيراً عن حالة الغياب الدائم لحالة الفرح في ذات العربي وموطنه، ثم تأتي أفعال الأمر في جمل طلبية تحت على البهجة والسرور فيقول: (ابسمي للهنا، واحفلي يا دنى) فيحاول انتزاع البسمة من أفواه الزهر والشجر والبشر، كما يطالب الدنيا بمن فيها الاحتفال بهذا اليوم المجيد وكأنه عيد الناس جميعاً، وتبرز الجمل الاسمية لتكشف عن حقيقة هذا الطلب، وضرورة انتشار مظاهر البهجة والسعادة، وانعكاساً للتفاعل الحاصل بين الجمل الطلبية والجمل الخبرية، تأكيداً أهمية حدوث فعل الابتهاج والافتخار (بعبير الرجاء، يوم عيد الجلاء)، أما توارد الأسماء في النص بشكل لافت للنظر (رياض، المنى، الهنا، دنى، عبير، يوم، عيد)، هي ذات إشارات واضحة وجليّة لتعظيم هذا اليوم وكذلك شيوع ارتباطها بالكيان الإنساني الذي يسعى دائماً لطلب الفرح والسعادة والحرية.

2- المعجم اللغوي:

الكلمة الجديدة تعني اكتشافاً جديداً للطفل، وثراءً لحصيلته اللغوية، وأحد العوامل المهمة التي تزيل الغموض عن جانب ما من جوانب حياته، وتجعله أكثر استعداداً للفهم والتفكير والقدرة على التعبير، لكن المفردة الجديدة لا تغني لغة الطفل دونما أساليب صياغة واضحة المعنى والدلالة، لأن اللفظة بمفردها لا يمكن تحديد مفهومها أو مدلولها، وإنما بالسياق والتركيب يمكن الاستدلال على مضمونها.

فالطفل في مراحله الأولى يحتاج إلى ألفاظٍ تحمل دلالات محسوسة يراها أو يسمعها أو يلمسها؛ لأنه في تلك المرحلة يعتمد على البصر أكثر من العقل أو التفكير،

ويصعب عليه اكتشاف الدلالات التجريدية أو المعنوية مثل (التضحية، الأخلاق، الإيمان) ولكنه يمكن أن يدرك كلمات مثل (شجرة، حجر، سيارة، ماء، قط، حصان).

غير أن الشاعر لا يعتمد في قصيدته أو نشيده على كثرة الألفاظ، فهي ليست بكثرتها أو غرابتها، وإنما بقوة ارتباطها وعلاقتها بالواقع الذي تعكسه، فعندما يتناول الشاعر القضية الوطنية في نشيده، فإنه لا بد أن تكون مفرداته من الألفاظ التي يعرفها الأطفال ويتداولونها بينهم، حتى يمكن توصيل الفكرة إلى عقولهم، ومن الأمثلة على هذا النوع نشيد البسطامي (أيها العلم)، الذي يقول فيه⁽²⁸³⁾:

أيها العلم أيها العلم

أنت للأمم رمزها الكريم

أيها العلم

حصننا الحصين ركننا الركين

كنزنا الثمين فخرنا العظيم

أيها العلم

فالكلمات التي جاءت على سبيل المثال في هذا النشيد (حصين، ركين، أرب) إضافة إلى مفردات كثيرة في أناشيد وطنية للأطفال، مثل (العرين، الأشم، الوغى، الطعان، الهوان،

(283) البسطامي، محمد: الشادي في أناشيد المدرسية الوطنية، ص3.

الأبوة، اصطخاب، مفدى، همم) وغيرها من الألفاظ التي تعكس الواقع الوطني الفلسطيني الذي يستولي على نفوس الصغار والكبار بلامحه ومفرداته، وقد تكون بعض هذه الاصطلاحات قد أضافت شيئاً ملحوظاً إلى قاموس الطفل اللغوي، وقد تكون أسهمت في نموه وكشفه لواقعه الذي يطمح إلى معرفته على الدوام، حيث إن النمو اللغوي كلما كان مبكراً " وزادت الذخيرة اللغوية للطفل وقدرته على استعمال اللغة، كان ذلك مؤثراً في تحصيله وفي حياته الاجتماعية والثقافية "(284).

وعلى الرغم من ذلك فإن مثل هذه المفردات قد تحتاج إلى شيء من الشرح والتفسير، مع العلم أن بعض الألفاظ والكلمات غير المألوفة لدى الطفل والواردة في بعض الأناشيد، تصبح جزءاً من نسيجه اللغوي حينما تشدها إيقاعات الأناشيد وموسيقاها.

فالشاعر في نشيده للأطفال يحاول دائماً أن يكون المربي الفاضل والناصح الأمين؛ لأن مسؤولية الجيل تقع على عاتق أمثاله، وأن هناك كثيراً من القضايا التي لا بد من تقديمها للأطفال بأسلوب لغوي يرقى إلى مستواهم الإدراكي، وفي هذا السياق نلاحظ نشيد السكاكيني لوحيدة سري والمفردات والألفاظ التي خاطبه بها، حيث يقول (285):

1- نحن قوم أبيونا لا نُقرُّ الأذى فينا

لا نبالي
منايانا
في سبيل أمانينا

فالمفردات (أبيونا، لا نُقرُّ، ورثناها، هويناه، شواهينا) كلها تنصب في الاتجاه

(284) منصور، عبد المجيد سيد أحمد: علم اللغة النفسي، ص 104.

(285) السكاكيني، خليل: كذا أنا دنيا، ص 291.

الوطني من هذا المعجم الغني بمفرداته، ويمكن أن تكون هذه الألفاظ قد عبرت عن عواطفه التي تتفاعل مع قضايا مجتمعة بصورة تليق بطفولته، فتزوده تلك الأناشيد البسيطة بإمكانيات التعبير النفسي إلى جانب مهارات التعبير اللغوي الأخرى.

واعتماداً على هذا الموقع للكلمة وأهميتها في التركيبة الفنية للنشيد، جاءت تلك الأناشيد لتغدو أساساً في تنمية قدرات الأطفال التعبيرية، وتوفير الأساس المتين للعلاقة الإنسانية، حيث أن اللغة " تبدع عالماً وبدونها لا يستطيع الإنسان أن يعرف نفسه " (286).

وإذا ما أمعن النظر في الكشف عن المعجم اللغوي لتلك الأناشيد، يلاحظ مدى الاهتمام بالكلمة والالتزام بالفصحى السهلة، حيث يتمكن الأطفال من إتقان اللغة وتقبلها، إذ إن تداول الفصحى وممارستها يخفف من سيطرة العامية على المعجم الثقافي للطفل، ويرقى بلغته؛ لأن الفصحى ذاتها " تتميز بخصائص تفتقر إليها اللغة العامية، فالفصحى وعاء الفكر والحضارة " (287).

ومن أمثلة ذلك نشيد (اللغة العربية) لوهيب البيطار الذي يقول فيه (288):

اسلمي للعرب لرياض الأدب

واخلدي واسعدي

وإلى المجد أقصدي واسلمي للعرب

(286) الصباغ، رمضان: في نقد الشعر العربي المعاصر ط1، الاسكندرية، دار الوفاء للطباعة والنشر، 1998، ص 143.

(287) مصطفى، رجب: بين الفن والتربية، مجلة التربية، العدد 128، 1999، ص 200.

(288) البيطار، وهيب: ديوان أمة معلم، ص 82.

لغة الآباء هُبي عطري هذا الزمانا

فشذا مجدك يُصبي عشقتهُ رنتانا

واسعدي واخلدي

وإلى المجد اقصدي واسلمي للعرب

هكذا تبرز السمات الجمالية في المفردات اللغوية، بسلاستها ولحنها المتناسق، كما وتحمل بين سطورها ألفاظاً لافتة مثل (رياض، اقصدي، هُبي، شذا، يُصبي) مثل هذه الكلمات التي جاز استخدامها في الفخر والعشق والاعتزاز، وكذلك الألفاظ والجمال التي تبعث في النفس مشاعر المجد والكبرياء مثل: (اسلمي للعرب) و (لغة الآباء هُبي) و (عطري هذا الزمانا)، حيث يفيد منها الطفل في تطوره اللغوي، فاللغة عالم قائم بذاته، مليء بالأمثلة التي لا يدركها الصغار، ولكنها بتعلمها والإقبال عليها قد تصبح فيما بعد شيئاً مألوفاً لديهم حتى " تؤدي بالطفل إلى فهم بيئته والاتصال بها " (289)، فتزوده بشتى أصناف المعرفة والحقائق التي تتصل بحياته اليومية، فكلما زادت الثروة اللغوية المنطوقة في النشيد، وتوفرت الكلمات المعبرة عن مختلف الأشياء والمفاهيم، زادت قدرة الطفل على التفكير والتعبير ونقل الأفكار.

فالنشيد هو أحد الأنواع الشعرية، والفنون الجميلة التي تعبر بلغة الوجدان وموسيقا الكلمات عن ما يجيش في النفس من خلجات وانفعالات،

(289) عبد الرحيم، عبد المجيد: مبادئ التربية وطرق التدريس ط2، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1970، ص18.

إذ إن البساطة والصدق هما الغاية الأساسية في مخاطبة مشاعر الطفل، ليتمكن من تحقيق طموحاته وإشباع رغباته، فالصحة والدقة والوضوح خصائص تعتمد عليها الصياغة الشعرية، " فكلّما شعر يجب أن تكون منتقاة، غير مبتذلة تدل بجرسها ومعناها على ما تصور من أصوات وألوان أو نزعات نفسية "(290).

وسهولة الألفاظ وفصاحتها إلى جانب كونها من بيئة الطفل وواقع اهتماماته اليومية، ومن مفاهيمه وعباراته وانسجامها مع عصره ومرحلته العمرية، تعدّ جميعها من المقدمات اللغوية العامة، التي لا يمكن تجنبها في أناشيد الأطفال وأشعارهم.

ولما كانت اللغة ظاهرة إنسانية ووسيلة اتصال حيوية تؤدي إلى زيادة الوعي الإنساني، فإن قوتها تظهر في تجانس ألفاظها مع معانيها، وعدم خوضها في الغريب المعقد، فالوضوح والقوة والجمال من أبرز صفات الأسلوب الذي يتسم بالرشاقة والخفة والانسجام بين الأصوات والمعاني، حيث يُقصد بالوضوح الإفهام، وبالقوة غرض التأثير، وبالجمال تحقيق الإمتاع والسعادة(291).

ومن الأمثلة على ذلك نشيد أبي سلمى (راعي الغنم) حيث يقول فيه(292):

هل تنظرون راعي الغنم

وتسمعون حلو النغم

(290) الشايب، أحمد: الأسلوب ط8، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1988، ص 67.

(291) نفسه: ص 185.

(292) أبو سلمى: ديوان أبي سلمى، ص 129.

تآلفها الصوتي يؤديان إلى ضعف النسيج اللغوي والصياغة الفنية للنشيد، علماً بأن بساطة الألفاظ وسهولتها لا تغنيان إذا كانت الفكرة سطحية والمعاني تافهة والعبارات ضعيفة.

الشتاءُ الشتاءُ يا ليالى الهناءِ

يا ليالى الشتاء

سَيِّمًا وَالْمَطَرُ ۖ قَدْ هَمِي وَانْهَمِرُ

والألفاظ الواردة في هذا النشيد مثل (الشتاء، ليالي، الأصدقاء، الأقرباء، السهر، المطر) جميعها مفردات تلامس حياة الطفل اليومية وتداعب مشاعر الفرح لديه بسقوط المطر واللهو والمرح في أجوائه.

كما أن خبرات الأطفال باللغة ومهاراتها، وتحصيلهم الكلامي لا تكون ناضجة، مما يفرض ضرورة البعد عن الغرابة، وترك الكلمات غير المألوفة، لذلك " فإن علينا أن نقدم لهم من الأدب والفن ما يستطيعون استساغته وإدراك كنهه، ولا نثقل عليهم أو نحاول حملهم على التدقيق والإعجاب بالفسر والإرغام⁽²⁹⁶⁾ .

ومن اللافت في معظم أناشيد أنها تميل إلى قصر الجملة، مما يساعد الطفل على استيعابها والإقبال عليها، فلغة النشيد من الأساليب الفنية السامية، الخالية من الابتذال؛ لأن قوة التعبير فيها تجتمع في المثيرات التي تستفز الأحاسيس الطفولية، وتحرك الوعي والخيال، حيث هي اللغة التي يفهمها الأطفال، وتساعدهم على معرفة الفكرة المطروحة، وبالتالي تصبح ضرورة انسجامها مع مراحل نموهم الفكري واللغوي والاجتماعي أمراً لا مفر منه، حتى يتحقق الهدف المنشود، ولذلك لا بد أن تكون مفردات النشيد وعباراته وألفاظه مستمدة من بيئة الطفل ذاته، لتشكل الأدب الذي يرغب فيه، وتتقبله مشاعره وأحاسيسه دون مشقة أو تعب.

ومن خلال النصوص التي سبق عرضها يلاحظ أن الشعراء الفلسطينيين قد حرصوا على انتقاء مفرداتهم، ليعيشوا مع أطفالهم، فبحثوا عن البساطة التي تحمل الفكرة الجيدة، والسهولة الممتعة التي تشد الأطفال إليها، فضلاً عن المحافظة على المعاني السامية والخلال الحميدة التي كانوا يبثونها بين الحين والآخر في أناشيد أطفالهم.

3- التكرار:

التكرار هو أحد الأساليب التي يُقصد بها التوكيد بنوعيه اللفظي والمعنوي، والتعبير عن المعنى الواحد بأساليب متعددة، حتى يحصل التأثير اللازم، ولا يعتبر هذا التكرار ضعفاً أو عيباً إذا ما اختلفت العبارات، حيث أن التكرار ظاهرة شعرية مألوفة في إثارة الأهواء

(296) أدهم، علي: فصول في النقد والأدب والتاريخ، ص 109.

أما نشيد إبراهيم طوقان (موطني)، الذي يقول فيه⁽³⁰⁰⁾:

موطني الجلال والجمال والسناء والبهاء في رباك

حيث جاء تكرار (موطني) ما لا يقل عن ست مرات. وفي واقع الأمر أن هذا التكرار قد يأتي لإحداث موسيقا داخلية متميزة بإيقاعها، نابعة من تكرار بعض الألفاظ أو الكلمات وتآلف بعضها الآخر، إذ إن تكرار الكلمات يؤدي إلى مزيد من التواصل بين أجزاء النص، حيث تعلق درجة النغم الموسيقي الداخلي، مما يؤدي إلى سيطرة الإيقاع على الجو العام للنشيد، كما أن التكرار يجعل المشاركين في النشيد أكثر حماساً وتأثراً.

ب- تكرار العبارة:

ومن الأمثلة على هذا التكرار ما جاء في نشيد إبراهيم طوقان (بطل الريف)، حيث يركز على تكرار هذه العبارات ليلفت إليها الانتباه، يقول⁽³⁰¹⁾:

ريفنا غابنا نحن فيه الأسود ريفنا نحمله

ومن خلال تكراره لها ثلاث مرات تظهر وكأنها أصبحت لازمة موسيقية للنشيد، حيث يبرز الفخر في أجلى معانيه إلى جانب الموسيقا النابضة في الكلمات التي تحمل المتلقي إلى ساحة المعركة بقوة سرعتها وجريانها، وهذا ما أراده الشاعر من خلال نشيده، حتى يلفت الانتباه ويشوق المستمع، وينمي حاسة الفضول عند المتلقين جميعاً، " فالتكرار يسلط الضوء

(300) طوقان، إبراهيم: ديوان إبراهيم طوقان، ص 195.

(301) نفسه: ، ص 198.

على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها⁽³⁰²⁾، وهذا ما يؤكد حرص الشعراء في أناشيدهم على الفكرة السامية التي تحض على الإقبال والعمل والتمسك بالفضائل العليا.

ج- تكرار المقطع:

ومن صور هذا التكرار، ما جاء في (نشيد الثورة) للبستاني الذي يقول فيه⁽³⁰³⁾:

قم وجاهد يا مجاهد يا فتى الأوطان

قم وجاهد يا مجاهد وادفع العدوان

حيث تكرر الشطر الأول مرتين كما هو ملاحظ، وقد جاء للتحريض على الجهاد والدفاع عن الوطن، وكذلك التحذير من الخطر المحدق بالأمّة، والنهي عن التكاثر أو التخاذل أو التراخي.

ويعدّ هذا التكرار من أبسط الأنواع، وهو الأصل في كل تكرار تقريباً، وقد مثل له البديعيون بتكرار { فبأي آلاء ربكما تكذبان }⁽³⁰⁴⁾ في سورة الرحمن، والهدف منه هو التركيز على الغرض المقصود، حيث يقرع الأسماع ليؤثر بكلماته القوية في نفس المتلقي، ويحقق الغاية المطلوبة من وراء هذا التكرار⁽³⁰⁵⁾.

والانطباع اللافت للنظر في مثل هذه التكرارات على اختلاف أنواعها هو ارتفاع الإيقاع الموسيقي، وقد يكون في تكرار المقطع ملحوظاً أكثر من غيره؛ لأنه يهدف إلى توزيع

(302) الملائكة، نازك: قضايا الشعر المعاصر، ص 242.

(303) البستاني، وديع: الفلسطيينيات.

(304) سورة الرحمن: الآية 13.

(305) الملائكة، نازك: قضايا الشعر المعاصر، ص 246.

إيقاعي يؤثر في مشاعر المتلقي، وإضفاء جوٍّ من المتعة الخارجية والداخلية على النشيد، حيث يشكل تكرار المقطع بأكمله التواصل الموسيقي بين أجزاء النص بشكل منفرد.

ثانياً: البلاغة

1- الصور والأخيلة

2- أهميتها

3- مصادرها

4- الصورة في أناشيد الأطفال

5- الجنس والطباق

يقاس الفن بقدرته على إثارة حالة شعورية تؤدي إلى اندماج الفنان والمتلقي، والبلاغة هي ذلك الفن الذي يسعى إلى إقامة علاقة فنية بين عناصر الكلام، تكون قادرة على التأثير بالمتلقي واستمالاته؛ فهي تقوم على الذوق والانسجام، ولذلك قالوا: "البلاغة إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"⁽³⁰⁶⁾. ومن هنا طبع العرب لغتهم منذ القدم بموسقة الألفاظ وتنويع المعاني بصور البيان، وتزيين العبارات والجمل بألوان البديع مثل: الترصيع والتصريع والسجع والجناس والطباق، إلى غير ذلك من ألوان هذا الفن الجميل.

ولما كانت غاية البلاغة تتبعاَ لمواقع رضا النفس وإفهام المخاطب بقدر فهمه، والانسجام مع حالات المتلقي من إعداد وتأليف وتناسب نفسي وذهني⁽³⁰⁷⁾؛ فإن أناشيد الأطفال لا تتناقض مع هذا المفهوم أو تختلف عليه؛ لأنها موجهة إلى أبسط الكائنات الإنسانية؛ إلى شريحة الأطفال التي لا بد من مخاطبتها على أسس وقواعد تلبي حاجاتها وتشبع رغباتها النفسية وتتوافق مع مستوياتها الإدراكية، وليس إلى حدّ الإعياء أو التغريب في الألفاظ والكلمات، أو الإغراق في الصور والمعاني، فأبدع الصور وأجملها هي أقواها أثراً في النفس.

1- الصور والأخيلة:

تعدُّ الصور الفنية من السمات المميزة للقصيدة الشعرية، وقد فرضت حضورها الفني منذ عصور خلت، لما لها من أهمية كبيرة في صياغة الشكل الجمالي للفكرة، حيث يكتمل هذا الجمال بنموها وتفاعلها، مع ما يحمله العمل الفني من عناصر إبداعية، تسهم في تقديم المعنى بكيفية ترقى به إلى مشاعر الآخرين وأحاسيسهم، لا سيما أن التشكيل الفني الذي ينشأ عن ربط اللغة بالمعنى يُخرج صوراً جميلة تؤثر في مشاعر المتلقي نفسه، فالشاعر حينما يستخدم الكلمات والألفاظ، فهو لا يعتمد أن يمثل بها صورة حسية لحشد من المحسوسات، بل الحقيقة " أنه يقصد بها تمثيل تصور ذهني معين له دلالاته وقيمته الشعورية، وكل ما للألفاظ الحسية

(306) القبرواني، ابن رشيق: العمدة ج 1 ط 1، بيروت، دار الجيل 1981، ص 161.

(307) نفسه: ص 244.

في ذاتها من قيمة هنا، هو أنها وسيلة إلى تنشيط الحواس⁽³⁰⁸⁾.

غير أن التصوير الأدبي لا يقتصر على صياغات فنية محدودة، وإنما يأتي " نتيجة لتعاون كل الحواس وكل الملكات⁽³⁰⁹⁾، وبالتالي فإن الصورة حسب هذا المفهوم لا تثير في ذهن المتلقي صوراً بصرية فقط، وإنما تثير صوراً سمعية، وذوقية، ولمسية، وشمية، حيث يتكون من هذه الاحساسات الإدراك الإنساني ذاته.

2- أهميتها:

تبقى الصورة الفنية إحدى الوسائل القادرة على مخاطبة إحساسات المتلقي، لما تثيره من عوامل التفكير والتأمل بداخله، حتى يخالط وجدانه، لا سيما أن الصورة " ليست شيئاً هامشياً يمكن الاستغناء عنه، بل هي هامة فيما تنقله وتعبّر عنه بشكل لا يمكن للغة العادية أن توصله للمتلقي، وهي تدفع المتلقي إلى الشعور بالمتعة وهو يحقق الكشف المعرفي والجمال⁽³¹⁰⁾.

وتأتي أهمية الصورة كذلك من أسلوبها المتميز في تقديم المعنى وعرضه، وعمق تأثيرها في نفس المتلقي، حيث تثير انفعالاته بصورة تدفعه إلى موقف أو سلوك معين.

وقد كان للخيال في أناشيد الأطفال دور حيوي وفعال، وأهمية كبيرة، لكونه يجسد الفكرة في لوحة فنية زاهية الألوان، يرغبُ الأطفال إليها، فالأطفال يحبون الأدب الموجه إليهم؛ لأنه يحمل إحساساً وخيالاً يخالجان النفس ويرaudانها، ويبقى الخيال القوة السحرية التي تداعب مداركهم؛ تلك القوة التي تعمل على خلق حالة من التوازن والانسجام فيما بينها، دونما

(308) إسماعيل، عز الدين: الشعر العربي المعاصر ط3، القاهرة، دار الفكر العربي، 1978، ص 132.

(309) عصفور، جابر: الصورة الفنية ط2، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 1983، ص 310.

(310) طه، المتوكل: إبراهيم طوقان (دراسة في شعره) ط1، عمان، دار اللوتس للنشر 1992، ص296.

تتافر أو تتاقض يؤديان إلى القلق أو الاضطراب النفسي⁽³¹¹⁾.

وفي نشيد (لبنان يا فتان) يرسم الأستاذ عصام حماد لوحةً جميلةً للماء وهو ينساب في مجراه، حيث يقول⁽³¹²⁾:

والماء في مجراه

ينساب نحو الغاب

مذعورة خطاه

يحاول الإياب

كأنه يهاب

تقلب الزمان ... هناك ... يا لبنان ...

في هذه الصورة النابضة بالحياة يشبه الشاعر الماء بالإنسان الذي يسير بخطى ثقيلة نحو الغاب أو المجهول، يهاب التقدم للأمام ويحاول الرجوع إلى الخلف طمعاً بالنجاة، وخوفاً من تغير الأحوال وتقلب الأيام والسنين، وهنا يتجسد الجمال الفني بمختلف معانيه، حينما يسطع خيال الإنسان ويُبدع الأشياء كما يريد حتى يجسم إحساساته بأشكالٍ وألوانٍ وصور تتمازج فيها القدرات الإبداعية والأساليب الفنية، بطريقة تثير الفضول الإنساني وتبعث على البهجة والفرح والسرور.

(311) الصباغ، رمضان: في نقد الشعر العربي المعاصر، ص 340.

(312) حما، عصام: من مخطوطة للشاعر.

وكذلك الكلمات فهي في حسن نظمها وتآلفها قد تشكل صوراً فنية، وخيالات شعرية قادرة على التأثير في نفوس الأطفال، لأن الشاعر بأسلوبه المشوّق هو الذي يكون قوة مساعدة للطريقة التي يفكر فيها الطفل ويتخيل، " مستعيناً على تحقيق هذه الغاية بجمال الأصوات وسلامتها وبما للنظم من تتابع (313) " .

3- مصادرها:

إن الصورة الشعرية لا تستغني عن روافدها الأساسية التي تمدها بالفاعلية والحيوية والجمال، فتنهل من نبع التراث على اختلاف أشكاله، ذلك الكم الهائل من النتاج الأدبي والفكري والتاريخي والديني.

لكن استقاء الصورة الفنية من التراث واعتمادها على مدخراته القديمة، لا يقتصر على مجتمع معين أو فئة محدودة من الناس، وإنما هو التراث الإنساني بكل مكوناته وتنوعاته.

وبما أن اللغة تشكل أهم مصادر التراث، وبالتالي أهم المنابع الحيوية للصورة الفنية، من خلال تآزرها مع الخواص الخيالية، فإنها تصبح ذات قدرات إيحائية متميزة، حتى كأن اللغة تفقد خاصيتها المحددة وسط هذا الموج الهائل من التفاعل الجمالي، فتصبح ضرباً من الصور، لتسكن في ذات المتلقي وكيانه، فتثير فيه مكامن الحس والتفكير، حيث تدفعه للتأمل في واقعه، فيتجسد المعنى الشعري في بعث الإحساس والخيال اللذين يرتقيان به إلى مستوى الإدراك (314).

وإذا كانت الصورة من إبداع الخيال، فهي كذلك ابنة البيئة التي تشكل أحد أهم النوافذ الخارجية للشاعر، لما فيها من أحداث وظواهر دائمة التقلب والتغيير، تثري العمل الفني، وترسم ملامحه وتبرز معالمه.

(313) الحديدي، علي: في أدب الأطفال، ص 202.

(314) عيد، رجا: الشعر والكلمات، مجلة التربية، العدد 106، قطر، أيلول 1993، ص 186.

البسيطة. فسخرّوا قدراتهم الأدبية والفنية للعناية بهذه الصور، ونسجوا أفكارهم وأخيلتهم بأسلوب يجمعون فيه بين العاطفة والتجربة، للتمكن من استنهاض مكونات الاستقبال الداخلي وعناصره في أعماق هذا الكائن الصغير.

ومن الأمثلة الحية على عوامل تكوين الصورة الشعرية، وحضورها الفني في أناشيد الأطفال، النص الشعري التالي، للشاعر حسن البحيري الذي يحاول من خلاله أن يشكل صوره الجميلة في وصف بركة ماء، فيقول⁽³¹⁷⁾:

لله بركة ماءً بعيدة الأتواء

كأنها بعض بحرٍ في جنة غيناء

يرسم الشاعر في البيت الثاني لوحته الفنية، التي يحاول أن يثبت ألوانها بكلماته الرقيقة، مستعيناً بأداة التشبيه (الكاف) حيث يصف البركة وكأنها جزءاً من بحر لروعة جمالها، خاصة وأنها تقع وسط حديقة جميلة، صورها على أنها جنة غنية بجمالها ومفاتها، فعمد إلى هذا التشبيه، ليحمل صوره ومعانيه تأثيراً عظيماً يلفت نظر المتلقي.

ثم يتابع وصفه بالتقاط الأشياء التي تحيط بالبركة، ويزين لوحته الرئيسة بمزايا جمالية إضافية، ويزيدها بهجة وفتنة، يقول:

مالت عليها غصون معطارة الأفياء

وغسلتها ذكاءً بنورها اللألاء

(317) البحيري، حسن: ديوان أفراح الربيع ط1، حيفا، نادي أنصار الفضيلة، 1943، ص 33.

وهل الشمس بنورها تغسل الأشياء، كما يغسلها البشر، فاستعمل عبارة (غسلتها)،
للدلالة على جمال لوحته التي يرسمها، لافتاً النظر إلى حيويتها التي يحاول أن يبعث فيها روح
الحس والجمال، ثم يتابع:

فأعجب لتبر تراءى على لجين الماء

وفي البيت السابق ألقى بلون الذهب الأصفر على زرقة الماء، نافياً اللون الذي هي فيه، بفعل أشعة الشمس
الواقعة على سطح البركة، فحولت كل شيء إلى لوها الذهبي الخلاب، وهذا ما يستدعي انتباه المتلقي للالتفات
إلى قصيدة البحري في وصف بركة المتوكل، وكأن البحري متأثر بالبحري.

وبهذه الأدوات الفنية من تشبيه في البيت الثاني، إلى استعارات تصريحية في الأبيات
التالية، استطاع الشاعر أن يجسد ملامح صورته التي أرادها، حينما سخر إبداعه الفني، ولغته
الرقيقة، وقدراته العالية، ليقدم مفهوماً جلياً عن مظاهر الحسن والجمال في الطبيعة التي تتميز
بإمداد الصورة بإمكانيات التجلي والظهور، فتمنحها الحياة والقوة حتى تتمكن من لفت انتباه
المتلقي للمعنى الذي تحمله، فمقياس جمال الصورة هو قدرتها على نقل الفكرة وتوصيل
المعنى؛ لأن الصورة الفنية الحقيقية هي التي تثير الانفعال وتحرك الإحساس⁽³¹⁸⁾.

أما أبو سلمى فإنه يداعب خيال أطفاله بشيء من التحبب والتودد، فيصور لهم الطيور
تغني، والربيع ينشد، والأرض والجبال والسهول تحتل بهذا الفرح الكبير الذي يجلبه الربيع
فيزين رؤوسها بالزهر والأشجار، فيقول منشداً⁽³¹⁹⁾:

(318) الشايب، أحمد: أصول النقد الأدبي ط2، القاهرة، مطبعة النهضة المصرية، 1966، ص 249.

(319) أبو سلمى: ديوان أبي سلمى، ص 134.

العندليب ينادي هذا ربيع بلادي

يا مرحبا بالربيع

فتغريد الطيور لا شك أنه لحن جميل، ولكن هل الطيور تغني وتتحدث كما البشر؟ لكنّ أبا سلمى قد أنطقها حين قرّب صورتها للأطفال، وفي حقيقة الأمر فإنها طيور الجنة، وفرح البيوت وأهلها، لكنه استعار هنا لقب العندليب لأطفاله، وهذه الاستعارة التصريحية، هي التي أعطت للنص جماله وحسنه في قوله (العندليب ينادي)، لكنه يتابع نشيده قائلاً:

الزهر من كل لون والطير في كل غصن

هذا يتيه بحسن وذاك يزهو بلحن

إن من فن الجمال في هذه الصور، خُيلاء الزهر وكبرياءه ومرحه، مزدهياً بحسنه وجماله، وكذلك الطير الذي يفاخر بلحنه، فكل جميل في الدنيا يختال بجماله، فاستخدامه للاستعارة واضح جلي، وبالتالي يكون بهذه اللفقات الجميلة، قد استولى على عقول الأطفال، واستقطب قلوبهم ومشاعرهم في هذا التصوير الخلاق، ويكون قد أحدث ما أحدث باستعماله للاستعارتين في ألفاظه (العنديل ينادي، وبتيه، ويزهو).

بهذه البساطة يحتفل الأطفال بسعادتهم، ويستمتعون في غنائهم مع الطبيعة، حيث يتسم مثل هذا النشيد بالحركة الداخلية، التي تستفز مشاعر الأطفال، فتجعلهم " **يخلقون في الخيال** متجاوزين الزمان والمكان عبر الماضي وعبر المستقبل" (320).

(320) شحاته، حسن: أدب الطفل العربي، ص 21.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أناشيد الأطفال بمختلف مستوياتها العمرية، قد لا تحتل مزاحمة الصور البلاغية لها؛ لأنها تتسم بالقصر والخفة، ولكن هذا الأمر لا يعني عدم استخدامها، وإنما ضرورة التبسيط في الصياغة الشعرية، لا سيما أن هذا اللون من الشعر مقدّم للأطفال الصغار، الذين لا يحتاجون إلى جهد تفسير أو تأويل في استظهار المعاني وفهمها، وقد تكفي التراكمات الموسيقية للألفاظ والعبارات في تكوين الصور لإشباع الميل الفطري للطفل، كوسيلة ممتعة للكشف عن الأشياء والحصول على المعرفة؛ " فقد تخلق الكلمات في تضامنها وفي اتساقها أو في تجاورها وترادفها ما قد يشكل صوراً من أساليب متعددة كما أن تساند الكلمات التي يخلقها التناسب الحميم في علاقاتها الدلالية، يؤدي إلى خلق تشكيل لغوي يتسم بالحيوية ويتميز بالبكارة "(321). لأن أناشيد الأطفال بشكل عام " لون من ألوان أدب الأطفال، تساعد الطفل على فهم نفسه ومن حوله، وتنمية شخصيته، وتكوين مثله العليا "(322).

5- الجنس والطباق:

يبقى للمحسنات البديعية وقعها الجميل على الآذان، وسلطانها القوي على النفس، إذا ما جاءت عفوية الخاطر ولم تكن متعمدة أو متكلفة، وتعدّ هذه المحسنات من الأمور اللازمة للنص، حتى تضفي عليه جمالاً باللفظ والموسيقا، وإن أبرز ما يميز الطبيعة الفنية لهذه المحسنات، هو الجرس الموسيقي، والانسجام الحاصل بين الألفاظ في كل لون منها، وكذلك الموسيقا المتولدة عنها، والمتآلفة مع الإيقاع الثابت المميز للعمل الفني، كما هي الحال في الجنس والطباق.

فظاهرة الجنس التي تساعد على وضوح الفكرة والمعنى، وتحدث أثراً حيوياً في إبراز الجوانب الموسيقية في الكلمات، وتزيد التشديد إشراقاً يثير عواطف السامعين، حيث يستغل الشعراء هذه الظاهرة التي يقصد بها استخدام المفردات والكلمات المتشابهة في اللفظ،

(321) عيد، رجاء: الشعر والكلمات، مجلة التربية، العدد 106، قطر، أيلول 1993، ص 188.

(322) الديك، نادي ساري، في أدب الأطفال، ص 185.

المختلفة في المعنى لإبراز الإحساس الموسيقي في المقطع، وقد يكون الجنس تاماً بتطابق الحروف جميعها في اللفظ، وقد يكون ناقصاً باختلاف أحد الحروف في إحدى الكلمات، علماً بأن الجنس هو نوع من التكرار الصوتي، الذي يؤدي إلى بعث الانسجام والتناسق الموسيقي من خلال جرس الحروف⁽³²³⁾، " وتظل الوظيفة الرئيسية للجنس هي تلك الموسيقى العالية التي يشيعها في التركيب، والتي تجذب المتلقي إلى تأمل ما وراء الموسيقى من معنى وعلاقة " ⁽³²⁴⁾.

(323) الشافعي، محمد علي فرغلي: ألوان البديع، المنصورة، جامعة الأزهر 1998، ص 203.

(324) نفسه: ص 204.

من ظواهر الجناس التي جاءت في أناشيد الدراسة

ردى	عدى	جناس ناقص	نشيد موطني ⁽³²⁵⁾	إبراهيم طوقان
علاك	عداك	جناس ناقص	نشيد موطني	إبراهيم طوقان
نريد	نعيد	جناس ناقص	نشيد موطني	إبراهيم طوقان
الجلال	الجمال	جناس ناقص	نشيد موطني	إبراهيم طوقان
أمجاد	أنجاد	جناس ناقص	نشيد أشواق الحجاز ⁽³²⁶⁾	إبراهيم طوقان
الملا	العلا	جناس ناقص	نشيد العمل ⁽³²⁷⁾	إبراهيم طوقان
العمل	الأمل	جناس ناقص	نشيد العمل	إبراهيم طوقان
همم	أمم	جناس ناقص	نشيد العمل	إبراهيم طوقان
فتن	فنن	جناس ناقص	نشيد وطني ⁽³²⁸⁾	محمد حسن علاء الدين

(325) طوقان، إبراهيم: ديوان إبراهيم طوقان، ص 195.

(326) نفسه: ص 193.

(327) نفسه: ص 199.

ومن ظواهر الطباق التي جاءت في أناشيد الدراسة

كبار	صغار	طباق	النشيد الوطني ⁽³³⁴⁾	الشاعر المعتزل
نخفض	نعلي	طباق	إن ⁽³³⁵⁾	خليل السكاكيني
نرخص	نغلي	طباق	إن	خليل السكاكيني
أقدم	تقهقر	طباق	نشيد الكشف ⁽³³⁶⁾	وهيب البيطار
سهول	جبال	طباق	نشيد بلادنا ⁽³³⁷⁾	وهيب البيطار
صباح	أصيل	طباق	جنة الدنيا بلادي ⁽³³⁸⁾	فدوى طوقان
العز	الهوان	طباق	أبشر يا وطن العروبة ⁽³³⁹⁾	برهان العبوشي

(334) الشاعر المعتزل: النشيد الوطني الفلسطيني، جريدة فلسطين، يافا، العدد 171، السنة الثالثة عشرة، 1929/12/31، ص 6.

(335) السكاكيني، خليل: كذا أنا يا دنيا، ص 255.

(336) البيطار، وهيب: ديوان أنة معلم، ص 32.

(337) نفسه: ص 57.

(338) طوقان، فدوى: من مخطوطة للشاعرة.

(339) العبوشي، برهان: ديوان جبل النار، ص 17.

ثالثاً: الموسيقى

1- أهميتها في النشيد

2- الإيقاع الموسيقي في النشيد

3- الأوزان الشعرية

4- القافية

5- التكرار الصوتي.

لم تقتصر اللغة عند كونها وسيلة تعبيرية عن الأفكار والمشاعر فحسب، وإنما هي تجمع إلى ذلك مزايا موسيقية لها أثر واضح في حياة البشر، ودورٌ كبيرٌ في تحريك مشاعرهم، وإثارة عواطفهم.

فهذه الموسيقى الجميلة التي تتنوع أنغامها حتى تستقر في ذات المتلقي؛ لتشعره بالمتعة الفنية التي تدفعه للتجاوب مع الفكرة أو المعنى " تستطيع أن تصل إلى مناطق في الشعور الإنساني، تعجز الكلمات غير الموسيقية عن الوصول إليها" (340).

والشعر موسيقا تحمل كلمات، وهذه الموسيقى تتولد أساساً من الأوزان وتنوعها ما بين طويلة ومتوسطة وقصيرة، تتشكل منها بحور الشعر العربي.

غير أن هذه الموسيقى لا تستطيع بغير الكلمات أن تبلغ مداها، وتحقق مرادها في نفس المتلقي ومشاعره، فهي تعبر عن لحظات انفعالية قد انسجمت معها قوة وضعفاً، ومن ثم أودعتها ذات المتلقي، لا سيما أن أي موسيقا لا تستطيع أن تفجر في الكلمات طاقاتها الدلالية والإيحائية، ولا ترتبط بالشحنة الانفعالية ارتباطاً وثيقاً هي موسيقا مفتعلة، قد تبدو للوهلة الأولى جميلة، ولكن في حقيقة أمرها لا يمكن الاعتماد عليها كأحد عناصر البناء الشعري (341).

لكن موسيقا الشعر لا تبتعد عن مضمونه، وباختلاف ذلك المضمون تنتوع الموسيقى مع وحدة الوزن والإيقاع، وبالتالي لا يمكن الحديث عن شعر بلا موسيقا " يتجلى فيها جوهره وجوه الزاخر بالنغم، موسيقا تؤثر في أعصاب السامعين ومشاعرهم بقواها الخفية التي تشبه قوى السحر، قوى تنشر في نفوسهم موجات الانفعال يحسون بتناغمهم معها، وكأنما

(340) عبد الله، محمد حسن: الصورة والبناء الشعري، القاهرة، دار المعارف، 1981، ص 186.

(341) نفسه: ص 187.

تعيد فيهم نسقاً قد اضطرب واختل نظامه⁽³⁴²⁾.

1- أهميتها في النشيد:

الطفل مثل أي كائن آخر، لا يختلف عن غيره من الكبار في أحاسيسه ومشاعره، فهو يحب ويكره، ويغضب ويفرح، ويفكر ويتأمل، ويغني ويضطرب، لا سيما وأن له ميلاً شديداً لسماع النشيد وتكراره " لأنه بفطرته مولع بنغم الألفاظ وتنغيم الأغاني⁽³⁴³⁾ .

فالأطفال بطبيعتهم يميلون للنغم والموسيقا، ويحبون اللحن الجميل منذ مرحلة المهد، حيث يستجيبون للأنغام والأصوات التي تصدرها أمهاتهم في تراقيص النوم والهددة، فيبادر كثير منهم بالتنغيم والإنشاد بألفاظ رتيبة حالما يستطيع النطق أو التعبير، ولهذا فإنهم ينسجمون مع الأناشيد التي يسمعونها، أو ينشدونها ويتأثرون بها، تأثراً يظهر في حركات الجسم ووقع الأقدام ورفع الأصوات والتصفيق⁽³⁴⁴⁾، لا سيما أن الموسيقى تخاطب العواطف وتثيرها، وتستثير الشعور بنفسها، وهي أوضح لغة للعواطف والاستحواذ على المشاعر " فالكلام الموزون المقفى يترك في النفس صدىً واسعاً وإيجابياً، ومع الأيام ينمو هذا الشعور تجاه النص الذي يحمل جرساً إيقاعياً نغمياً⁽³⁴⁵⁾ .

والغناء بطبيعته يلامس وجدان الإنسان ويغذي إحساسه ويوقظ مشاعره، والصغار يتأثرون بموسيقاه وإيقاعه، فهم ينجذبون إليه ويرددون فواصله ولوازمه؛ لأن التردد يساعدهم على الحفظ وفهم المعاني التي يتضمنها النشيد، لا سيما أن الموسيقى تثري جمال الفكرة والمعنى جمالاً آخر في الصورة والتعبير⁽³⁴⁶⁾، وهذا مما يحفزهم للإقبال عليه.

(342) ضيف، شوقي: فصول في الشعر ونقده، القاهرة، دار المعارف بمصر، ص 28.

(343) حنورة، أحمد حسن: أدب الأطفال ط1، الكويت، مكتبة الفلاح، 1989، ص 171.

(344) سمك، محمد صالح: فن تدريس اللغة القومية والتربية الدينية، ص 544.

(345) الديك، نادي ساري: في أدب الأطفال، ص 182.

(346) أبو معال، عبد الفتاح: دراسات في أناشيد الأطفال وأغانيهم، ص 40.

فالأنشيد تقوم على أسس نفسية تظهر فيها نزعة الأطفال إلى التكرار الإيقاعي " لهذا يحب الأطفال الأنشيد حباً كبيراً لأنهم يعبرون بها عن مشاعرهم وانفعالاتهم ويشبعون رغبتهم في الغناء "(347).

والطفل بفطرته يميل إلى الاستجابة للإيقاع والتفاعل مع النغم، وفي بعض الأحيان يصاحب هذه الأنشيد حركات إيقاعية تتمثل في عملية الأداء، حيث تسهم في زيادة وضوح المعاني وإبرازها، وتحولها إلى ألعاب لغوية تناسب مستواه المعرفي، وتضفي عليه شيئاً من الغبطة والسرور، حيث أن الشعور " بالوزن الموسيقي وانسجام المقاطع ميل فطري نلاحظه بوضوح في نمو اللغة عند الأطفال "(348).

2- الإيقاع الموسيقي في النشيد:

إن الإيقاع الموسيقي يمثل نبض الشعر، ومسحته الجمالية التي يباهي بها الفنون الأخرى، فهو الروح الفنية التي تميزه عن غيره من الأجناس الأدبية المختلفة، وهو ذلك الفعل الناتج عن تناسق العبارات والألفاظ والتراكيب، وتآلف الكلمات ومخارج الأصوات، فضلاً عن توازن الجمل في مقاطع طويلة وقصيرة، وبعض ظواهر التكرار التي تتضمنها، لا سيما أن تكرار الكلمات أو العبارات والجمل والأصوات هو أصل التنويع الإيقاعي في البيت الشعري؛ لأنه يثبت التناغم والإيقاع الموسيقي في البناء الشعري، حيث يضيف الملامح الجمالية للنص الأدبي، وليس من شك في أن الإيقاع أشد وقعاً من غيره على النفس والوجدان، فالوحدة الموسيقية وتكرار الإيقاع يخلقان للشعر " موسيقاً داخلية خاصة، تجعل الطفل يدق الأرض بقدمه أو يحرك رأسه بانتظام حين يسمعه "(349).

فترتيب النغمات الموسيقية تألفه الأذن، وتطرب له النفس، وتستقبله الأحاسيس

(347) عبد المجيد، عبد الرحيم: مبادئ التربية وطرق التدريس، ص 181.

(348) مشوح، وليد: دراسات في الشعر العربي الحديث، ص 56.

(349) الحديدي، علي: في أدب الأطفال، ص 201.

والمشاعر، حيث أن الإيقاع تفنن في أساليب التردد الصوتي في الألفاظ، حتى يصبح له نغم موسيقي، ليمتلك الأذان بكلماته وعباراته، مثلما يستولي على المشاعر والأحاسيس، ويسترعي العقول بمعانيه، وبالتالي فهو مهارة نظم الكلمات، وحسن ترتيبها وتنسيقها، وهو الوحدة الموسيقية التي تتردد أثناء الكلام، بتوالي الحركات والسكنات، بصورة متناسقة بين مقاطع الكلام، ويتمثل هذا الإيقاع في التفعيلة؛ لأن التفعيلة تقابل السكنات والحركات في الكلمات⁽³⁵⁰⁾.

ولقد وفق العبوشي في نشيده (أبشر يا وطن العروبة) في إيجاد هذه التوقعات النغمية في أنشودته، مما جعلها تنبض بالحياة والجمال، حيث تبرز إيقاعاتها بوضوح وجلاء، مما يثير السامع ويلفت انتباه المتلقي، فيقول⁽³⁵¹⁾:

أبشر بالعز أيا وطني فشبابك ثار ولم يهن

إن كان دواؤك من دمنا فدمي يشفيك بلا ثمن

لقد جاء هذا النشيد على بحر (المتدارك) المفعم بالحيوية والموسيقا الرنانة والمتميز بإيقاعاته العالية والسريعة، فسكن في تفعيلاته وحرك الأخرى، كالتالي:

فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ

علماً بأن الأصل لتفعيلة هذا البحر هي (فاعلن)، لكن هذا التنوع في التفعيلة ما بين الحركة والسكون، والتغييرات التي طرأت على التفعيلة الأصلية، قد أضافت بعداً جمالياً

(350) هلال، محمد غنيمي: النقد الأدبي الحديث، ص 435.

(351) العبوشي، برهان الدين: ديوان جبل النار، ص 67.

للنشيد، فيه شيء من المتعة والانتباه.

حيث نجم الإيقاع هنا عن تجاور المركبات بتنوعها، وسرعة نجوابها مع المعاني التي تحملها، إذ إن مثل هذا التنوع في تفعيله البحر وتشكيلاته العروضية، ومصاحبة الخفة اللفظية وحسن تنسيق العبارات، إضافة إلى تكرار صوتي (الشين، والـدال) كلها عوامل مهمة في إيجاد هذا الجو الموسيقي الذي يترك شعوراً بالبهجة والفرح في نفس المتلقي، لا سيما أن الحركة السريعة بين الكلمات قد تدفع السامع إلى الرقص والاهتزاز، لما فيها من قوة تأثير وانسجام، فتنوع الإيقاع ما بين الشدة والرخاوة حسب ضرورات النظم، يتجاوز رتابة النغم التي تبعث إلى الملل، ليصل إلى ما هو أكثر عمقاً واتصالاً بالإشباع الحسي لقوى الإدراك⁽³⁵²⁾.

ومن المظاهر الموسيقية البارزة في مطلع هذا النشيد التصريح الذي أسهم بشكل مباشر في تحديد المظهر الموسيقي للقافية، حيث أن صوت (النون) الذي يتسم بالغنة الصوتية والجهر، ويجمع ما بين الشدة والرخاوة، يعد من مجموعة الأصوات ذات الوضوح السمعي العالي، ومن أكثر الأصوات شيوعاً في اللغة العربية⁽³⁵³⁾، قد أسهم في إضفاء النغم الجميل الذي تطرب له الآذان وتستمتع به الأحاسيس، لما في هذا الصوت من استكانة ترتاح إليها النفس، فهذه المزايا المهمة قد مكّنت النشيد من الوفرة الإيقاعية في موسيقاه الداخلية، وكذلك الإثارة الموسيقية الخارجية التي تمتلك زمام الشاعر " ولئن كان الوزن أو الإيقاع عنصراً جوهرياً في الصوت الموسيقي، فلائله يتيح للأذن أن تتوازن مع الاهتزازات الخارجية

(352) عبد الله، محمد حسن: الصورة والبناء الشعري، ص 186.

(353) أنيس، إبراهيم: *الأصوات اللغوية* ط5، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975، ص66.

(354) السابق: ص 186.

أما الشاعر إبراهيم طوقان في نشيده (أشواق الحجاز) الذي يقول فيه⁽³⁵⁵⁾:

بلاد الحجاز إليك هفا فؤادي وهام بحبّ النبي

فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ

فيلاحظ أنه استخدم الأصوات المرققة؛ لأن النشيد في ذاته يخاطب العواطف ويعزف على وتر المشاعر، إضافة إلى أنه اعتمد على بحر (المتقارب) الذي اشتهر في الشعر العربي بنظم الأناشيد على أوزانه، وذلك يرجع إلى الوفرة الموسيقية الداخلية التي تتولد عن تفاعيله، كما أنه من البحور الصافية، حيث أن وحدة التفعيلة في النشيد، قد أسهمت في إبراز الإيقاع الموسيقي بشكل ملحوظ، إضافة إلى استخدام الصائت الطويل (الألف) في أغلب كلمات النشيد، وهذا ما زاده جمالاً وبهاءً، لأن في التكرار ما يؤثر في النفس وتستمع له الأذان. لكن عبد الهادي كامل قد انطلق هو الآخر في موسيقا البحر (الكامل)، حيث نظم عليه نشيده الذي يقول فيه⁽³⁵⁶⁾:

أُرَاكَ يَا عِلْمَ الْعَرُوبَةِ تَخْفَقُ فَوْقَ الدِّيَارِ وَأَنْتَ حُرٌّ مُطْلَقٌ

متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن

حيث تتفجر في هذا النشيد الموسيقا الداخلية بإيقاعاتها الرنانة، فتهدف النفس معها في بهجة وسرور، مثلما تتعانق الألفاظ في عذوبتها ورقتها وسرعة جريانها مع النغم العام للنشيد، الذي يتميز بخفة كلماته وطلاقة عباراته، فقد أسهم صوت القاف المتكرر في زيادة هذا

(355) طوقان، إبراهيم: ديوان إبراهيم طوقان، ص 193.

(356) كامل، عبد الهادي: ديوان قلب شاعر، ص 58.

لقد حاول الإنسان أن يختار ألفاظاً تتلاءم مقاطعها مع أوزان غنائية حتى لا تتعثر أنغامه التي هي صورة انفعالاته النفسية والعاطفية، وبقي على محاولاته حتى توافرت له لغة صوتية موزونة لها معانٍ معينة في الشعر، ومن هنا كانت الصلة بين الأوزان الشعرية والموسيقا " فالموسيقا لغة فنية أخرى موزونة لها تفاعيلها التي تقسم الزمان بالأنغام كما يقسمه الشعر بالأوزان " ⁽³⁶³⁾، وبالتالي أصبحت الموسيقا من أهم وسائل التربية الحديثة، مثلما الشعر الذي يُعد أساس التنمية الذوقية والحسية للأطفال، خاصة وأن الموسيقا أحد عناصره المهمة، إذ نظمت عليه الأناشيد وقُدِّمت من خلاله المعرفة، وكان من أسباب المتعة والخبرة والتجربة لدى الأطفال.

(363) الشايب، أحمد: أصول النقد الأدبي، ص 317.

جدول رقم (3)

وفيما يلي جدولاً يبين استخدام البحور والأوزان الشعرية وعدد الأناشيد التي جاءت عليها

أنواع البحور	البسيط	الوافر	الكامل	الhez	الرجز	الرمل	السريع	المنسرح	الخفيف	المجتث	المتقارب	المتدارك	المجموع الكلي للأناسيد
تام	2		1		3	22	1	2	1	5	6	5	48
مجزوء	1	4	5	4	18	17			2		2	7	60
مشطور	3												3
منهوك					4								4
لمجموع	6	4	6	4	25	39	1	2	3	5	8	12	115

ومن خلال تأمل النماذج الشعرية السابقة، وعمل دراسة إحصائية للأوزان التي نُظمت عليها، يبدو واضحاً أن معظم هذه البحور قد كانت من البحور الصافية، أي ذات التفعيلة الواحدة، ويلاحظ كذلك أن بحر (الرمل) ومجزوءه، قد احتلا المرتبة الأولى في البحور التي استخدمت فيها الأناشيد، وقد يكون السبب في ذلك أن بحر (الرمل) يكثر النظم عليه في الأحران والأفراح والزهد، وهو من الأنواع الشائعة التي يُقبل عليها الشعراء، ويرتاحون إلى موسيقاها، فقد نظموا عليه الموشحات والأغاني، وهو قريب النفس لما فيه من تطريب ولحن

شجي يمتلك الإحساس والمشاعر⁽³⁶⁴⁾، وما يلفت النظر كذلك أن مجزوء الرجز قد احتل مرتبة مساوية لبحر (الرمل) وقد يكون السبب في ذلك أنه قريب من لغة الناس وحياتهم اليومية كما كان في العصر الجاهلي وما بعده. وأن معظم الأناشيد الباقية، قد جاءت على مجزوءات البحور، علماً بأن المجزوءات لم تكن مجهولة عند الجاهليين وفي صدر الإسلام، إلا أنه زاد الاهتمام بها في العصر العباسي، فاقبل الشعراء ينظمون عليها أشعاراً وقصائد بدأ الناس يتغنون بها، حيث كثر التلحين عليها في عصور الغناء والطرب أيام العباسيين⁽³⁶⁵⁾.

ومن هذا المنطلق كان إقبال الشعراء في العصر الحديث على نظم الأغاني والأناشيد على مجزوءات البحور، توجهاً للتطريب والسهولة والبساطة، لا سيما أن تلك الأناشيد تختص بالأطفال ضمن مراحل عمرية معينة.

جدول رقم(4)

نسبة شيوع البحور وتنوعاتها في الأناشيد

أنواع البحور	البسيط	الوافر	الكامل	الهزج	الرجز	الرمل	السريع	المنسرح	الخفيف	المجتث	المقارب	المتدارك
تام	%2		%1	%19	%2	%19	%1	%2	%1	%4	%5	%4
مجزوء	%1	%3	%4	%3	%15	%15			%2		%2	%6
مشطور	%2											

(364) نفسه: ص 320.

(365) أنيس، إبراهيم: موسيقا الشعر، ص 106.

							3%					منهوك
10%	7%	4%	3%	2%	1%	34%	20%	3%	5%	3%	5%	المجموع

أما نسبة البحور الصافية في الأناشيد 58%

ونسبة البحور المركبة في الأناشيد 41%

4- القافية:

إن للقافية في الشعر دوراً بالغ الأهمية، فهي جزء من الوزن، حيث تتميز بوقعها الصوتي، الذي يضيف بعداً حيويّاً في السيطرة على مشاعر المتلقي وأحاسيسه، ويساعد في ترسيخ الفكرة والاستجابة لها، وتفاعل الأطفال معها " ولولا القافية لفقدنا جانباً من جمال الموسيقى الشعرية، فهي كضربات الناقوس المؤذنة بانتهاء معنى معين أو فكرة معينة " (366).

فهي من الوقفات التي تتيح للسامع فترة من الاستراحة والتأمل والتفكير، والأهم من ذلك أنها تعدّ " من وسائل تسهيل الحفظ " (367).

أما المعاني والأفكار في النشيد فما هي إلاّ لوحات فنية ممزوجة بموجات من الضربات الإيقاعية التي تمثل الموسيقى التصويرية المصاحبة لعرض النص بشكله وجوهراً (368) حتى يتمكن المتلقي من استساغتها والتفاعل معها، فالقافية " تضبط الإيقاع

(366) خلوصي، صفاء: فن التقطيع الشعري والقافية ط5، بغداد، مكتبة المثنى، 1977، ص 220.

(367) نفسه: ص 220.

(368) نفسه: ص 220.

الموسيقي، وتزيد القوة الموسيقية في التعبير⁽³⁶⁹⁾، كما وتُعدُّ من أوجه التكرار الصوتي لما يؤديه حرف الروي من بروز موسيقي ظاهر يهيمن على أجواء القصيدة، وينظم إيقاعاتها الخارجية والداخلية.

أما القافية فإنها تنقسم إلى قسمين، الأولى: المقيدة والثانية: المطلقة، أما القافية المقيدة فهي التي تتسم بسكون الروي، ومن الأمثلة على ذلك (نشيد الجامعة العربية) للشيخ البساطي حيث يقول فيه⁽³⁷⁰⁾:

عاد يبسط الزمنْ عذره إلى العربْ

حين غالب الوطنْ ما عراه من كرب

فانتشى من الغلب

ويلاحظ في سكون الروي الذي هو صوت (الباء) بعض النغم الموسيقي الضعيف عند الوقف، وتعرض الصوت إلى الاختفاء والضياع، وهذا ما انتبه إليه العلماء في القراءات القرآنية، وأدى إلى وجود أحرف القلقلة التي في مجموعة (قطب جد)، وذلك للحفاظ على هذه الأصوات من الضياع عند الوقف، فالحركة أقوى من السكون في كل الأحوال. علماً بأن القافية المقيدة قليلة الشيوخ، حيث تكثر عادةً في بحر (الرمل) لملاءمته للغناء، وقابليته للتلحين، وقد ترد في الرجز والسريع والمتقارب والطويل ولكن ليس بكثرة⁽³⁷¹⁾.

أما القافية المطلقة وهي التي يتسم رويها بالحركة، فإما أن يكون منصوباً أو مجروراً

(369) نفسه: ص 221.

(370) البساطي، محمد: الشادي في الأناشيد المدرسية الوطنية، ص 14.

(371) السابق: ص 217.

ومضموماً، ومن الأمثلة على ذلك نشيد (داري) الذي يقول فيه أبو سلمى⁽³⁷²⁾:

هل تعرف داري يا جاري

يا ليت ترى غرف الدار ما أبهاها

تمثلت القافية في صوت (الهاء) ومن شروط هذا الصوت حتى يكون رويًا، أن يكون من بنية الكلمة ومسبوقاً بحرف مدٍّ، وإلاّ التزم الحرف الذي قبلها، فتكون الهاء في هذه الحال زيادةً أو وصلًا⁽³⁷³⁾.

وبإمعان النظر في القافية يلاحظ توفر الشرطين الأولين، حيث جاءت القافية مسبقة بحركة الفتحة الطويلة وهي (الألف) قبلها وبعدها، وقد زادها ذلك جمالاً لفظياً، يسهم في إبراز الإيقاع الموسيقي للقافية.

ويذكر أن هذا النشيد كان يعلم مع لحنه للطلاب في برامج خاصة في (دار الإذاعة الفلسطينية في أوائل الأربعينيات)⁽³⁷⁴⁾.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أغلب أناشيد هذه الدراسة، قد جاءت قوافيها على أصوات (النون، والخاء والباء، واللام، والdal، والميم، والراء، والنون، والهاء، والتاء، والقاف، والعين، والسين، والقليل منها على الهمزة)، وقد جاء بعضها مطلقاً والبعض الآخر مقيداً، فضلاً عن تنوع القوافي في بعض الأناشيد.

فالعربية " لا يصلح شعرها بدون قافية لأنها قياسية رنانة يجب أن يراعى فيها

(372) أبو سلمى: ديوان أبي سلمى، ص 130.

(373) السابق: ص 216.

(374) أبو حنّا، حنا: رحلة البحث عن التراث، ص 226.

القياس والرنه، وفيها من القوافي المتناسبة ما يتعذر وجود نظيره في سائر اللغات»⁽³⁷⁵⁾.

ومن فوائدها للأطفال أنها تعلمهم متى يبادرون بالكلام ومتى يتوقفون، كما تعودهم إمكانية التفكير بين الوقوف والمبادرة، وهذه من أهم الفوائد التي تعرفهم إلى أدب الكلام وترتيب العبارة وحسن الانضباط والتدبير.

5- التكرار الصوتي:

الموسيقا هي أصدق تعبير عن ما يعتري الإنسان من انفعالات، فهي مجموعة من الأصوات المتناسقة، ذات أصداء جميلة، تقع على أذن السامع وقلبه، فتحدث أثرها في نفسه، لا سيما أن لتكرار الحرف في اللفظة مزية سمعية وأخرى فكرية، الأولى تعود إلى موسيقاها، والثانية إلى معناها، لأن لكل حرف صوته وطبقته التنغيمية التي تستند إلى مخرجه من جهاز النطق، وعند التكرار يلاحظ حسن وقعها على النفس، وإذا ما تكرر في الكلمات على أبعاد متقاربة " أكسب صوته ذلك الكلام إيقاعاً مبهجاً، يدركه الوجدان السليم حتى عن طريق العين، فضلاً عن إدراكه السمعي بالأذن»⁽³⁷⁶⁾.

فالتكرار المتزن نوع من الوزن، وتكرار الصوت إذا ما جاء بأسلوب التداعي بعيداً عن جهد التكلف، كان له أثر كبير، فاللغة العربية ذات قوة وثراء بالأصوات التي تدفع إلى تولد الأنغام، وإبراز اللمسات الموسيقية الجميلة، إذ إن " التركيب الموسيقي أصل من أصول هذه اللغة لا ينفصل عن تقسيم مخارجها، ولا عن تقسيم أبواب الكلمات فيها، ولا عن دلالة الحركات على معانيها ومبانيها بالإعراب أو بالاشتقاق»⁽³⁷⁷⁾.

فكثير من الحسن والانسجام الصوتي ينتج عن تكرار الصوت في الكلمات على أبعاد مناسبة، لسلامة

(375) الشايب، أحمد: أصول النقد الأدبي، ص 322.

(376) السيد، عز الدين علي: التكرير بين المثير والتأثير ط1، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، 1978، ص 41.

(377) نفسه: ص 10.

الجرس وصحة الإيقاع في بناء الجملة، وأن مثل هذا النوع من التكرار هو تلقائي في أكثر أحيانه.

ومما يلفت الانتباه ويشد الأسماع، بروز هذه التكرارات الصوتية في الأناشيد، تلك التكرارات التي تمتلك القدرة على السيطرة الحسية لدى المتلقي، فنثري الإيقاع الداخلي بنوع من الموسيقى التي تستريح لها النفس وتقبل عليها، لأن الوحدة الموسيقية وتردد الإيقاع الداخلي في النشيد يولد أنغاماً خاصة، " فكلما كانت الأنشودة جيدة وتحمل إيقاعاً ومعنى كلما تمسك بها الأطفال " (378).

فالنشيد بالنسبة للصغار مصدر فرح وسرور لهم، فهو يحقق الراحة النفسية بموسيقاه، ويبعث البهجة والمتعة، ويستعين بها على بناء الصور واستجلاء المعاني، لأن الموسيقى لا تتفصل عن معناه.

ومن الأمثلة على التكرار الصوتي في أناشيد هذه الدراسة (نشيد بلادنا) للأستاذ وهيب البيطار الذي يقول فيه (379):

عشقنا السهول عشقنا الجبال عشقنا سماءك دار النجوم

وهذا الجمال وهذا الجلال وما طرزت في الرياض الغيوم

فإن الجمال يهيج الرجال

ويزكي الحنين

يلاحظ في هذا المقطع من النشيد، تكرار الأصوات الأربعة (الشين، واللام، والألف،

(378) الديك، نادي ساري: في أدب الأطفال، ص 185.

(379) البيطار، وهيب: ديوان أنة معلم، ص 57.

والميم)، حيث يتسم صوت الشين حسب ما جاء في الدراسات الصوتية بالتفشي والاستطالة، وكذلك يوصف بالصوت الصفيري، فضلاً عن الرخاوة وسعة مساحة انطلاقه وإنتاجه⁽³⁸⁰⁾.

أما الصائت الطويل (الألف) فهو من أصوات اللين المجهورة التي تتميز بدرجة عالية من الوضوح السمعي، إضافة إلى انتمائه إلى مجموعة الحركات التي تعدُّ من العناصر الرئيسة في اللغات التي تحتاج إلى فترة زمنية عالية نسبياً لإنتاجها، ومساحة مقطعية أوسع من غيرها من الأصوات الأخرى⁽³⁸¹⁾.

كما أن صوت (اللام) الذي يسيطر على معظم عبارات المطلع، فإنه يتسم بدرجة عالية من الوضوح السمعي، وينتمي إلى مجموعة الأصوات الرنانة، وهو صوت متوسط بين الشدة والرخاوة⁽³⁸²⁾.

وكذلك صوت الميم الذي يتسم بدرجة عالية من الوضوح السمعي، وينضم إلى مجموعة الأصوات الرنانة، وهو صوت مجهور⁽³⁸³⁾، حيث يزيد القافية نغماً موسيقياً مميزاً.

وبإمعان النظر في الصفات التي تتسم بها الأصوات المكررة، يلاحظ أن هناك قواسم مشتركة بينها، وأهمها علو النبرة الموسيقية والإيقاعية للأصوات والكلمات، والتوقيعات الداخلية التي تولدت عن التناوب النغمي والتجاوب الموسيقي بين الأحرف، فالاتحاد الحاصل بين قوة الوضوح السمعي، والجهر والشدة والرخاوة، والمساحة الصوتية الواسعة لبعض الأصوات، استطاعت جميعها أن تخلق جواً موسيقياً، يطغى على غيره من الأصوات المجاورة، فصوت (الألف) على سبيل المثال، هو من الممدودات التي تسهم في بعث الطرب والفرح في القصيدة الشعرية، والمدات في النقد الأدبي وسيلة من وسائل تصوير المشهد الذي

(380) أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 76.

(381) نفسه: ص 27.

(382) نفسه: ص 45.

(383) نفسه: ص 63.

ينقله الشاعر إلى المتلقي، أو ينقل المتلقي إليه.

فإذا ما كان الوزن يولد الموسيقى الخارجية، فإن هناك موسيقا داخلية " ناشئة من طبيعة توالي الحروف ومخارجها " (384)، ومن هنا تميز هذا النشيد بهذا اللحن الجميل.

وفي نظرة أخرى إلى ذات المقطع في النشيد، يبدو الإحساس المباشر في نقل المتلقي من الوضع الثابت على الأرض إلى حالة النهوض والصعود، بمعنى إدخال الحركة في إحساس المتلقي، فمن السهول إلى الجبال إلى السماء، هذا التدرج في الارتفاع لا يتوقف عند الجانب الحسي، وإنما له علاقة بالجانب المعنوي بشكل أساسي، فضلاً عن الطباق المعنوي الذي استفاد منه الشاعر في نشيده، في لفظتي (الجمال والجلال)، وهذا من الفنون البديعية التي تثرى النص بالموسيقا والتصوير، وكلها ارتكزت على الصوت الممدود إضافة إلى صوت (اللام) فكل هذه مجتمعة بانسجام وتفاعل، قد ألبست النشيد ثوب السحر والجمال، لا سيما السمو الفكري والمعنوي، ويقول السيوطي عن تكرار الممدود (الألف) " كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن مع التطريب " (385).

وما يلفت النظر تفاعل الوزن الشعري مع كل تلك الصفات وانسجامه معها، ليزيدها قوة وجمالاً، فالبحر (المتقارب) بحرفيه رنةً ونغمة مطربة، وهو أكثر ما يتوافق للعنف والسير السريع (386)، إذ توزعت موسيقاه على مقاطع النشيد بشكل لا يقبل الشك أو التوهين، حيث أسهمت خفة الكلمات وبساطة الألفاظ في بلوغ هذه الغاية، فضلاً عن عدم تنافر الأصوات وتباعدها " ولو نظرت إلى الأطفال وهم يلعبون فإنهم يلجأون إلى التكرار في حركاتهم، وإلى المنظوم في أناشيدهم، وإلى التصفيق المنتظم المنغم في مرحهم، وإلى كل ما

(384) السيد، عز الدين علي: التكرير بين المثير والتأثير، ص 65.

(385) نفسه: ص 58.

(386) الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، ص 320.

يحمل صفة التكرار⁽³⁸⁷⁾.

رابعاً: المضمون

1- خصائصه

2- النشيد والتراث

(387) السابق، ص 79.

لا بد أن تحتوي أناشيد الأطفال على مضامين حياتية نابعة من واقع الطفل وبيئته، وأن تحمل مواضيع هادفة تتفاعل مع مشاعر الأطفال، وتتسجم مع أخيلتهم وتعبر عن طموحاتهم.

فالمضمون الجيد له أهمية كبيرة في أناشيد الصغار؛ لأنه يشكل محور العلاقة الذي تنطلق منه التوجهات الصحيحة لتمهيد الطريق أمامهم، وتحقيق التربية الجيدة للأجيال الناشئة، من خلال ما تحتويه هذه الأناشيد من قيم ومثل لا بد من غرسها في نفوسهم، حيث أن " ترسيخ القيم الإيجابية المنشودة في وجدان الطفل من أهم سمات المضمون الجيد " (388).

1- خصائصه:

من الواضح أن المحتوى الناجح في قصيدة الطفل، هو ما يدخل الفرح والسرور إلى قلبه، ويساعد في إثارة مشاعر أبناء جيله، وتنمية مداركهم، وإثراء أخيلتهم، وإنعاش أفكارهم، حتى يتمكنوا من التعرف على الحياة وفهمها، إذ إن ما يصلح للصغار من شعر، قد يصلح للكبار أيضاً، وحتى يمكن أن يؤدي شعر الأطفال دوره المنوط به، فلا بد له من أن يتضمن مفاهيم واقعية تنتج عن عالم الطفل الذي يبحث عن الحقيقة ويحاول ملامستها، ومعرفة ما يدور حوله من ظواهر وأحداث (389)، وبالتالي فإن " مفاهيم الطفل عن بيئته وما تحتويه من ماديات، تؤثر فيها الخبرات التي يتعرض لها الطفل في حياته " (390).

ومثلما يتميز الشكل بدور بارز في النشيد، فإن المضمون لا يقل أهمية عنه، إذ لا بد من البناء الجيد الذي يتساوى فيه الداخل مع الخارج، وتتوازي فيه الفكرة مع الشكل الذي يمثل الأصوات والكلمات والصور، فأناشيد الأطفال هي عبارة عن مجموعة من الأحاسيس والمشاعر تعبر عنها الألفاظ والكلمات التي تحمل بداخلها فكرة النشيد ومضمونه، فالشكل الفني للنشيد وعاء الفكرة أو المضمون الذي يلامس مسامع الأطفال ويدغدغ مشاعرهم ويثير أخيلتهم

(388) عبد الفتاح إسماعيل: أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص 41.

(389) الحديدي، علي: في أدب الأطفال، ص 204.

(390) منصور، عبد المجيد سيد أحمد: علم اللغة النفسي، ص 106.

وعقولهم حتى يمكن إيصال الفكرة التي يحملها ذاك الوعاء⁽³⁹¹⁾.

فالأطفال يستمدون من سماع الشعر وقراءته متعة وإشباعاً لميولهم، إلا أن تفضيلهم لشعر على آخر يبقى أحد العوامل المؤثرة فيه، فالأطفال يهتمون بشكل أساسي بالمفهوم الداخلي للقصيدة، ومن ثم يتطلعون إلى الملامح الفنية الأخرى التي تستقطب مشاعرهم، فنغم الكلام وتأليفه ليس هو الهدف، وإنما يعد وسيلة فنية للتعبير، إذ إن جوهر النشيد ليس بالشكل أو الوزن أو القافية، وإنما هو بالفكرة التي يحملها، وما يروق للأطفال من معرفة واكتشاف جديدين، هذا إلى ضرورة مراعاة هذا المضمون لمراحل النمو النفسي والإدراكي واللغوي لهؤلاء الصغار، فالطفل يستهويه الشعر الذي يستعرض أحداث الواقع، ويستمتع بالشعر الذي يدور حول الشخصيات التي لها علاقات مباشرة معه، مثل: البائع والسائق والمعلم والأسرة، وتكون اهتماماته أيضاً بالشعر الذي يصف الحيوانات واختلاف الطقس وفصول السنة، وقد يتناول موضوعات الحياة المتنوعة التي لا يمكن حصرها في قائمة ثابتة⁽³⁹²⁾، مع العلم أن الطفل ذواق وناقد " فهو يستطيع أن يبدي إعجابه أو سخطه، حين يسمع أو يقرأ شيئاً في الكلام المنمق أو الموزون، وإن كان لا يستطيع التعليل "⁽³⁹³⁾.

ومن الأمثلة النابضة على الأناشيد التي تحمل مضموناً ومعنى، ولا تخضع لجهد التأويل أو التفسير، لجلاء الفكرة التي تحملها كلماتها البسيطة، والرسالة التي تحاول بثها في نفوس الصغار، وذلك بعض الهدف منها، حيث يقول البسطامي في (نشيد الكشافه)⁽³⁹⁴⁾:

(391) صبيح، إبراهيم محمد: الطفولة في الشعر العربي الحديث ط1، الدوحة، دار الثقافة القطرية 1985، ص 324.

(392) الشلبي، محمود: دراسات في أغنية الطفل، ص 45.

(393) الجبلاطي علي، وآخرون: الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية والتربية الدينية ط2، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1975، ص 193.

(394) البسطامي، محمد: الشادي في الأناشيد المدرسية الوطنية، ص 10.

مثلك للعلل انتسب وقارع الخصم وهب

فيحاول من خلال هذا النشيد أن يبث في نفوس الصغار العزم والقوة والكبرياء؛ بسبب انتسابه لقوم كانوا من أعرق الناس وأرفعهم، فيحثهم على الجهاد ومقاومة المحتل.

لكن البيهتجالي يحاول من خلال نشيده (العلم والمال) تقديم الحكمة لأطفاله بألفاظ متواضعة، لا تبتعد عن مستواهم العقلي والنفسي فيقول⁽³⁹⁵⁾:

الْعِلْمُ بَاتَ غِذَاءً لِلرُّوحِ لَا بَلَّ دَوَاءً

وسلماً للمعالى لمن أراد العلاء

لَوْلَاهُ مَا كَانَ فَنُومًا عَرَفْنَا الرَّخَاءَ

سَلُّ الْأَطْبَاءَ عَنْهُ وَسَائِلَ الْعُلَمَاءِ

كم من علاج مفيد شَفَوْا به السُّقْمَاءَ

بهذا النص الجميل يخاطب البيهتجالي أبناءه الصغار ليعرفهم بقيمة العلم وأهميته في

(395) البيهقي، اسكندر الخوري: **الطفل المنشد**، ص 56.

حياة الإنسان، ويبين لهم أنه الوسيلة السامية لنهوض الأمم وتقدمها.

ويؤكد البيتجالي على ضرورة إثراء المضمون وحسن انتقاء الألفاظ التي تحملها، حيث يقول في مقدمة مجموعته الشعرية (المثل المنظوم للمدارس) " لا يخفى افتقار المدارس في هذه الأيام إلى كتاب شعري لطيف الموضوع مناسب لأذواق تلاميذه ذكوراً وإناثاً، على اختلاف درجاتهم في السن والمعرفة، منطوياً على المفيد لعقولهم، المهدب لنفوسهم ولغتهم، والمقوّي فيهم ملكة الحفظ والاستظهار ⁽³⁹⁶⁾، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أكثر من كتبوا الأناشيد كانوا من المربين.

فالشعر يعدّ من أبرز الفنون الأدبية، لما يتضمنه من انفعال وإبداع وتأثير في النفس والواقع، والأدب الحقيقي هو الذي " يعبر عن الإنسان وعن العالم الذي لا تتوقف أبداً مسيرته، وعلى قدر الالتزام بالقضية الأساسية للعصر ⁽³⁹⁷⁾.

فالأدب نشاط إنساني يسهم في حركة المجتمع، وكذلك الشعر الذي هو أحد أجناسه الراقية، وهو تلك القيمة الحيوية التي تصاحب الإنسان في مجمل مراحل حياته، حيث يتقلد الشعر " دوراً في إعادة بناء الحياة، واسترجاع الحق المغتصب، وغرس الثقة في الإنسان من أجل غدٍ أفضل يقوم على الحب النبيل والأمل القادر ⁽³⁹⁸⁾.

ويتضح من كل ما تقدم أنه ليس بالإمكان إغفال مضمون النشيد وملاءمته للأطفال في مرحلة معينة؛ لأنه هو الذي يسهم في توضيح رؤية الأطفال للمألوف من الأشياء حولهم بطرق مختلفة، فتبدو وكأنها جديدة عليهم.

أما الأناشيد التي تغرق في تعقيد الألفاظ وغموض معانيها، فإنها لا يمكن أن تقدم

(396) البيتجالي، اسكندر الخوري: المثل المنظوم للمدارس، المقدمة.

(397) وادي، طه: جماليات القصيدة المعاصرة، ص 35.

(398) نفسه: ص 143.

للتصغار مضموناً يتوافق مع مستواهم العقلي والذهني، فضلاً عن احتياجاتهم إلى كثير من التفسير والتأويل، فجودة النشيد لا تكون بالمفاهيم والأفكار التي لا يدركها الأطفال وقد يفرُّ منها الكبار، وإنما بالبراعة والإبداع في صدق التجربة وسعة الخيال وجمال الأسلوب الذي يجذب الطفل إلى النشيد الذي يفهمه بسهولة، ويستوعبه بمتعة وفرح، حيث يكون منسجماً مع نفسيته وعواطفه الجياشة وطموحاته المشرقة⁽³⁹⁹⁾.

ولا سيما الأثر الداخلي الذي يتركه النشيد بما فيه من موسيقا وفكرة وخيال، " وأهمية وجود فكرة بسيطة أو حكمة تدل على قيمة معينة حتى يتكامل وقع الأنشودة مع قيمها في النفس فتحتل العقل والنفس "⁽⁴⁰⁰⁾.

ومن صور الأناشيد التي تحمل مضامين جميلة، ذات مغزى، ومعانٍ تعمق في النفس الإنسانية حب الطبيعة والوطن هذا النشيد الذي يقول فيه أبو سلمى⁽⁴⁰¹⁾:

(399) صبيح، إبراهيم محمد: الطفولة في الشعر العربي الحديث، ص 327.

(400) الديك، نادي ساري: في أدب الأطفال، ص 184.

(401) أبو سلمى: ديوان أبي سلمى، ص 138.

يا أيها النهرُ الجميل كيف تسير، بلا سمير

أنت الذي تشفي الغليلُ ولا تدري

ألا تجر مركبي خذني معك فأتبعك

إلى المكان الطيبِ إلى البحر

وكان أبا سلمى هنا يرسم لوحةً للطبيعة الخلابة بنهرها وبحرها، فيتشوق الأطفال إليها، ويقبلون على حبها، حيث تمثل الوطن، فيقول:

في ضفتيكَ ذكريات عن الأجداد، عن الأمجاد

عن العصور الخالياتُ عن النصر

يا نهرُ لا تخش المحنُ لك الأمان، من الزّمان

ما دمت في أرض الوطنُ دوماً تجري

وأبو سلمى من الشعراء الفلسطينيين الذين يحبون أطفال الوطن؛ لأنهم هم الغد والمستقبل المنتظر، فيقول في مقدمة ديوانه (أغاني الأطفال) الذي هو جزء من (ديوان أبي سلمى) " قد توخينا أن تكون ألفاظها سهلة وأوزانها خفيفة وموضوعاتها مشوقة، وأن

تحمّل أفكاراً بسيطةً ونبيلةً وأن تحب أطفالنا بالطبيعة والوطن وعمل الخير⁽⁴⁰²⁾.

ومما يلفت النظر في هذه الدراسة أن الأناشيد الوطنية قد حازت على القسط الأكبر من أناشيد الأطفال، ويمكن إعادة ذلك إلى الواقع الفلسطيني المضطرب الذي كان يحيم على جميع أنحاء الوطن، وبالتالي كان للقضية الفلسطينية دورها البارز في تعميق الفكرة الوطنية في نفوس الأطفال.

ومع ذلك فإن هناك مجموعة من القيم قد تضمنتها أناشيد الأطفال، لا بد من الإشارة إليها والتعرف إلى بعض القضايا التي تدعو إليها وتسهب في تعميمها، وهي كما تظهر في الجدول التالي:

جدول (5)

جدول القيم التربوية التي تضمنتها أناشيد الدراسة

نوع النشيد	مجموعة القيم التي يدعو إليها
الوطني	1- محبة الوطن والدفاع عنه في الداخل والخارج. 2- الحث على الجهاد والتضحية من أجله لتحقيق حريته. 3- تعزيز الانتماء إليه وتعميق فكرة البناء الوطني. 4- الإيمان بعدالة القضية وحتمية النصر.

القومي	1- الاعتزاز بالأمّة العربية وتعميق الانتماء القومي. 2- العمل على وحدتها وطردها المستعمر من الوطن. 3- التغني بمجادها وتراثها العريق.
الديني والإنساني	1- الدعوة إلى الالتزام بطاعة الله ورسوله ودينه القويم. 2- الإشارة الواضحة إلى قدسية الوطن الفلسطيني. 3- محاربة الظلم وإظهار التسامح الديني. 4- تنمية الإحساس الإنساني ومساعدة الضعفاء.
التعليمي	1- الدعوة إلى العلم والتعلم لما فيه خير الأمّة والوطن. 2- أهمية العلم في بعث الحضارات وإذكائها. 3- حب المطالعة والثقافة، وتنمية الذكاء والقدرات. 4- التأكيد على أن العلم أحد عوامل نهوض الأمم.
الاجتماعي	1- توثيق الروابط والعلاقات الاجتماعية بين الناس. 2- التمسك بالأخلاق الكريمة، والالتزام بالصدق والأمانة والوفاء. 3- احترام الكبير والصغير، وحب الأسرة والوالدين. 4- الحث على العمل وبذل الجهد والاجتهاد لرفعة الإنسان وحماية موطنه.

الوصفي	1- الإحساس بجمال الطبيعة والتمتع به. 2- إظهار جمال الوطن لتعزيز الانتماء إليه. 3- اللهو مع بعض الحيوانات وضرورة الرفق بها، والكشف عن بعض فوائدها. 4- وصف الأماكن المقدسة والتاريخية للاعتزاز بها.
المعرفي	1- تزويد الأطفال بالمعلومات الضرورية عن بعض المخترعات والصناعات الحديثة، ذات العلاقة بالإنسان. 2- تنمية ملكة الخيال والتفكير والإبداع.
الإرشاد والتوجيه	1- يسعى إلى بث الحكمة والموعظة في نفوس الأطفال. 2- يحثهم على القيم والفضائل ومكارم الأخلاق. 3- يزودهم بتجارب الآخرين للاستفادة منها. 4- حماية الوطن والذود عن حياضه ورفعته.
الترفيهي	1- يسعى إلى إدخال الفرحة في قلوب الأطفال. 2- اللهو واللعب والمرح، والتجول بين أحضان الطبيعة.

ومن الظواهر اللافتة في أناشيد الدراسة؛ أن الدلالات والقيم التراثية لم تفقد حضورها

المتميز ضمن الأفكار والمواضيع التي تطرقت إليها تلك الأنشيد، على الرغم من قصرها وخفتها وبساطة ألفاظها.

2- النشيد والتراث:

ليس من شك في أن العودة إلى التراث والاستفادة من الماضي العريق للأمة قد يسهم في تربية النشء بصورة تعمق في نفوسهم نوازع العزة والكرامة والطموح، تلك الأسس التي قام عليها المجتمع العربي في بداية تكوينه، حيث استطاع الدين الإسلامي أن يصقل نفوس أبنائه، وينمي فيهم أواصر الفضيلة والتقدم والازدهار.

تلك الأمة التي أفاضت على المجتمعات بعلمها وثقافتها، حيث مهدت الطريق أمام الكشف والعلم والاختراع، إذ كانت أمة العرب والمسلمين في طليعة الأمم التي تباهي بحضارتها ورقيتها وتطورها، وكانت اللغة في ذات الوقت العمود الفقري الذي يمنح التواصل والتفاعل حرية التوسع والانطلاق، حتى بقيت " حارس حضارتنا، ومستودع تراثنا الروحي، ومن الثابت أننا لا نملك من أفكارنا وأحاسيسنا إلا ما نستطيع إيداعه اللفظ الذي يوضح الفكرة ويميز الإحساس" (403).

وقد كان الموروث الحضاري أحد الروافد المهمة في صقل شخصيات أبناء الجيل والمجتمع، وتعزيز إيمانهم بأمجاد أمتهم والاحتذاء بها، لا سيما أن الأمم تستمد عوامل بقائها واستمرارية وجودها ونموها، مما أثر عن السابقين من تمسك بالقيم والفضائل والمثل العليا، فضلاً عن حب العلم والمعرفة، والنصرة في سبيل الله وطاعته في السراء والضراء.

(403) قاسم، عدنان حسين: في نقد الشعر العربي المعاصر في مصر ط1، القاهرة، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، 1981، ص 127.

ومن هذه الأهمية البالغة للتراث انطلق الشعراء الفلسطينيون في صياغة بعض أناشيدهم، بقصد تربية الجيل وتوجيه أنظاره إلى ذاك التراث الغني بمقامات الإنسانية الفضلى، هذا الإرث القادر على إمداد الصغار والكبار على حدٍ سواء بثقافة سليمة تأخذ بأيديهم إلى جادة العلم والفضيلة.

ومن الأمثلة الحية على ما جاء في بعض أناشيد الأطفال من إضاءات لافتة لهذا الكنز الثمين، ما ورد في نشيد اليعقوبي من إشارة إلى جهاد الأجداد، ومقاومتهم لرؤوس الكفر والظلم والإلحاد، وتحقيق الانتصارات الرشيدة، حيث يقول⁽⁴⁰⁴⁾:

إن تسلّ يا غرب عنّا في الوغي أو لا تسلّ

فلنا الحرب وإنّا لم نكن فيها نملّ

وكذلك اعتزاز الفاروقي بالأجداد وعلمهم الدؤوب المخلص والمضني في بناء الحضارة الإسلامية الشامخة في قوله⁽⁴⁰⁵⁾:

هيا بني وطني نسود نبني كما بنت الجدود

ثم إشارة عصام حماد إلى ما قدمه الأجداد للبشرية من حضارة وتقدم وازدهار، وما تركوه من مظاهر وملامح بارزة تؤكد ذلك، قوله⁽⁴⁰⁶⁾:

(404) اليعقوبي، سليم أبو الإقبال: من وقائع الأناشيد الوطنية والقومية، جريدة فلسطين، العدد 201، 1930، ص 3.

(405) أبو نمر، عبد الله حسن: معري فلسطين، ص 77.

(406) حماد، عصام: من مخطوطة للشاعر.

كم لكم عند المعالي من يد

بين أمسٍ عبقرٍ... وغدٍ

وفي (نشيد الكشافة) للبيطار، الذي يخاطب فيه المجتمع في تباهٍ وكبرياء، حيث يقول⁽⁴⁰⁷⁾:

فاسأل التاريخ عنا واسأل الأعراق

ومن ذلك أيضاً إشارة البيتجالي إلى شخصية عمر بن الخطاب وإظهار عدله وتسامحه الديني في نشيده الذي يقول فيه⁽⁴⁰⁸⁾:

عمرٌ وهل يخفى القمر ما كان ملكاً كالبحر

كان الملاك إلى الخلا نثق أرسلته يد القدر

متزهداً متقشفاً بالحزم والعدل اشتهر

كما وتظهر الإشارات التراثية في (نشيد الجلاء) للعدناني، حيث يقول⁽⁴⁰⁹⁾:

(407) البيطار، وهيب: ديوان أمة معلم، ص 32.

(408) البيتجالي، اسكندر الخوري: المثل المنظوم، ص 93.

(409) العدناني، محمد خورشيد: العدنانيات (اللهيب ج 1)، ص 145.

سائلوا التاريخ عن أمجادنا والزمن

كيف قدّمنا دِمّا أكبادنا للوطن

ويبرز إبراهيم طوقان في نشيده (فتية المغرب) أهمية الأخذ من التراث والاستعانة به، ومدّ الأجيال بشي من العزيمة التي كان عليها الأجداد في تحقيق انتصاراتهم، فيذكرهم بالمجد العربي في الأندلس بالإشارة إلى هذا المكان التاريخي العريق الذي حقق فيه العرب أمجاداً وبطولات، قائلاً⁽⁴¹⁰⁾:

فتية المغرب هيّا للجهاد نحن أولى الناس بالأندلس

ثم يستطرد في تعزيز عوامل القوة والثبات، وحَصّ أبناء المغرب العربي على مقاومة المحتل، والإشارة إلى شخصية طارق بن زياد التاريخية في قصته المشهورة عن عدم التراجع أو التخاذل، فيتابع:

قف على الشاطئ وانظر هل ترى لهب النار وآثار السفين

يوم لا طارق عاد القهقري لا ولا آباؤنا أسد العرين

وكذلك قوله في نشيده (أشواق الحجاز)⁽⁴¹¹⁾:

(410) طوقان، إبراهيم: ديوان إبراهيم طوقان، ص 197.

(411) نفسه: ص 193.

ذكرى الهادي، والأمجاد ملء الوادي والأنجاد

أثرُ الهمم، منذ القدم حول الحرم، أبداً بادٍ

وفي هذا إشارة واضحة إلى الرسول الكريم محمد -عليه الصلاة والسلام- وصحبه الكرام فيما آله على أنفسهم من نشر رسالة الحرية والعدالة والمساواة، وبناء دولة الإسلام، ومحاربة أكبر قوتين في العالم في حينه (الفرس والروم) دونما تراجع أو تخاذل.

ومع ذلك فإن توالي التذكير بالمواقف والأماكن والشخصيات التاريخية العريقة، يمثل إحدى الوسائل المهمة في التغذية الروحية والصقل النفسي وبناء الشخصية على أسس ودعائم سليمة، للنهوض بالواقع الحالي ودفعه إلى ميادين التحرر والتطور والازدهار.

- البيتجالي، اسكندر الخوري: **المثل المنظوم للمدارس، القدس، مطبعة بيت المقدس، 1983.**
- البيتجالي، اسكندر الخوري: **الطفل المنشد ط2، القدس، مكتبة فلسطين العلمية، 1945.**
- البيطار، وهيب: **ديوان أنة معلم ط1، عمان، دار الكرمل للنشر والتوزيع، 1986.**
- جرار، وليد صادق: **شاعران من جبل النار ط1، عمان، شركة الشرق الأوسط للطباعة والنشر 1985.**
- أبو حنا، حنا: **ديوان عبد الرحيم محمود، الطيبة، مركز إحياء التراث العربي، 1985.**
- الحوت، بيان: **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948، ط3، بيروت 1986.**
- الخوري، قيصر: **ديوان الذكريات ج1، القدس، المطبعة التجارية، 1945.**
- السكاكيني، خليل: **كذا أنا يا دنيا، القدس، المطبعة التجارية، 1955.**
- أبو سلمى، عبد الكريم الكرمي: **ديوان أبي سلمى، بيروت، دار العودة 1989.**
- عبد الخالق، مطلق: **ديوان الرحيل، حيفا 1938.**
- عبد الستار، إبراهيم: **شعراء فلسطين في ثورتها القومية، حيفا، نادي الإخاء العربي.**
- عبد الهادي، راضي وآخرون: **الروضة للصف السادس الابتدائي ط2، القدس، مكتبة الأندلس، 1945.**
- عبد الهادي، راضي وآخرون: **الروضة للصف الرابع الابتدائي ط1، القدس، مكتبة الأندلس، 1945.**
- عبد الهادي، راضي وآخرون: **الروضة للصفين الثاني والثالث الابتدائيين ط3، القدس، مكتبة الأندلس، 1945.**
- عبد الهادي، راضي: **ديوان بصمات الأيام ج1، عمان: مطبعة الهنداوي، 1981-1982.**
- العبوشي، برهان: **ديوان جبل النار، بغداد، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة، 1956.**
- العبوشي، برهان: **مسرحة وطن الشهيد، القدس، المطبعة الاقتصادية، 1947.**
- العدناني، محمد خورشيد: **ديوان العدنانيات (اللهيب ج1)، صيدا، المكتبة العصرية، 1954.**
- العودات، يعقوب: **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ط3، القدس، دار**

الإسراء، 1992.

١٠ فايفل، محمد: **الأنشيد الوطنية للأمة العربية**، بيروت 1953.

١٠ كامل، عبد الهادي: ديوان قلب شاعر ط1، عمان 1998.

• كناعنة، شريف وآخرون: **الإيجاب والطفولة، البيرة، جمعية إنعاش الأسرة، 1984.**

١ محمود، حسني: الشاعر حسن البحيري ط1، دمشق، دار البشائر للطباعة

والنشر والتوزيع، 1992.

• النحوي، عدنان علي رضا: ديوان جراح علي الدرب، الرياض، دار عالم الكتب

للنشر والتوزيع، 1985.

ثالثاً: المراجع:

١. إبراهيم، عبد العليم: **الموجه الفني ط3**، دار المعارف بمصر 1966.

‘الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح: المستطرف في كل من مستطرف

ج2، طبعة أخيرة، دار إحياء التراث العربى.

أدهم، علي: فصول في النقد والأدب والتاريخ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، 1979.

١ إسماعيل، عز الدين: **الشعر العربي المعاصر** ط3، دار الفكر العربي، 1978.

١- الأندلسي، أحمد بن عبد ربه: **العقد الفريد** ط 1 ج 1، بيروت، دار الكتب العالمية، 1983.

١- أنقار، محمد: **قصص الأطفال بالمغرب ط1**، تطوان، منشورات كلية الآداب والعلوم

الإنسانية 1998.

١ أنيس، إبراهيم: **موسيقى الشعر ط5**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978.

١ أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية ط5، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975.

١ أنيس، إبراهيم ورفاقه: المعجم الوسيط ط2، القاهرة 1972.

١ البدرى، مصطفى نعمان: أغاريد الرافعي، بغداد، الدار الوطنية، 1980.

١ بريغيش، محمد حسن: أدب الأطفال أهدافه وسماته ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة،

.1997

١ الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر: رسائل الجاحظ ج 3 ط 1، بيروت، دار الجيل 1991.

١ جعفر، عبد الرزاق: أسطورة الأطفال الشعراء ط١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢.

الجمبلاطي، علي وآخرون: الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية والتربية الدينية

ط2، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة و النشر ، 1975.

- عععععععععععع

- نهضة مصر ومطبعتها.
- السيد، عز الدين علي: التكرير بين المثير والتأثير ط2، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، 1978.
- الشافعي، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي: كشف الخفاء ومزيل الإلباس ط1 ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997.
- الشافعي، محمد علي فرغلي: ألوان البديع، القاهرة، جامعة الأزهر، 1998.
- الشايب، أحمد: الأسلوب ط8، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1988.
- الشايب، أحمد: أصول النقد الأدبي ط7، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1966.
- شحاتة، حسن: أدب الطفل العربي ط2، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1994.
- أبو شريف، توفيق: سيرة في الزمن الصعب ط1، عمان 1998.
- شوقي، أحمد: الشوقيات، بيروت، دار العودة، 1988.
- الصباغ، رمضان: في نقد الشعر العربي المعاصر ط1، الإسكندرية، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، 1998.
- صبيح، إبراهيم محمد: الطفولة في الشعر العربي الحديث ط1، قطر، دار الثقافة، 1985.
- ضيف، شوقي: الفن ومذاهبه ط7، القاهرة، دار المعارف بمصر، 1969.
- ضيف، شوقي: الشعر وطوايعه الشعبية على مر العصور ط2، القاهرة، دار المعارف بمصر، 1984.
- ضيف، شوقي: فصول الشعر ونقده، القاهرة، دار المعارف بمصر، 1971.
- طعمه، رشدي أحمد: أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1998.
- طهطاوي، رفاعه: الأعمال الكاملة ط1 ج2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973.
- طه المتوكل: الكنوز ط1، عكا، مؤسسة دار الأسوار، 1998.
- طه المتوكل: إبراهيم طوقان ط1، عمان، دار اللوتس للنشر، 1992.
- طوقان، إبراهيم، ديوان إبراهيم طوقان، عكا، دار الأسوار.
- عبد الرحيم، عبد المجيد: مبادئ التربية وطرق التدريس ط2، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1970.
- عبد العال، عبد المنعم سيد: طرق تدريس اللغة العربية، القاهرة، مكتبة غريب.
- عبد الفتاح، إسماعيل: أدب الأطفال في العالم المعاصر، القاهرة، مكتبة الدار العربية

- مرسى، أحمد: الأغنية الشعبية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970.
- مشوّح، وليد: دراسات في الشعر العربي الحديث ط1، دمشق، منشورات دار معد للنشر والتوزيع، 1993.
- أبو معال، عبد الفتاح: أدب الأطفال ط2، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2000.
- أبو معال، عبد الفتاح: دراسات في أناشيد الأطفال وأغانيهم ط1، عمان، دار النشر والتوزيع، 1986.
- أبو مغلي، سميح وآخرون: طرق تعليم القراءة والكتابة للأطفال، عمان الأهلية للنشر والتوزيع، عمان.
- أبو مغلي، سميح وآخرون: دراسات في أدب الأطفال، عمان 1992.
- أبو مغلي، سميح: الأساليب الحديثة لتدريس اللغة العربية ط2، عمان، مجدلاوي للنشر والتوزيع، 1986.
- مكاي، عبد الغفار: قصيدة وصورة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1987.
- مكتب الدراسات السورية والعربية، من هم في العالم العربي ج1، دمشق 1957.
- الملائكة، نازك: قضايا الشعر المعاصر، بيروت، دار العلم للملايين، 1962.
- منصور، عبد المجيد سيد أحمد: علم اللغة النفسي ط1، الرياض، الناشر جامعة الملك سعود، 1982.
- المنباوي، عبد الرؤوف: فيض القدير ط1 ج1، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ.
- ناصر، إبراهيم: التربية المدنية ط1، عمان، مكتبة الرائد العلمية، 1993.
- ناصف، مصطفى: الصورة الأدبية ط2، بيروت، دار الأندلس، 1981.
- الناعوري، عيسى: الأغاريد، القدس، المطبعة العصرية، 1958.
- الناعوري، عيسى وإبراهيم القطان: بطولات عربية من فلسطين، عمان، المطبعة الوطنية، 1956.
- نجار، نزار: في أدب الأطفال، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1994.
- نجيب، أحمد: فن الكتابة للأطفال ط3، بيروت، دار اقرأ، 1986.
- النحوي، عدنان علي رضا: الأرض المباركة ط1، الرياض، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، 1985.
- نصره، خالد: أحلى الأناشيد ط1، رام الله، مطبعة الوحدة، 1997.

• أبو نمر، عبد الله حسن: **معري فلسطين** (سليمان التاجي الفاروقي) ط1، القدس، 1993.

• الهراوي، محمد: **سمير الأطفال** ج1 للبنين، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية 1930.

• هلال، محمد غنيمي: **النقد الأدبي الحديث**، بيروت، دار العودة، 1987.

• الهيتي، هادي نعمان: **أدب الأطفال - فلسفته فنونه وسائطه -**، بغداد، منشورات وزارة الإعلام، 1977.

• وادي، طه: **ديوان رفاة الطهطاوي** ط2، القاهرة، دار المعارف، 1984.

• وادي، طه: **جماليات القصيدة المعاصرة** ط2، القاهرة، دار المعارف، 1990.

• وهبه، مجدي وكامل المهندس، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب** ط2، بيروت، مكتبة، 1984.

• ياغي، عبد الرحمن: **حياة الأدب الفلسطيني الحديث**، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1968.

• اليسوعي، روبرت كامبل: **أعلام الأدب العربي المعاصر** ج2، بيروت، الشركة المتحدة للتوزيع والنشر، 1996.

• اليعقوبي، الشيخ سليم أبو الإقبال: **ديوان حسنة البراء**، القاهرة، مطبعة التقدم.

المجلات

- رجب، مصطفى: *بين الفن والتربية، مجلة التربية*، العدد 128، قطر، آذار 1999.
- أبو الرضا، سعد: *التناغم المعرفي بين أدب الطفل والتقدم التكنولوجي، مجلة الطفولة العربية*، العدد العاشر، الكويت، آذار 2002.
- عيد، رجا: *الشعر والكلمات، مجلة التربية*، العدد 106، قطر، أيلول 1993.
- مندور، محمد: *الهمس في الأغاني والأناشيد، مجلة الثقافة*، العدد 248، القاهرة 1943.
- الهيثي، هادي نعمان: *الهوية الثقافية للأطفال العرب إزاء ثقافة العولمة، مجلة الطفولة والتنمية*، العدد الثاني، مصر 2001.

• الشاعر المعتزل: النشيد الوطني الفلسطيني، جريدة فلسطين، يافا، العدد 171،

السنة الثالثة عشرة، 1929/12/31.

- علاء الدين، محمد حسن: هذا الوطن، *جريدة فلسطين*، يافا، العدد 69، السنة 28، 1944/5/21.

- علاء الدين، محمد حسن: وطني، *جريدة فلسطين*، يافا، العدد 214، السنة الثلاثون، 1946/11/24.

- اليعقوبي، سليم أبو الإقبال: وقائع الأناشيد الوطنية والقومية، *جريدة فلسطين*، يافا، العدد 185، السنة الرابعة عشرة، 1930/10/22.

- اليعقوبي، سليم أبو الإقبال: وقائع الأناشيد الوطنية والقومية، *جريدة فلسطين*، يافا، العدد 194، السنة الرابعة عشرة، 1930/11/1.

- اليعقوبي، سليم أبو الإقبال: وقائع الأناشيد الوطنية والقومية، *جريدة فلسطين*، يافا، العدد 201، السنة الرابعة عشرة، 1930/11/9.

خامساً: وقائع المؤتمرات:

- المهرجان الوطني الأول للأدب الفلسطيني في الأرض المحتلة، منشورات الملتقى الفكري العربي، القدس، آب 1981.
- دراسات في أغنية الطفل، أوراق البحث المقدمة للمهرجان الأردني لأغنية الطفل، وزارة الثقافة الأردنية، عمان 1993، 94، 95، 1996.

**An Najah National University
Faculty of Graduate Studies**

**Children's Anthems in the Palestinian Poetry
from 1920 to1948**

**Prepared by
Marzouq Badawi Abdallah Al-Badawi**

**Supervised by
Professor Adel Abu Amshah**

***Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of
Master of Arts in Arabic Language and Literature, Faculty of Graduate
Studies, at An - Najah National University, Nablus, Palestine.***

2004

**Children's Anthems in the Palestinian Poetry
from 1920 to 1948**

**Prepared by
Marzouq Badawi Abdallah Al-Badawi**

**Supervised by
Professor Adel Abu Amshah**

Abstract

It is only by the willing of ALLAH, I have finished this study, the following summary points out the most important remarks and conclusions of the study, these are as follows:

- 1- Children songs emerged during the Jahilia period, then developed in the Abbasi time, up to the modern time were it developed in a very rapid way in contents and subjects.
- 2- Poets used to write their children poetry with out dedicating or directing it to children, then scholars following, depending on standards select, illustrate and choose of these and include them in schools books, children use these songs in their daily life so it becomes so popular.
- 3- National subjects tended to be the most dominant subject on children songs and poetry, this affected their life through depriving them of living their childhood as other children in the world. AS for Palestinian children these songs and poetry were ranked first in popularity.
- 4- Due to the long and continuous revolution time the Palestinian people is living, and the daily scene of martyrs, the natural result of these conditions is the emerge of martyrs songs and poetry in

children songs, and this is not the same in other nations poetry were poets intend to create sense of getting rid of daily worries.

- 5- Composing songs and poetry for children in the Palestinian culture started as individual and not organized tries for poets, and motivated by the sense of caring for children, and following the footsteps of other poets in other countries.
- 6- In Palestine we have some poets who showed a lot of care for children poetry, and for this they published their books as (Iskandar Khor) the poet from the city of Beit Jala, his book title was (Singing Child), and (AI-Mathai AI-Manthoum), then came Abu Salma in his collection (Children Songs), and Sheik Mohammed Al- Boustami(The Singer in National Schools Songs), as for the rest of songs these were distributed among many poetry collections.
- 7- In the thirties and Forties the Palestinian broadcasting station played an important role in the publicity of the children songs, it broadcasted songs for Ibrahim Touqan, and his sister Fadwa and Issam Hammad and others.
- 8- It is clear that the literature elements that were clear in the children songs varies from artistic, psychological and language elements, though the songs were not over the standard of the children.
- 9- There was a variation on the topics of the songs, despite the fact that the national matter was dominating over.

- 10- The said songs were spreading among both children and old the same, the reason is that these songs were touching the feelings and love of the country, and treating the public suffering of the people, in other words, these songs were playing the role of provoking and motivating the national feelings.
- 11- It was clear, that despite the easy and fluent language used in the composition of the songs, but, it was rich with ideas and concepts, the lyrical aspect and the music were rich too.
- 12- The absence of institutions that care for the protection and preservation resulted in the lost of many collections of children songs, so, the presence and fertility and life of the songs were lost too.
- 13- Through the field study and investigation made on children songs, it is clear that the poets who wrote them were teachers or worked in the field of education, and most of them published their own collections.
- 14- Despite the definition of children songs stated by many scholars, I used the following standard which says(The poet should say that the poem that he has composed is a children song, either he 'published this in a book, a newspaper or any other way, this poem should be easy to sing, using easy and simple language).

